رواية

الفقراء

فيودور دوستويفسكي

تعريب: الأمجد العثماني

كتوباتي
kotobati

الفقراء

LES PAUVRES GENS

فيودور دوستويفسكي

رواية

الكتاب: الفقراء

تأليف: فيودور دوستويفسكي، سنة 1846م.

الترجمة الفرنسية: فيكتور ديريلي، سنة 1888م.

الترجمة العربية: الأمجد العثماني، سنة 2024م.

النوعية: رواية

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المترجم الأمجد العثماني .

الفهرس

الملخص: 6
مقدمة المترجم إلى اللغة الفرنسية..... 7
مقدمة..... 12
الثامن من أبريل 14
الثامن من أبريل 20
8 أبريل..... 23
9أبريل..... 28
12 أبريل 30
25 أبريل 34
20 أيار/مايو 36
الأول من يونيو 38
I..... 39
II..... 45
11 يونيو..... 71
12 يونيو..... 73
20 يونيو..... 76
21 يونيو..... 78
22 يونيو..... 79
25 يونيو..... 81
26 يونيو..... 82
27 يونيو..... 89
28 يونيو..... 91

1 يوليو..... 95
7 يوليو..... 100
8 تموز / يوليو..... 102
27 يوليو..... 106
28 يوليو..... 109
23 يوليو، 111
29 يوليو (تموز)..... 114
1 أغسطس..... 115
2 أغسطس..... 119
3 آب (أغسطس) 120
4 آب (أغسطس) 123
4 أغسطس..... 125
5 آب/أغسطس 129
5 أغسطس..... 131
11 أغسطس 137
13 أغسطس. 139
14 أغسطس. 140
19 أغسطس. 142
21 أغسطس 143
3 سبتمبر:..... 146
5 سبتمبر. 150
9 أيلول/سبتمبر. 160
10 سبتمبر..... 165
11 سبتمبر..... 166
15 سبتمبر..... 169

18 سبتمبر..... 171
19 سبتمبر..... 174
23 سبتمبر..... 175
23 سبتمبر..... 179
27 سبتمبر..... 181
27 سبتمبر..... 183
28 سبتمبر..... 184
28 سبتمبر..... 185
29 سبتمبر..... 186
30 سبتمبر..... 188

الملخص:

يصف دوستويفسكي نفسه، نشأة هذه الرواية، وهي أول أعماله المنشورة: "تصاعد الدخان من خياشيم الخيول، وتصاعدت أعمدة الدخان من الأسطح على جانبي النهر، وبدا لي وكأن مباني جديدة ترتفع فوق القديمة، وكأن مدينة جديدة تُبنى في الهواء.... وبدا لي أن هذه المدينة كلها، بكل سكانها، أقويائهم وضعفائهم، بكل مساكنها وملاجئ الشحاذين وقصورها المذهبة، بدت لي في تلك الساعة من الشفق كأنها خيال ساحر رائع سيختفي ويتبدد في دخان يتصاعد نحو السماء المظلمة. نظرتُ حولي وفجأة رأيتُ أشكالاً غريبة. لقد كانت شخصيات غريبة، عجيبة، ومبتذلة تماماً، لا تشبه دون كارلوس أو بوسا، مجرد مستشارين فخريين، ولكنها في الوقت نفسه مستشارين فخريين رائعين. كان أحدهم يبتسم لي ابتسامة عريضة ويختبئ خلف هذا الحشد الرائع ويحرك خيوطاً ونوابض. كانت الدمى تتحرك وكان يضحك ويضحك! ثم ظهرت لي قصة أخرى، في زاوية مظلمة، قلب مستشار فخري، صادق وطاهر، صريح ومخلص لرؤسائه، ومعه فتاة صغيرة مهانة وحزينة، وكانت قصتهما المؤثرة تمزق قلبي."

مقدمة المترجم إلى اللغة الفرنسية

"الشرف والمجد للشاعر الشاب الذي يحب ملهميه سكان الأقبية، ويقول عنهم لسكان القصور المذهبة: إنهم رجال أيضاً، إنهم إخوانكم! "كانت هذه هي الكلمات التي استقبل بها بيلينسكي ظهور "الفقراء" في عام 1846، وكان حماس الناقد الروسي العظيم مبررًا بالتأكيد: كان دوستويفسكي قد ظهر لأول مرة كأستاذ للكلمة المكتوبة. ولا ريب أن حماس الناقد الروسي الكبير كان له ما يبرره: ففي الخامسة والعشرين، في سن لا يزال الكثير من الكتاب، حتى الموهوبين منهم لحسن الحظ، يحاولون أن يجدوا أقدامهم، كشف عن نفسه فجأة، إن لم يكن بكل ما في شخصيته القوية من قوة، فعلى الأقل بما سيظل دائماً أهم سماته: تعاطفه الحماسي والمُعدي مع الخاسرين المغمورين في الحياة، أولئك الذين سماهم هو نفسه فيما بعد "المهانين" أو "المغلوبين" والمعتدى عليهم. ولكن دعونا لا نبالغ، ودعونا لا يجعلنا إعجابنا بدوستويفسكي ظالمين تجاه من سبقه! ومهما كانت الأصالة التي تسطع في كتاب "النّاس الفقراء"، فلا يمكن أن يقال عن هذا الكتاب: " proles sine matre creata "! ولا ينبغي أن ننسى أن غوغول Gogol هو أول من لفت الأنظار إلى (تشينوفنيك) الصغير، وأظهر إنساناً في هذا المسخ الذي كان حتى الآن مكرساً حصراً لسخرية كتاب الفكاهة. وقد كان لـ"المعطف"[1] وهو عمل مثير للذكريات بشكل بارز، تأثير كبير على الأدب الروسي، وقد استلهم منه العديد من الروائيين، ومن الواضح أن ذكرى هذه القصة كانت تطارد مخيلة دوستويفسكي

Le manteau Nikolaï Gogol1

أثناء كتابته لروايته "النّاس الفقراء". ولكن كم وسّع كاتبنا من رؤية سلفه وضخّمها وجعلها مثالية! تبدأ عند غوغول بالمعاناة، وتنتهي عند دوستويفسكي بإعادة تأهيل الموظف بالإخلاص. وإجمالاً، فإن أكاكي أكاكييفيتش شخصية تافهة إلى حد ما؛ والشيء الوحيد المثير للاهتمام فيه هو سوء حظه، وكان يمكن أن يكون مثيراً للسخرية إلى حد كبير لو لم يكن تعيساً إلى حد كبير. كما أن ماكار ديفوشكين، بطل رواية "النّاس الفقراء"، يستحق الشفقة أيضًا، ولكن في نفس الوقت الذي نشفق عليه، نعجب به، لأن هذا الكائن الضئيل والمعدم جدًا، يقدم في شخصه المتواضع خلاصة كل العطف الإنساني. محب للخير إلى حد التضحية بالنفس، نراه يحرم نفسه من ضروريات الحياة من أجل مساعدة من هم أكثر احتياجًا منه. فالفقر، الذي كثيراً ما يكون سبباً وذريعة للأنانية في كثير من الأحيان، لم يكن له إلا أن يهيج مشاعر الإيثار في هذا الشخص الاستثنائي. إن سمو أخلاق ماكار ديفوشكين يذهلنا أكثر لأنه مقترن بشكل غريب بعقل غير مثقف. فقد ظل ذكاء هذا المسكين بدائياً، وفلسفته طفولية، وأحكامه الأدبية ذات براءة تجعلك تبتسم، إن أفكاره لا ترتفع أبداً عن مستوى التفاهة التافهة، وكل ما لديه للتعبير عنها هو مفردات غير واضحة لا يعرف حتى كيف يستخدمها بشكل صحيح: كل شيء فيه متواضع، ما عدا قلبه.
- تتميز الشخصية الرئيسية في "الفقراء" بمزاجها المستسلم والخاضع في حين أن كل الظروف الخارجية يجب، على ما يبدو، أن تجعله متمردًا. ظاهرة طريفة أو مؤثرة، كما تشاء، - لا يوجد أحد أكثر تحفظًا من هذا الشيطان المسكين الذي لا يملك شيئًا على الإطلاق ليحافظ عليه. فهو لا يلعن المجتمع الذي هو أحد المنبوذين فيه، بل يتقبله كما هو، راضياً بالمكان الضئيل الذي يحتله فيه. وإذا كان ينطق أحيانًا باحتجاج خجول على مظالم النظام الاجتماعي، فليس ذلك لأنه يتألم منها،

بل لأنها تجعل من يحبهم يعانون، وحتى هذه الحركة الطفيفة من التمرد يلوم نفسه على الفور على أنها جريمة. في نظر هذا المسيحي، الذي يرى في كل الأشياء البشرية تحقيقًا لمرسوم إلهي، هي في الواقع جريمة: لماذا يضيق صدره من عدم المساواة في الظروف، بينما لكل إنسان مكانه هنا على الأرض بإرادة إلهية؟ "واحد مقدر له أن يرتدي شارة الجنرال، وآخر مقدر له أن يكون مستشارًا فخريًا؛ نصيب واحد هو القيادة، وآخر الطاعة الخائفة والصامتة. هذا منظم بحسب قدرات الإنسان؛ واحد يناسبه شيء وآخر يناسبه شيء آخر، والقدرات معطاة من الله نفسه". هكذا يفكر مكار ديفوشكين؛ فهو يتخيل العالم كإدارة هائلة حيث كل واحد يضايق رئيسه ويضايق من هو دونه، وإلا لما كان هناك نظام، كما يقول. هذا الاستسلام، هذه السلبية، التي تثير دهشتنا نحن الغربيين، هي سمة عرقية أكثر من كونها سمة فردية؛ وبهذه الطريقة يظهر ماكار ديفوشكين نفسه روسيًا حقيقيًا، شبيهًا بالفلاح الذي يتحدث عنه جولوفين، الذي قال عندما ضربه سيده "لقد تألم المسيح وأمرنا أن نتألم" من المؤكد أن عشاق اللغة الجميلة لم ينسوا ذلك الخطاب الذي دعا فيه السيد رينان وهو يحتفل بالفضائل المبهجة للغة الفرنسية، الجنس السلافي التعيس إلى التماس العزاء فيها. ومن ناحية أخرى، من المستحسن جداً، من أجل إثراء كتابنا، أن تذهب كتبهم، بعد أن أدخلت علينا البهجة والسرور، إلى الخارج لتعزية أكبر عدد ممكن من الناس.

ومع ذلك، فمن الإنصاف أن نتساءل عما إذا كان الشعب يحتاج إلى مواساة عندما يفكر مثل ماكار ديفوشكين أو المزهق المذكور أعلاه. وحتى لو افترضنا أنه يحتاج إلى مواساة بالفعل، فإن السؤال هو ما إذا كان أدبنا يستطيع أن يوفر له هذه المواساة. قال المتكلم البليغ: "إنه مبهج جداً". ربما؛ ولكن إذا أخذنا في الاعتبار أن النكتة في

الجادة لا تلتقط دائماً في الماري Marais ، فهناك ما يدعو إلى الشك في أن البهجة هي من المواد التي يمكن تصديرها. غير أن ما لا يشك فيه أحد هو تفوق اللغة الفرنسية كوسيلة للأفكار الثورية. قد لا تفهم جميع الشعوب قضية من قضايا تينتامار Tintamarre ، ولكنها جميعاً ستفهم العقد الاجتماعي. لقد كنا أول من فهم هذا الأمر، فما الذي حدث؟ مطالب مستمرة لا جدال في عدالتها المطلقة وعدم جدواها المطلق، وآمال تتحطم دائماً، وسخط يتزايد كلما تضاعفت خيبات الأمل: تلك هي قصتنا في المائة سنة الأخيرة. إنها ليست مبهجة جداً، وإذا كان صحيحاً، كما يعتقد عموماً، أن أدبنا قد ساهم إلى حد كبير في إحداث هذه الحالة، فمن الجرأة أن نقترح على الروس أن يكون ذلك عنصراً من عناصر البهجة. كرجل ضيق الأفق إن مفهوم المساواة الذي نحن مغرمون به إلى هذا الحد، بصرف النظر عن أنه ربما لا يكون أكثر ذكاءً، فإن له عيباً يتمثل في أنه يهيجنا باستمرار. فلندع المسكين يؤمن بالحق الإلهي لأعضاء مجلس الدولة الحاليين، وما إلى ذلك؛ فلا فائدة من أن نثنيه عن ذلك، ولن يكون أسعد حالاً من ذلك. وقد وضع المؤلف أمام موظفه فتاة شابة ضحية مثله لمصير مؤسف. وشخصية فارفارا أليكسييفنا مرسومة بفن رائع؛ ولكن على الرغم من السحر الذي حاول دوستويفسكي أن يبثه على هذه الشخصية فإن ماكار أليكسييفيتش يستمد منه كل اهتمام الكتاب: ففي جوار قديس، أي هيبة يمكن أن تحتفظ بها ابنة حواء البسيطة؟ وحول هاتين الشخصيتين الرئيسيتين ينجذب عدة "مساكين" آخرين؛ وهم كومبارس لا يوجد ما يقال عنهم إلا القليل؛ ولكن من بينهم يبرز الرجل الطيب بوكروفسكي بروزاً خاصاً، رجل عجوز حقير، في خضم حقارته، يرفعه حنانه المريض على ابن ليس هو أباه. وعلاوة على ذلك، فإن خلاص السكير من خلال الإحساس بالعائلة هي فكرة عزيزة على دوستويفسكي

وسيعود إليها في أكثر من مناسبة. إن رواية "بوكروفسكي الفقراء" تحتوي بالفعل على بذور مارميلادوف في رواية "الجريمة والعقاب" و"سنيجويريف" في "الأخوان كارامازوف"، وهما من روائع رواياته. ولا يزال أمام مبتدئ 1846 طريق طويل ليبلغ هذه الذرى من موهبته: لا يزال عليه أن يكتسب أسرار الرعب، كما فعل في رواياته. عليه أن يتعلم كيف يقود قارئه، من رعب إلى رعب، عبر متاهة معقدة بذكاء في تكوين واسع؛ ولكن قبل كل شيء عليه أن يصبح نصف مجنون؛ وهذا ما سيحتاج إلى بضع سنوات يقضيها في سجن سيبيريا. حتى هذه اللحظة، ما زلنا لا نملك "القيثارة كلها"؛ على الأقل سمعنا الوتر الأكثر إنسانية يهتز بقوة لا تضاهى عندما نقرأ مراسلات ماكار ديفوشكين المؤلمة. سأكون مقصراً في إنهاء هذه المقدمة دون كلمة شكر للكتّاب الذين شجعوني تشجيعهم الذي لا يقدر بثمن في أثناء عملي. وقد حظيت ترجمتي لكتاب "الجريمة والعقاب" وغيره من الكتب الأخرى باستحسان الصحافة. فباستثناء السيد فيليب جيل، فإن جميع المراجعين المسؤولين عن الببليوغرافيا في صحف باريس الكبرى قد رأوا من المناسب أن يذكروا هذا الكتاب، وقد أثنى العديد منهم عليه، وأنا مدين بالامتنان الخاص للسادة[2] بول جينيستي وبول بوردي وفاليري فيرنييه وإي. ليبيليتييه، الذين لم ينتظروا مقالة إ. م. دي فوغيه المدوية للفت انتباه الجمهور إلى أعمال دوستويفسكي. سيقال إنني مثل الحمار المحمل بالآثار الذي يأخذ لنفسه التكريم الذي يحظى به المعبود. فليكن، فأنا أفضِّل أن أعرِّض نفسي لهذه السخرية على أن أعرِّض نفسي للوم الجحود.

فيكتور ديريلي

2 MM. Paul Ginisty, Paul Bourde, Valéry Vernier et E. Lepelletier, lesquels n'ont pas attendu le retentissant article de M. E. M. de Vogüé...

مقدمة

عندما فكرت في فتح نافذة على آداب العالم وتراث الإنسانية الخالد كان بعض أصدقائي ممن اطلعوا على كتاباتي باللغتين العربية أو الفرنسية قد شجعوني على ذلك خاصّة وانا ملمّ بأشهر ما وصلنا من الأدب العالمي المكتوب أو المترجم بهاتين اللغتين .بدأت بترجمة كتاب طاهر عماد العراقي من العربية إلى الفرنسية: قصص ورسائل الحكماء وهي عبارة عن (213) حكاية أو قصة قصيرة حول مضامين حياتية مختلفة ثم أردفتها بـ: أساطير وخرافات متداولة من التراث العالمي ثم قصص من القرن التاسع عشر وهي قصص لأشهر كتاب أوروبا في ذلك العهد مقتبسة من مختلف مؤلفاتهم ثم رواية جين أوستين الشهيرة Persuasion ، إقناع، ثم رواية Les vierges de Syracuse عذارى سرقوسة لـ: جان بيرتروي ثم المعطف Le manteau للكاتب الروسي Nicolaï Gogol وها إنني أترجم لكاتب أحببته كثيرا وأعجبت برواياته شابا يافعا وفي سني هذا فيودور دستويفسكي... أوّل عمل له روايته هذه ـ Les gens pauvres (الفقراء) وهي الكلمة المعروفة والفيئة المتواجدة في كل البقاع في عالمنا العربي المفقر. وما أحوجنا إلى الكتابة عنها هذه التي تتسع رقعتها عاما بعد عام والتي كتب عنها فيكتور هيقو ودستويفسكي ومولود فرعون وألفونس دوداي وطه حسين وفرانتز فانون وشارلز ديكنز وجورج أورويل وغيرهم كثير... نسلط عليهم أضواء الرحمة ونشاطرهم أقدارهم وندافع عن وجودهم وكرامتهم وحقهم في العيش الكريم وفي كل مرافق الحياة... النّاس الضعفاء، البسطاء، "الزواوله" بلهجتنا العامية التونسية، لعلنا بذلك نلفت لهم الانتباه وننتشلهم من تحت أقدام

المجتمع أو الغول السياسي أو الاقتصادي الذي يلتهمهم التهاما دون شفقة أو رحمة متعللا وأنه حال الحياة الدّنيا مذ وجد فيها ابن آدم.

الأمجد العثماني

يا لهؤلاء القصاصين! فبدلاً من أن يكتبوا شيئاً مفيداً وممتعاً وترفيهياً يسلطون الضوء على كل ما هو قبيح في الحياة!... ها أنا أمنعهم من الكتابة! هيا، ما هذا الذي يبدو عليه الأمر؟ تقرأ... لا إرادياً تصبح متأملاً - ثم تتبادر إلى ذهنك كل أنواع السخافات؛ في الحقيقة، أنا أمنعهم من الكتابة، أنا أمنعهم من الكتابة منعاً باتاً.

الأمير ف. ف. أودويفسكي.

الثامن من أبريل

عزيزتي فارفارا ألكسيفنا التي لا تقدّر بثمن!

بالأمس كنت سعيدًا، بشكل مفرط. لا يمكن أن أكون أكثر سعادة! على الأقل مرة واحدة في حياتك العنيدة استمعتِ إليّ. في المساء، في الساعة الثامنة استيقظت (أنت تعرفين، ماتوتشكا، أنني أحب أن أنام لمدة ساعتين عند عودتي من المكتب)، و قد أحضرت لنفسي شمعة، وكنت أعد ورقتي وأقلّم ريشتي؛ وفجأة وبالصدفة نظرت إلى أعلى، - حقاً، بدأ قلبي يقفز بشدة! إذن لقد فهمت ما كنت أريده، ما كان قلبي يتوق إليه! أرى أن زاوية صغيرة من الستارة عند نافذتك مرفوعة ومعلقة على إناء البلسم، تماماً كما اقترحت عليك ذلك اليوم! حتى لقد خيل إليّ أنني رأيت وجهك عند النافذة؛ وخيل إليّ أنك تنظرين إليّ أيضاً من غرفة نومك، وأنك تفكرين فيّ أيضاً. وكم كان الأمر مزعجاً بالنسبة لي يا عزيزتي أن لا أتمكن من رؤية وجهك الجميل! كان هناك وقت كنا نرى فيه أيضًا بوضوح، ماتوتشكا. الشيخوخة ليست

سعادة يا صديقتي العزيزة! أما الآن فلا أستطيع أن أرى جيداً؛ فإذا عملت في المساء، أو إذا قمت ببعض الكتابة، فإن عيني في الصباح التالي تحمران وتدمعان؛ بل إنني أخجل من البكاء أمام الغرباء. ومع ذلك، رأيت في مخيلتي ابتسامتك المشرقة يا ملاكي الصغير، ابتسامتك الصغيرة اللطيفة الودودة، وفي قلبي نفس الشعور الذي كان يساورني عندما قبلتك يا فارينكا - هل تذكرين يا ملاكي الصغير؟ أتعلمين يا عزيزتي، حتى أنه بدا لي أنك كنتِ تشيرين بإصبعك إليّ! هل هذا صحيح، مؤذ؟ تأكدي من أن تخبريني بكل شيء بالتفصيل في رسالتك، حسناً، ما رأيك في اختراعنا حول ستارتك يا فارينكا؟ جميل جداً، أليس كذلك؟ عندما أذهب إلى العمل، وعندما أخلد إلى الفراش، وعندما أستيقظ، أعرف أنك تفكرين بي أيضاً، وأنك تتذكرينني، وأنك أنت نفسك بخير وبهجة. تقومين بإنزال الستارة التي تعني: "وداعًا يا ماكار أليكسييفيتش، حان وقت النوم! وترفعينها أنت، وتعني: "صباح الخير يا ماكار أليكسييفيتش؛ كيف نمت؟" أو: "كيف حال صحتك يا ماكار أليكسييفيتش؟ أما أنا، فبفضل الخالق، أنا بخير وسعادة! أترين يا روحي، كيف تتصورين يا نفسي كيف هي صحتي! نحن لا نحتاج حتى إلى الكتابة لبعضنا البعض! عبقري أنا، أليس كذلك؟ !وأنا من جاء بالفكرة! أنا من جاء بها يا لي من رجل لمثل هذه الأشياء، فارفارا أليكسييفنا! أستطيع أن أخبرك يا ماتوتشكا، أنني، على عكس توقعاتي، نمت جيداً الليلة الماضية، وأنا مسرور جداً بذلك؛ كقاعدة عامة، لا تنام جيداً في منزل جديد في أول مرة تنام فيه؛ الأمر سيان وليس الأمر نفسه! هذا الصباح، استيقظت وأنا مرح وسعيد! يا له من صباح جميل لهذا اليوم، ماتوتشكا! الشمس مشرقة، والطيور تغرد، والهواء معطر بروائح الربيع، والطبيعة كلها تنبض بالحياة؛ - حسناً، كل شيء هنا كان متناغماً مثل الربيع، حتى أنني حلمت اليوم بأحلام لطيفة إلى حد

ما، وكلها عنك يا فارينكا. لقد قارنتك بالعصفور الصغير في السماء، الذي خُلِقَ من أجل بهجة البشرية وتزيين الطبيعة. كنت أفكر أيضاً، يا فارينكا، أننا نحن البشر، الذين نعيش في قلق وصخب، يجب أن نحسد السعادة البريئة الهادئة التي تتمتع بها طيور الهواء - وكل أنواع الأفكار من هذا القبيل؛ أعني أنني كنت دائمًا ما أقوم بهذه المقارنات البعيدة. لديّ كتاب "فارينكا"، توجد فيه نفس الأفكار؛ كل ذلك تم تطويره بإسهاب كبير. هذا لأخبرك يا ماتوتشكا أن أحلام اليقظة تأتي في جميع الأشكال والأحجام. ونحن الآن في فصل الربيع؛ حسناً، لدينا أفكار لطيفة ورائعة ولذيذة، ولدينا أحلام رقيقة؛ وكل شيء بلون الورود. هذا ما أردت أن أخبرك به؛ بالإضافة إلى أنني أخذته كله من الكتاب. ويعبر المؤلف عن نفس الأمنية في أبيات شعرية، فيكتب :

لماذا لا أستطيع أن أكون عصفوراً، طيراً جارحاً! الخ، وهناك أفكار أخرى ولكن دعينا نتركها! وأنتِ يا فارفارا أليكسييفنا، أين ذهبتِ هذا الصباح؟ لم أكن قد غادرت إلى مكتبي بعد عندما خرجتِ من غرفتكِ، مثل طائر صغير من السماء؛ لقد عبرتِ الفناء وأنتِ تبدين مبتهجة جداً! كم كان من دواعي سروري أن أنظر إليك! آه، فارينكا، فارينكا! لا تستسلمي للحزن؛ إن الدموع لن تشفي شيئاً؛ أعرف ذلك يا ماتوتشكا، أعرف ذلك عن تجربة. أنت الآن هادئة جداً، وقد تحسنت صحتك قليلاً.

- وفيدورا خاصتك؟ آه، يا لها من امرأة طيبة! اكتبي إليّ يا فارينكا، وأخبريني كيف حالكما وما إذا كنتما سعيدتين في كل شيء. إن فيدورا مزعجة بعض الشيء، ولكن لا تعيري ذلك أي اهتمام يا فارينكا. سامحها الله! إنها فتاة طيبة!

لقد سبق أن كتبت لك عن تيريز، فهي أيضاً امرأة صالحة وموثوق بها. لكنني كنت قلقة بالفعل بشأن مراسلاتنا! كيف ستصل رسائلنا؟ سألت نفسي مرارا؟ والآن

أرسل الله تيريز من أجل سعادتنا. إنّها امرأة طيّبة ولطيفة وهادئة. لكن صاحبة المنزل لا ترحم حقًا. إنها تجعلها تعمل وكأنها عبدة.

يا له من جحر أقحمت نفسي فيه يا فارفارا أليكسييفنا! هذه الشقة! كما تعلمين، لقد اعتدت أن أعيش مثل الناسك - في سلام وهدوء؛ لا يمكن لذبابة أن تطير في منزلي دون أن تسمع صوتها. لكنك لا تعرفين بعد كيف يتم تنظيم كل شيء هنا. تخيلي، على سبيل المثال، ممرًا طويلًا، مظلمًا جدًا وقذرًا جدًا. على يمين هذا الممر جدار صلب، وعلى يساره سلسلة من الأبواب، كما في الفنادق. حسناً، هذه الأبواب هي أبواب المساكن، وكل باب منها يتكون من غرفة واحدة، وفي هذه الغرفة الواحدة يعيش شخصان أو ثلاثة أشخاص. لا تبحثي عن النظام هنا، إنها سفينة نوح! والأكثر من ذلك أن المستأجرين يبدو أنهم أناس طيبون، مثقفون ومتعلمون. وبينهم كاتب (لديه قسم أدبي في مكان ما)، وهو عالم: يتحدث عن هوميروس وبرامبيوس[3] ومختلف الكتاب، يتحدث عن كل شيء؛ - رجل ذكي! هناك أيضًا ضابطان يلعبان الورق طوال الوقت. وهناك ضابطان إنجليزيّان، أحدهما يحمل الراية والآخر يعطي دروسًا. انتظري، سوف أمتعك يا ماتوتشكا؛ في رسالتي القادمة سوف أصفهم وصفاً ساخراً، وبعبارة أخرى سوف أعطيك صورة فردية مفصلة لكل واحد منهم. صاحبة المنزل، - امرأة عجوز صغيرة جداً وقذرة جداً - في خفها وثوبها طوال اليوم؛ وطوال اليوم تضايق تيريز. أنا أعيش في المطبخ، أو بعبارة أفضل، هكذا أعيش، هنا بجانب المطبخ غرفة نوم (وفي بيتنا أعيش هكذا). أو بعبارة أدق: في المطبخ، وهو واسع يستقبل ضوء النهار من ثلاث نوافذ، ويقطعه بالعرض فاصل يجعله كغرفة

3 أحد الدعاة الذين اشتهروا في روسيا في منتصف قرننا هذا تقريبًا، وقد اشترك مع الكونت سولوهوب في كتابة جريدة "لو بليسانت."

جديدة، مسكن زائد عن الحاجة؛ وهذه الغرفة فسيحة مريحة؛ وفيها نافذة - باختصار، إنها مريحة للغاية. حسناً، هذا هو مكاني لأنني قلت إنني أعيش في المطبخ، فلا تبحثي عن معنى غامض وراء كلامي يا ماتوتشكا. في الواقع، إذا أحببت، أنا أعيش في هذه الغرفة، خلف الحاجز، لكن هذا لا شيء، لدي مسكني الخاص حيث أعيش منعزلاً جداً، وهادئاً جداً. لقد وضعت سريراً، وطاولة، وخزانة ذات أدراج، وكرسيين؛ وعلقت على الحائط إطارا[4]. لا شك أن هناك منازل أجمل، بل ربما أجمل بكثير؛ لكن الشيء الرئيسي هو الراحة لقد اخترت هذا المكان لأنه مناسب، ولا أعتقد أنه لشيء آخر. إن نافذتك في الجهة المقابلة، وليس بيننا سوى فناء، وفناء صغير، بحيث يمكن رؤيتك وأنت تمرين من هنا - وهذا السكن بالنسبة لبائس مثلي أكثر بهجة من غيره، فضلاً عن أنه يوفر لي المال. هنا في المنزل، تكلف الغرفة الأكثر تواضعًا، مع طاولة، 35 روبل ورقي. وهذا أكثر مما يمكنني تحمله! أما إيجاري فهو 7 روبلات ورقية، والطاولة تكلفني 5 روبلات فضية، أي 24 ر. ك. 50 ك. و. وكنت في السابق أدفع 30 روبل فقط؛ ومن ناحية أخرى كنت أضطر إلى حرمان نفسي من أشياء كثيرة؛ فلم أكن أشرب الشاي كل يوم، أما الآن فأجدني أجد أن لدي مالاً متبقياً للشاي والسكر. هل تعلمين يا عزيزتي، هنا جميع المستأجرين هم أناس مرتاحون، لهذا السبب يخجل المرء من ذلك. المرء يأخذها من باب الاحترام الإنساني، فارينكا، من أجل النوع، من أجل اللهجة؛ شخصياً لا أهتم بذلك، أنا لست على شفتيّ. الآن احسب مصروف الجيب، - أنت دائماً تحتاج إلى القليل، - أضف تكاليف الأحذية والملابس؛ كم سيتبقى؟ هذا كل راتبي الذي أنفقته. أنا لا أشتكي، أنا راضٍ بما أكسبه. لا يا ماتوتشكا، أنا لست أحمقًا، ولديّ المزاج الذي يليق

4 صورة التقوى.

برجل ذي روح هادئة حازمة وهادئة. وداعاً يا ملاكي الصغير لقد ملأتُ ما يقرب من ورقتين وقد حان الوقت للذهاب إلى العمل. إنني أقبل أصابعك الصغيرة يا ماتوتشكا، وأظل خادمك المتواضع وصديقك المخلص.

ماكار ديفوشكين.

إضافة - لديّ رجاء: أجيبيني، يا ملاكي الصغير، ما دمت تستطيعين. إنني أبعث إليك يا فارينكا رطلاً صغيراً من الحلوى؛ وأرجو أن تشرفيني؛ ولكن، بربّك لا تقلقي علي ولا تبتئسي. الوداع، ماتوتشكا.

الثامن من أبريل

سيد ماكار أليكسيفيتش

هل تعلم أننا سننتهي حتماً إلى نهاية سيئة؟ أقسم لك، يا ماكار أليكسييفيتش الطيب، إنني أجد ألمًا حتى في تلقي هداياك، أعرف كم تكلفك هذه الهدايا، أعرف أنك تقدم أعظم التضحيات لتقدمها لي، وتحرم نفسك من الضروريات. كم مرة أخبرتك أنني لا أحتاج إلى أي شيء، لا شيء على الإطلاق، وأنني غير قادرة حتى على إدراك الفوائد التي أغدقتها عليَّ حتى الآن! ولماذا ترسل لي هذه الأواني؟ هيا، هذا يكفي عن البلسم؛ ولكن ماذا عن إبرة الراعي؟ كل ما عليك فعله هو أن تلقي كلمة صغيرة دون أن تفكر في الأمر، كأن تقول مثلاً عن هذا المسك فتشتريه فوراً؛ ولا شك أن هذه النبتة قد كلفتك الكثير؟ يا لها من زهور جميلة! من أين حصلت على مثل هذه الزهرة الجميلة؟ لقد وضعتها في منتصف النافذة، في المكان الأكثر وضوحًا؛ سأضع سلّمًا على الأرض، وعلى السلّم سأضع المزيد من الزهور، فقط دعني أستغني! فيدورا ليست سعيدة؛ نحن الآن هنا كما لو كنا في الجنة، - غرفتنا نظيفة ومشرقة! حسناً، ولكن لماذا الحلوى؟ حقاً، عندما قرأت رسالتك استطعت أن أعرف على الفور أنك لست في أفضل حالاتك: - الجنة، والربيع، والعطور في الهواء، وزقزقة العصافير الصغيرة. " قلت لنفسي: "أليس هناك ديدان أيضاً؟ في الحقيقة، إن الشيء الوحيد الذي ينقص رسالتك يا ماكار أليكسييفيتش هو الشعر! والأحاسيس الرقيقة، والأحلام الوردية - كل هذا موجود! أما بالنسبة للستارة، فلم أفكر حتى في ذلك؛ ربما تكون قد علقت من تلقاء نفسها عندما حركت الأواني؛ ها

أنت ذا! آه! ماكار أليكسييفيتش! يمكنك أن تقول ما تشاء، ويمكنك أن ترسم ميزانيتك بطريقة تجعلني أعتقد أن كل مواردك مخصصة حصريًا لاحتياجاتك أنت، ولكنك لن تنجح في خداعي. من الواضح أنك تحرم نفسك من كل ما هو ضروري بالنسبة لي، فما هي الفكرة التي لديك على سبيل المثال لتحتل مثل هذا المكان؟ أنت مضطرب، وضيق، وغير مرتاح، وتحب العزلة، ثم ماذا لا يوجد حولك؟ ويمكنك أن تجد مكاناً أفضل بكثير من هذا المكان، نظراً لمعاملة الناس لك. تقول فيدورا إنك كنت تعيش أفضل بكثير مما تعيش الآن. فهل يعقل أن تقضي حياتك كلها في عزلة وفي حرمان دون أن تفرح، ودون أن تسمع كلمة ود من صديق، وتجلس في زاوية مع الغرباء؟ يا صديقي العزيز، كم أشفق عليك! على الأقل اعتنِ بصحتك يا ماكار أليكسييفيتش! تقول إن عينيك تضعف؛ حسنًا، لا تكتب في الضوء بعد الآن. لماذا تكتب؟ لا شك أن حماستك للخدمة معروفة بما فيه الكفاية لرؤسائك بدون ذلك. أتوسل إليك مرة أخرى، لا تنفق الكثير من المال عليّ. أنا أعلم أنك تحبني ولكنك لست غنياً أيضاً... كنت مبتهجة عندما استيقظت اليوم أيضاً. شعرت بسعادة غامرة، فقد كان لدى فيدورا عمل منذ فترة طويلة، وقد أعطتني إياه. كنت سعيدة جدًا، وخرجت فقط لشراء الحرير، ثم شرعت في العمل. كنتُ طوال الصباح مبتهجة ومبتهجة جداً! أما الآن فقد عادت الأفكار المظلمة إلى نفسي، واستولى الحزن والقلق على قلبي مرة أخرى. آه! ماذا سيحل بي؟ ماذا سيكون مصيري؟ إنه لأمر قاسٍ بالنسبة لي أن أعيش في مثل هذا الغموض، وألا يكون لي مستقبل، وألا أستطيع حتى تخمين مصيري في المستقبل. وإذا نظرت إلى الوراء، أشعر بالرعب. مجرد ذكرى ذلك الماضي المؤلم تمزق قلبي. سأظل أشكو دائمًا من الأشرار الذين أضاعوني! لقد حلّ الظلام. يجب أن أعود إلى العمل. لديّ الكثير من

الأشياء لأكتبها لك، لكن الوقت يداهمني، فلديّ عمل ملحّ وعليّ أن أسرع. لا شك أن الرسائل شيء جيد، فهي تجعل الحياة أقل مللاً. لكن ألن تأتي لتبقى معنا؟ لماذا يا ماكار أليكسييفيتش؟ نحن جيران الآن، وأنا متأكدة من أنك ستجد وقت فراغ. تعال من فضلك لقد رأيت تيريزا خاصتك. تبدو مريضة جداً. شعرت بالشفقة عليها وأعطيتها عشرين كوبيك. نعم، لقد كدت أن أنسى: لا تفشل في إعطائي كل التفاصيل التي يمكنك إعطائي إياها عن أسلوب حياتك. من هم الناس من حولك؟ هل أنت على وفاق معهم؟ أريد حقاً أن أعرف كل هذا. لا تفشل في مراسلتي، هل تسمعني؟ اليوم سأقوم برفع زاوية ستارتي عمداً. اذهب إلى الفراش مبكراً قليلاً؛ بالأمس رأيت النور مضاءً في منزلك حتى منتصف الليل. حسناً، وداعاً. اليوم أشعر بالقلق والملل والحزن. يبدو أن بعض الأيام هكذا! وداعاً.

فارفارا دوبروسيلوف

8 أبريل

آنسة فارفارا ألكسيفنا!

نعم يا ماتوتشكا، نعم يا عزيزتي، بالطبع كان اليوم يوم سوء حظ! نعم، لقد سخرت مني، من رجل عجوز، فارفارا أليكسييفنا! إلى جانب ذلك، إنه خطئي، أنا الملام! في هذا العمر الذي وصلت إليه، عندما لم يتبق لي سوى القليل من الشعر في رأسي، ما كان ينبغي أن ألقي بنفسي في علاقات الحب والمراوغات... وسأقولها مرة أخرى يا ماتوتشكا: إن الناس يذهلون أحياناً، يذهلون جداً، ويا لله ما الأشياء التي ننساق إليها أحياناً! ولكن ما الذي يؤدي إليه؟ ما الذي يحققه؟ إنها تؤدي إلى لا شيء على الإطلاق! والنتيجة الوحيدة الهراء الذي نعوذ بالله منه! أنا لست غاضباً يا ماتوتشكا، كل ما في الأمر أنني منزعج جداً من تذكر كل هذا، ومنزعج جداً من كتابتي لك بهذه العبارات المجازية والسخيفة! كنت اليوم مبتهجًا جدًا، ومندفعًا جدًا في طريقي إلى الخدمة، وكان قلبي كما لو كان قد أضاء. وبدون سبب على الإطلاق، كان هناك مثل هذه الفرحة في روحي؛ شعرت بالسعادة! شرعت في عملي بإخلاص، ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟ بمجرد أن ألقيت نظرة حولي، بدت الأشياء كما كانت دائمًا - رمادية ومظلمة. ما زالت نفس بقع الحبر نفسها، وما زالت نفس الطاولات التي تحمل نفس الأوراق، وما زلت أنا نفسي! هكذا كنتُ أنا، فلماذا ركبتُ حصان بيغاسوس؟ لكن ما الذي أدى إلى كل هذا؟ كانت الشمس مشرقة والسماء زرقاء! هذا هو السبب، أليس كذلك؟ وأنا سأتحدث عن الروائح العطرية، بينما في فنائنا، وتحت نوافذنا، الله أعلم بما لا تجده! بالطبع، لقد ظهر لي كل هذا في نوبة من الجنون على

هذا النحو. ولكن يحدث للإنسان أحياناً أن يخدع نفسه عن أحاسيسه الخاصة ويضرب في غير موضعه. ولا ينشأ ذلك من شيء آخر غير حرارة القلب الغبية المبالغ فيها. عدت إلى مكاني، أو بعبارة أفضل، جررت نفسي إلى هناك؛ فقد أصابني فجأة صداع، وربما أدى شيء إلى شيء آخر (ربما أصابتني نوبة هوائية). بحماقة، كنت أتطلع إلى قدوم الربيع وخرجت مرتدياً معطفاً خفيفاً جداً. أنت أيضاً يا عزيزتي أسأت فهم مشاعري! مخدوعة بحماستهم، أسأتِ تفسيرها. إنها عاطفة، أبوية العاطفة الأبوية التي أوحت بكلماتي، لا شيء سوى أنقى عاطفة أبوية يا فارفارا أليكسييفنا. إنني بالفعل أقوم مقام الأب بالنسبة لك، بما أنك لسوء حظك يتيمة؛ أقول هذا من أعماق نفسي، وبصدق من قلبي، كوالد. إنني أدرك جيداً أننا لا تربطنا إلا قرابة بعيدة، وأننا كما يقول المثل: (لا بد من مائة رابطة حتى نكون من فرع واحد)؛ ولكن مهما يكن من أمر، فإن روابط الدم لا تقل ما يربطني بك، وأنا الآن أقرب أقربائك وحاميتك الطبيعية، لأنك حيث كان لك الحق الأكبر في طلب الحماية والدفاع، لم تجدي إلا الخيانة والإهانة. أما عن الأبيات، فأستطيع أن أقول لك يا ماتوتشكا إنه في مثل سني هذا لا يليق أن أنغمس في هذا التمرين. الأبيات هراء! حتى في المدارس في هذه الأيام يجلدون الأطفال الذين يصنعونها ... هذا هو الشعر يا عزيزتي. ماذا تقولين في رسالتك يا فارفارا أليكسييفنا عن الراحة والهدوء وما إلى ذلك؟ أنا لست متطلبا يا ماتوتشكا؛ أنا لم أعش قط أفضل مما أعيشه الآن، فلماذا أبدأ الآن في التظاهر بالاشمئزاز؟ أنا أتغذى وأرتدي ملابسي، أرتدي ثيابًا رخيصة؛ فما حاجتي إلى البحث عن الأوهام؟ - أنا لست ابن الكونت! - إن أبي لم يكن ينتمي إلى طبقة النبلاء، وعلى الرغم من أنه كان مسؤولاً عن أسرته، فإنه لم يكسب ما أكسبه أنا. أنا لست شخصا مخنثاً! كما أن الحقيقة أن كل شيء كان أفضل في شقتي

القديمة، ولا مجال للمقارنة؛ فقد كنا أكثر راحة هناك يا ماتوتشكا. ولا شك في أن مسكني الحالي جيد أيضاً، بل وأكثر بهجة في بعض النواحي؛ وإن شئت فقل إنه أكثر تنوعاً؛ ولا أقول غير ذلك، ولكني أفتقد القديم نحن كبار السن نرتبط بالأشياء القديمة كما لو كان ذلك من باب التعاطف الطبيعي. كانت هذه الشقة، كما تعلمين، صغيرة جداً؛ كانت الجدران... - هيا، لماذا الحديث عنها؟ - لقد كانت الجدران كأي جدران أخرى، لا يتعلق الأمر بها؛ ولكن ها هي ذي أي ذكرى لماضيّ تحزنني ... غريب! إنه شعور مؤلم، ومع ذلك هناك نوع من الحلاوة فيه. حتى ما كان سيئاً، وما كان يغيظني أحياناً، لم يعد سيئاً في ذكرياتي ويقدم نفسه لخيالي تحت مظهر جذاب. كنا نعيش في هدوء، فارينكا، أنا وصاحبة البيت، وهي امرأة عجوز توفيت الآن. كانت امرأة طيبة، ولم تكن تتقاضى الكثير مقابل الإيجار. وكانت طوال الوقت تحيك البطانيات بالإبر الطويلة؛ ولم يكن لديها أي مهنة أخرى. عاشت حفيدتها ماشا معها. ما زلت أتذكرها وهي طفلة؛ لا بد أنها في الثالثة عشرة من عمرها الآن. لقد كانت طفلة مبهجة ومرحة جدًا، وكانت دائمًا ما تضحكنا؛ حسنًا، لقد عشنا ثلاثتنا هكذا. في أمسيات الشتاء الطويلة، كنا نجلس حول الطاولة المستديرة ونشرب كوبًا من الشاي ثم نبدأ العمل. وللتأكد من أن ماشا لم تكن تشعر بالملل، ولإبقائها هادئة، كانت السيدة العجوز تبدأ في سرد القصص. و يا لها من قصص! لم يكن الطفل وحده، بل حتى الرجل العاقل الذكي كان يستمع إليها باهتمام. أشعلت غليوني واهتممت كثيراً بالقصص لدرجة أنني نسيت كل شيء عن عملي. وكانت الطفلة، طفلتنا الصغيرة، دائما متأملة، تضع خدها الوردي على قيدها الصغير، وتفتح فمها الجميل، وإذا كانت القصة مخيفة بعض الشيء، كان عليك أن تراها وهي تمسك العجوز! لقد كان من دواعي سرورنا أن نشاهدها، ولم نكن

ندرك أن الشمعة قد انطفأت أو نسمع هدير الإعصار في الخارج. - لقد عشنا حياة طيبة يا فارينكا، وهكذا قضينا ما يقرب من عشرين عاماً معاً. - ولكن لماذا كل هذه الثرثرة؟ لعلك لا تحبين مثل هذا الموضوع، وليس الأمر أن هذه الذكريات تبهجني، ولا سيما الآن: فالليل قد أقبل، وتيريز تتجول في الغرفة، ورأسي يؤلمني وظهري قليلاً، ويبدو أنني أعاني من هذه الأفكار الغريبة؛ إنني كئيب اليوم يا فارينكا! - ما الذي تكتبين لي عنه يا عزيزتي؟ كيف يمكنني الذهاب إلى منزلك؟ يا صديقتي، ماذا سيقول الناس؟ عليك أن تعبر الفناء، وسيلاحظ الجيران ذلك، وسيبدؤون بطرح الأسئلة، وسيبدؤون بالتعليقات والثرثرة وسيفسرون الحقيقة بشكل خاطئ. لا، يا ملاكي الصغير، أفضل أن أراك غداً في أول صلاة الغروب؛ سيكون ذلك أكثر حكمة وأقل مساومة لكلينا. اعذريني يا ماتوتشكا لكتابتي لك مثل هذه الرسالة؛ أستطيع أن أرى عند إعادة قراءتها كم هي غير متماسكة. أنا رجل عجوز غير متعلم، يا فارينكا؛ لم أدرس عندما كنت شاباً، والآن لا شيء يخطر ببالي إذا حاولت أن أتعلم. إنني أعترف يا ماتوتشكا بأنني لا أملك موهبة وصفية، وأعلم أنني إذا أردت أن أكتب شيئاً طريفاً دون أن أنتقد أو أسخر من أحد فسَأُراكِمُ السخف على السخف - رأيتك اليوم عند نافذتك، ورأيتك تسدلين الستارة. الوداع، الوداع، ليحفظك الرب! الوداع، فارفارا أليكسييفنا، صديقك المترفع، غير المهتم.

ماكار ديفوشكين

إضافة - عزيزتي، لن أكتب أي هجاء عن أي شخص الآن. أنا عجوز، ماتوشكا، فارفارا أليكسييفنا، أكبر من أن أنغمس في الهجاء التافه. وكما يقول المثل الروسي: "من يحفر حفرة للآخرين يقع فيها هو نفسه".

9 أبريل

السيد ماكار أليكسييفيتش!

حسناً، كيف لا تخجل يا صديقي وصديقي المحسن ماكار أليكسييفيتش أن تحزن هكذا على لا شيء؟ هل من الممكن أن تشعر بالألم؟ آه، إنني متهورة في كثير من الأحيان، ولكنني لم أكن أعتقد أنك سترى في كلماتي سخرية خبيثة. يمكنك أن تكون على يقين من أنني لن أسمح لنفسي أبداً بأن أسخر من عمرك أو من شخصيتك. وكل ذلك يرجع إلى شرودي الذهني، وفوق كل شيء إلى حقيقة أنني أشعر بالملل الشديد؛ وعندما تشعر بالملل فما الذي لا تستطيع فعله؟ لكنني ظننت أنك قصدت في رسالتك أن تضحك. أصبحت حزينة جدا عندما رأيت أنني أغضبتك. كلا، يا صديقي العزيز والمحسن، إنك مخطئ إذا كنت تظنني متبلدة الإحساس وناكرة للجميل. أنا أعرف في قلبي كم فعلتَ من أجلي بحمايتي من الأشرار الذين يضطهدونني ويكرهونني. سأصلي من أجلك إلى الأبد، وإذا ما وصلت صلاتي إلى الله، وإذا ما سمعتها السماء، فستكون سعيدًا.

أنا مريضة جدًا اليوم. أشعر بحرارة حارقة وبرد شديد بالتناوب. فيدورا قلقة جدا علي. أنت مخطئ بعدم التجرؤ على المجيء إلى منزلنا يا ماكار أليكسييفيتش. من يهتم بالآخرين؟ نحن نعرف بعضنا البعض، هذا يكفي! الوداع، ماكار أليكسييفيتش. لا أعرف ماذا أكتب لك غير ما كتبت؛ بالإضافة إلى ذلك، سيكون من المستحيل بالنسبة لي أن أستمر: أنا أتألم كثيرًا. أرجوك مرة أخرى ألا تغضب مني وأن تؤمن

بالاحترام والتعلق الثابتين اللذين أتشرف بأن أكون خادمتك الأكثر إخلاصاً وتواضعاً.

فارفارا دوبروسيلوف.

12 أبريل

آنسة فارفارا أليكسييفنا!

آه، ماتوشكا، ما خطبك؟ أنتِ دائماً ما تخيفينني! في كل من رسائلي أخبركِ أن تأخذي الأمور بروية، وأن تتستري جيداً، ولا تخرجي في الطقس السّيئ؛ يجب أن تأخذي كل الاحتياطات - وأنتِ ترفضين الاستماع إليّ يا ملاكي الصغير. عزيزتي، أنتِ حقاً مثل الطفل! أنتِ ضعيفة، لستِ أقوى من حزمة من القش، أعرف ذلك. أقل رياح كافية لتجعلكِ مريضة. حسناً، عليك أن تكوني حذرة، وأن تعتني بصحّتك، وأن تتجنّبي خطر الوعكة ولا تسبّبي القلق لأصدقائك.

ماتوتشكا، لقد أعربت عن رغبتك في معرفة المزيد عن أسلوب حياتي ومحيطي. يسعدني أن أجيبك يا صديقتي. سأبدأ من البداية يا ماتوتشكا: سيكون هناك المزيد من الترتيب. بادئ ذي بدء، مدخل منزلنا نظيف، والسلالم مقبولة للغاية، وخاصة درج الممرات، وهو نظيف ومشرق وواسع ومصنوع بالكامل من الحديد الزهر و الماهوجني.. ومن ناحية أخرى، لا تدعني أبدأ الحديث عن الدرج الخلفي: فهو حلزوني ورطب وموحل؛ فالسلالم متهالكة والجدران دهنية لدرجة أن يدك تلتصق بها عندما تتكئ عليها. ستجد في كل هبوط صناديق وكراسي وخزائن في حالة سيئة، وخرق متناثرة، ونوافذ مكسورة الألواح؛ هناك أحواض وكل أنواع القذارة: الطين والكنس وقشور البيض وأحشاء السمك؛ الرائحة معدية... باختصار، إنها مقززة.

لقد سبق أن وصفت لك تصميم الغرف، ولا داعي للقول، إنها مريحة، هذه هي الحقيقة؛ وللأسف فإن الجو خانق في هذه الغرف. ليس الأمر أن رائحتها كريهة،

بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكن يمكنك أن تشم إذا سمحت لي رائحة عفن. في البداية يكون الانطباع غير سارّ، لكنه لا شيء؛ فقط ابقَ معنا لبضع دقائق، وستزول الرائحة دون أن تلاحظ، لأنك أنت نفسك ستشم رائحة كريهة؛ ستكون الرائحة في ملابسك وعلى يديك وفي كل مكان من جسدك - وستعتاد عليها. من حيث أتيت، عندنا تموت عصافير الكناري منها. هذا خامس واحد يشتري اللافتة بالفعل - هواءنا ببساطة سيّء لهم. مطبخنا كبير وواسع ومشرق. صحيح أنه في الصباح، عندما نقلي السمك أو نشوي اللحم، تكون هذه الغرفة مليئة بأدخنة الفحم بشكل أو بآخر، ثم نلقي بالماء في كل مكان؛ ولكن في المساء يكون جنة. في مطبخنا، هناك دائمًا غسيل قديم معلق على الحبال، وبما أن شقتي ليست بعيدة، أو بالأحرى بما أنها مجاورة للمطبخ، فإن رائحة الغسيل تزعجني قليلًا؛ ولكن هذا لا شيء: ستعتاد على ذلك على المدى الطويل. في الصباح الباكر يا فارينكا، تبدأ الضجة في منزلنا، يستيقظ الناس باكرا ويذهبون ويجيئون ويطرقون الباب، ويحين وقت نهوض الجميع من الفراش والذهاب إلى حيث يجب أن يذهبوا، هذا إلى الخدمة، وذاك إلى مكان آخر؛ وقبل ذلك يتناول الجميع الشاي. وبما أن صاحبة المنزل لا تملك سوى عدد غير كافٍ من السّماور أو الأباريق، فإن نفس السماور يستخدمه المستأجرون المختلفون بالتناوب، وإذا سبق أحدهم دوره فيغسل رأسه على الفور. هذا ما حدث لي في المرة الأولى، و ... على أي حال، ما الفائدة من الحديث عن ذلك، لقد تعرفت على الجميع هنا، بدءاً من حامل الراية. أخبرني كل شيء عن شؤونه وعن أبيه وأمه وأخته المتزوجة من قاضٍ في تولا، وبلدة كرونستاد ووعدني بحمايتي في جميع الظروف، ودعاني على الفور إلى منزله لتناول الشاي. وجدته في غرفة يجتمع فيها عادةً سكان المنزل للعب الورق. قدموا لي الشاي هناك، وأصروا على أن ألعب معهم لعبة الحظ.

لا أعرف ما إذا كانوا يسخرون مني أم لا، لكنهم هم أنفسهم كانوا يلعبون طوال الليل، وكانت اللعبة قد بدأت بالفعل عندما دخلت. كان الطباشير وأوراق اللعب والكثير من الدخان يملأ الغرفة لدرجة أنه كان يؤلم عيني. عندما لم أبدأ اللعب، أخبروني بأنني كنت أتظاهر بأنني الفيلسوف. ثم لم يتحدث إليّ أحد مرة أخرى، وهو ما أسعدني في الحقيقة. لن أذهب إلى مكانهم بعد الآن؛ فهم مقامرون من حيث المبدأ! أنظر، الموظف الذي لديه قسم أدبي يقيم الحفلات أيضاً، ولكن في مكانه كل شيء يسير على خير ما يرام، فاللقاءات بريئة ومناسبة وطيبة جداً. حسناً، فارينكا، أود أن أشير بشكل عابر إلى أن صاحبة المنزل امرأة مقرفة، والأكثر من ذلك، ساحرة حقيقية. هل رأيت تيريز؟ حسناً، ما هي حقاً؟ إنها نحيفة كالدجاجة المنتوفة. كل أعمال المنزل يقوم بها شخصان: تيريز وفالدوني، خادم صاحبة المنزل. لا أعرف، ربما لديه اسم آخر، ولكن هذا هو الاسم الذي يناديه به الجميع. فالدوني هذا ذو الشعر الأحمر والعين الواحدة والعنيد، وهو عنيد نوعًا ما : فهو دائمًا ما يتشاحن إن لم يكن يتشاجر مع تيريز. بشكل عام، ليس من دواعي سروري البقاء هنا... أنه في الليل يجب أن يكون جميع المستأجرين نائمين في نفس الوقت - وهذا لا يحدث أبدًا. هناك دائمًا أشخاص يلعبون الورق في مكان ما، وأحيانًا تحدث أشياء لا تجرؤ على إخبار أحد بها. لقد اعتدت الآن على ذلك بعض الشيء، لكنني لا أفهم كيف يمكن للمتزوجين أن يتحملوا مثل هذا الصخب. تحتل عائلة كاملة من الشياطين المساكين غرفة في منزل صاحبة البيت، إلا أنها ليست إحدى الغرف المطلة على الممر؛ إنهم يسكنون في الجانب الآخر، في زاوية، بعيداً عن الطريق. إنهم أناس هادئون. لا أحد يسمع عنهم شيئا أبداً. يعيشون في غرفة واحدة ذات حاجز. رب الأسرة موظف فقد وظيفته؛ لقد فُصل من عمله منذ سبع سنوات، ولا أعرف السبب. اسمه

جورتشكوف؛ إنه رجل صغير الحجم ذو شعر أبيض، يرتدي بدلة قذرة ورثة لدرجة يصعب النظر إليها؛ ملابسه أسوأ من ملابسي! إنه ضعيف جداً، ومثير للشفقة (نلتقي أحياناً في الممر)؛ ركبتيه ترتجفان، ويداه ترتعشان، ورأسه يرتجف؛ هل هو من أثر مرض ما؟ الله أعلم؛ إنه خجول، خائف من الجميع، يمشي على الهامش؛ أنا أيضًا خجول أحيانًا، ولكن ليس إلى هذا الحد. وتتألف أسرته من زوجته وثلاثة من أولاده: أما أكبرهم وهو صبي فهو صورة أبيه الذي يبدو بائساً هو الآخر. ولا بد أن الزوجة كانت ميسورة الحال في الأيام الخوالي، فلا تزال لديها بعض البقايا الجميلة؛ أما الفتاة التعيسة فترتدي مثل هذه الخرق البائسة! وحسبما سمعت فإنهما مدينان لصاحبة المنزل بالامتنان؛ فهي ليست لطيفة جداً معهما وقد سمعت أيضاً أن جورتشكوف قد واجهته بعض المشاكل التي ربما أدت إلى فصله من العمل... حسناً، وداعاً يا صديقتي الصغيرة، يا صديقتي فارينكا التي لا تقدر بثمن! لقد وصفت لك كل شيء بقدر استطاعتي. لم أفكر طوال اليوم في شيء سواك. أنا في عذاب دائم بشأنك يا عزيزتي. خذي يا روحي الصغيرة، أعلم أنك لا تملكين معطفاً من الفرو. أوه، إن ينابيع بطرسبورغ هذه، برياحها وزخاتها الصغيرة الممزوجة بالثلج - إنها تميتني يا فارينكا! فليحفظني الله من هذه الحرارة الرطبة! تساهلي يا دوشيتشكا مع أسلوبي في الكتابة؛ ليس لي أسلوب يا فارينكا، ليس لي أسلوب على الإطلاق. أنا أكتب الهراء الذي يخطر ببالي، فقط لأبهجك قليلاً. لو كنت قد تلقيت أي تعليم، لكان شيئاً آخر؛ ولكن أي تعليم تلقيته؟ إن تعليمي لم يكلفني الكثير، حتى بالنقود.

صديقك المخلص إلى الأبد

ماكار ديفوشكين.

25 أبريل

السيد ماكار أليكسييفيتش!

قابلت اليوم ابنة عمي ساشا! كم هو فظيع! سوف تضيع هي الأخرى، المسكينة! علمت أيضًا بشكل غير مباشر أن آنا فيدوروفنا لا تزال تسأل عني. يبدو أنها لن تتوقف أبدًا عن اضطهادي. إنها تقول إنها تريد أن تسامحني، وأن تنسى كل ما يتعلق بالماضي، وأنها ستأتي لرؤيتي بالتأكيد، وتقول: "إنك لست قريبتي على الإطلاق، وإنني أقرب الناس إليك، وإنه لا يحق لك أن تتدخلي في علاقاتنا العائلية، وإنه من المخجل وغير اللائق أن أقبل صدقاتك وأن تكوني أنت من يعولني... إنها تقول إنني نسيت كرم ضيافتها، وإنه لولاها لكنت أنا وأمي قد متنا من الجوع، وإنها أعطتنا الطعام والشراب، وإننا كنا نكلفها مالاً لأكثر من سنتين ونصف، وإنها قد سامحتنا بديننا. حتى أنها لا تعفو عن أمي! ولو علمت المسكينة ما فعلته بي! الله أعلم! تقول آنا فيدوروفنا إنني بغبائي أضعت فرصة للسعادة، وإنها هي نفسها قد وضعتني على طريق السعادة، وإنه ليس لديها ما تلوم نفسها عليه، وإنني غير قادرة أو ربما غير راغبة في الدفاع عن شرفي. ومن هو المخطئ هنا، يا إلهي! إنها تقول أن السيد بيكوف على حق تماماً، وأنه لا نستطيع أن نتزوج من أي فتاة شابة وهي..... ولكن لماذا كتبت ذلك؟ إن سماع مثل هذه الأكاذيب قاسية يا ماكار أليكسييفيتش! لا أعرف ما خطبي الآن. لقد استغرقت ساعتين لكتابة هذه الرسالة. اعتقدت أن آنا فيدوروفنا ستعترف على الأقل بأخطائها تجاهي، وها هي تتحدث هكذا الآن! - بالله عليك، لا تقلق يا صديقي، يا حاميّ الوحيد! فيدورا تبالغ: أنا لست مريضة. لقد أصابتني

رعشة خفيفة بالأمس فقط عندما ذهبت إلى فولكوفو لأقيم قداسًا لأمي. لماذا لم تأت معي؟ - لقد طلبت منك ذلك بإلحاح! آه يا مسكينة، يا مسكينة يا أمي، لو أنك خرجت من القبر، لو أنك تعلمين، لو أنك ترين ما فعلوه بي!

ف.د.

20 أيار/مايو

عزيزتي فارينكا!

سأرسل إليك القليل من العنب يا دوشيتشكا؛ يقولون إنه جيد للنقاهة ويوصي به الطبيب لإطفاء العطش؛ إذن فهو للعطش فقط. في ذلك اليوم، كنت في مزاج جيد لتناول بعض الورود؛ حسنًا، سأرسلها لك الآن. هل لديك شهية يا ماتوتشكا؟ - هذا هو الشيء الرئيسي. إلى جانب ذلك، يجب أن نحمد الله على أن كل شيء قد انتهى، وأن مصائبنا قد انتهت أيضًا. لنشكر السماء! أما بالنسبة للكتب، فلم أتمكن حتى الآن من الحصول عليها في أي مكان. يقولون إنه كتاب جيد، مكتوب بأسلوب رفيع جداً؛ يقولون إنه عمل جيد، وأنا لم أقرأه بنفسي، ولكنهم هنا يثنون عليه ثناءً عظيماً. لقد طلبته لنفسي، وسوف يرسلونه لي، فهل ستقرأه أنت فقط؟ أنت متطلبة من هذه الناحية؛ من الصعب إرضاء ذوقك؛ أنا أعرفك يا عزيزتي؛ ربما لا تريدين إلا الشعر، والتنهدات، والحب؛ - حسناً، سأحضر لك الأبيات، سأحضر لك كل شيء؛ هناك بعض القصائد المنسوخة في دفتر. أنا أعيش بشكل جيد، لذا أرجوك لا تقلقي بشأني يا ماتوتشكا. كل ما أخبرتك به فيدورا عني هو هراء. يمكنك أن تخبريها أنها كانت تكذب - تأكدي من أن تخبري تلك المتاجرة بالنميمة بذلك! أنا لم أبع بزتي الجديدة على الإطلاق، ولماذا، احكمي بنفسك، هل سأبيعها؟ يقولون إنني سأحصل على مكافأة قدرها أربعون روبل فضي، فلماذا أتخلى عن أشيائي؟ لا تقلقي يا ماتوتشكا - إن فيدورا تراودها الأفكار، إنها مرتابة. يمكننا أن نعيش مع أنفسنا يا عزيزتي! فقط تحسني يا ملاكي الصغير، بحق الله، تحسني ولا تزعجي رجلاً

عجوزاً. من أخبرك أنني فقدت وزني؟ هذا افتراء، افتراء آخر! إنني أبلي بلاءً عجيباً، وقد زاد وزني كثيراً حتى بدأت أشعر بالخجل من نفسي؛ لقد زاد وزني تقديريا، أنا متخم حتى الخياشيم: الشيء الوحيد الذي يجب أن تتحسني! الوداع يا ملاكي الصغير، أقبّل كل أصابعك الصغيرة وأظل صديقك الأبدي الذي لا يتغير.

ماكار ديفوشكين

إضافة - بالمناسبة يا دوشينكا، لماذا تستمرين في العودة إلى هذا؟ يا له من جنون! ولكن كيف يمكنني أن أذهب وأراك في كثير من الأحيان، ماتوشكا؟ كيف؟ أنا أسألك. إلا إذا كنت تستغلين ظلام الليل؛ ولكن في هذا الفصل، لا يكاد يكون هناك ليل. لا شك يا ماتوتشكا يا ملاكي الصغير، طالما طال مرضك، وطالما كنت غائبة عن الوعي، فلا أكاد أتركك لحظة واحدة؛ ولكني لا أدري كيف كنت أتدبر أمري؛ ثم انقطعت عن زياراتي لأن الفضول قد أثير، وبدأ الناس يتساءلون. هناك بالفعل ما يكفي من القيل والقال هنا.

أنا أعتمد على تيريز، فهي ليست كثيرة الكلام؛ ولكن على كل حال، فكري في نفسك يا ماتوشكا، ماذا لو عرفوا كل أمورنا؟ ماذا سيظنون ويقولون عندئذ؟ - فثبتي نفسك على قلبك الصغير يا ماتوشكا، وانتظري حتى تتحسن حالتك؛ ثم نلتقي في مكان ما خارج المنزل.

الأول من يونيو

عزيزي ماكار أليكسييفيتش!

رغبة مني في أن أفعل لك شيئاً لطيفاً رداً لكل ما أبديته لي من مودة، وكل ما تحملته من عناية وعناء، فقد تجاوزت أخيراً ملل البحث في خزانة أدراجي والبحث عن دفتري الذي أبعثه إليك الآن. عندما بدأتها، كنت لا أزال في الأيام السعيدة من حياتي. لقد سألتني مرات كثيرة أسئلة فضولية عن حياتي الماضية، وعن أمي، وعن بوكروفسكي، وعن إقامتي مع آنا فيدوروفنا، وعن مصائبي الأخيرة، وقد أبديت رغبة شديدة في قراءة هذه المخطوطة التي دونت فيها - والله أعلم لماذا - لحظات قليلة من حياتي، حتى أنني واثقة من أنني سأمنحك متعة كبيرة بإرسالها إليك. ولكن عندما أعدت قراءتها، شعرت ببعض الحزن. أعتقد أنني قد كبرت في السن مرتين منذ أن كتبت آخر تدوينة من هذه المذكرات. وداعاً يا ماكار أليكسييفيتش! أشعر بالملل الشديد الآن، وغالبًا ما يعذبني الأرق. فترة النقاهة مملة للغاية!

ف. د

I

كنت في الرابعة عشرة من عمري فقط عندما توفي والدي. كانت طفولتي أفضل أوقات حياتي. كانت بعيدًا عن بطرسبورغ، في المقاطعات، في بلد ضائع. كان والدي وكيلاً للعقار الشاسع الذي كان يملكه الأمير ب... في حكومة ت... وكنا نعيش في إحدى القرى التابعة للأمير، في غفلة سعيدة وهادئة... كنت طفلة صغيرة مؤذية جداً؛ وكان كل ما أفعله هو التجول في الحقول والغابات والحدائق، ولم يكن أحد يراقبني، وكان أبي منهمكاً في العمل باستمرار، وكانت أمي تعتني بالبيت؛ ولم يكن أحد يعلمني شيئاً، وكنت مسرورة بذلك. كنت أركض في الصباح الباكر إلى البركة أو الغابة، كنت أهرب من القرية دون أن أعرف إلى أين أنا ذاهبة، ودون أن أبالي بحرارة الشمس، ودون أن أبالي بشجيرات الشوك التي كانت تمزق وجهي وتمزق ثيابي إلى أشلاء، وعندما كنت أعود إلى البيت كنت أتعرض للتوبيخ ولكني لم أبالِ، ويبدو لي أنني كنت سأكون في غاية السعادة لو أنني قضيت حياتي كلها في هذا الريف دون أن أغادره أبداً. ولكن عندما كنت لا أزال طفلة، أُجبرت على مغادرة المكان الذي ولدت فيه. كنت في الثانية عشرة من عمري فقط عندما انتقلنا إلى بطرسبورغ. آه، كم أتذكر بأسى استعداداتنا المؤلمة للرحيل! كم بكيت وأنا أودع كل ما كان عزيزًا عليّ! أتذكر أنني ألقيت بنفسي حول عنق والدي وتوسلت إليه باكية أن يبقى في القرية لفترة أطول قليلاً. بدأ أبي في توبيخي، وبكت أمي، وقالت إن علينا أن نغادر، وأن عملنا يتطلب ذلك. كان الأمير العجوز ب... السماء قد مات. كان ورثته قد أخذوا وظيفة والدي. كان قد استثمر بعض المال في بيتر بورغ في مشاريع مالية، وعلى أمل تحسين وضعه المالي، شعر أن عليه الانتقال إلى هنا. علمت كل هذا لاحقًا من

والدتي. واستقر بنا المقام هنا في بيتربورغسكايا ستورونا، ولم نغير عنواننا أبدًا طوال حياة والدي. كم هو صعب عليّ أن أعتاد على حياة جديدة! وصلنا إلى بطرسبورغ في الخريف. عندما غادرنا الريف، كان اليوم جميلًا جدًا، وصافيًا جدًا، ودافئًا جدًا! كان العمل في الحقول قد شارف على الانتهاء، وكانت أكوام القمح الضخمة قد بدأت ترتفع بالفعل، وكانت أسراب الطيور الزاعقة تتدفق حولها. وهنا، عندما دخلنا المدينة، وجدنا طقساً سيئاً ومطراً وصقيعاً خريفياً غير صحي، ومجموعة من الوجوه الجديدة غير المألوفة وغير المستقرة وغير المستاءة والمزعجة. نظمنا أنفسنا قدر المستطاع. أتذكر كل متاعب الانتقال. لم يكن والدي في المنزل أبدًا ولم تحظ أمي بدقيقة راحة - كنت منسيّة تمامًا. كم كنت حزينة عندما استيقظت بعد أول ليلة في منزلنا الجديد! كانت نوافذنا تطل على جدار مطلي باللون الأصفر. كان الشارع موحلًا دائمًا. كان المارة نادرين، وكان الجميع يرتدون ملابسهم بعناية شديدة، وكان الجميع يشعرون بالبرد الشديد... في المنزل، مر اليوم بأكمله في كرب وملل رهيب. من حيث العائلة والأصدقاء، لم نرَ أحدًا تقريبًا. كان والدي على خلاف مع آنا فيدوروفنا (كان مدينًا لها بشيء ما). غالبًا ما يأتي الناس إلى أعمالهم. وعادة ما كانوا يتجادلون ويصرخون ويحدثون ضجة. بعد كل زيارة، كان والدي يكون في مزاج سيئ للغاية؛ كان حاجباه معقوفين، وكان يتجول من زاوية إلى أخرى لساعات طويلة دون أن ينطق بكلمة واحدة. عندما كان يحدث ذلك، كانت أمي لا تجرؤ على التحدث إليه وتلتزم الصمت. كنت أجلس في مكان ما في زاوية صغيرة، وعيناي مثبتتان على كتاب، وكنت أجلس ساكنة في مكان ما خائفة من القيام بأدنى حركة. بعد ثلاثة أشهر من وصولنا إلى بطرسبورغ، أُرسلت إلى مدرسة داخلية. ومنذ البداية وجدت أن وجودي بين الغرباء أمر مزعج للغاية؛ فقد كان البيت كله جافاً

غير مرحب به؛ وكانت المربيات يوبخنني والشابات يسخرن مني! فالقواعد الصارمة والدقيقة، والالتزام بالقيام بكل شيء في وقت محدد، والوجبات الجماعية، والمعلمون الذين لا يعبؤون بالآخرين، كل هذا كان عذاباً لي منذ اللحظة الأولى. لم أستطع حتى النوم في المدرسة الداخلية. بكيت طوال الليل، ليلة طويلة وباردة ومملة. وفي المساء كان التلاميذ يتدربون أو يراجعون ويتعلمون دروسهم؛ وكنت أدرس حواراتي أو مفرداتي، ولم أكن أجرؤ على الحركة، ولكني كنت أفكر دائماً في بيتنا في منزلنا، في أبي وأمي وخادمتي العجوز وقصصها... آه، كم كان قلبي ثقيلًا! كنت سعيدة بتذكر حتى أتفه الأشياء في بيتنا. كم سيكون من الجميل أن أكون في المنزل الآن"، ظللت أقول لنفسي وأنا جالسة في غرفتنا الصغيرة، أمام السماور، بجانب والديّ! سأشعر بالدفء والراحة في هذه البيئة المألوفة! كم سأحتضن أمي بحنان الآن! عند هذه الأفكار، مرارة تتدفق الدموع المريرة إلى عينيك، وتبكين بهدوء وتخنق نحيبك، وتتوقفين عن التفكير في المفردات. ولا تتعلمين درس اليوم التالي؛ وطوال الليل تحلمين بالمعلمة، وبالسيدة، وبالسيدات الصغيرات؛ وطوال الليل تكررين دروسك في أحلامك، وفي اليوم التالي لا تعرفين شيئاً. يضعونك على ركبتيك، ويأخذون منك نصف عشاءك. كنت حزينة جدًا، ضجرة جدًا! في البداية، كانت جميع الفتيات يسخرن مني ويضايقنني ويزعجنني عندما أقرأ دروسي، ويقرصنني عندما نصطف في قاعة الطعام، ويشتكينني إلى المعلمة من غير سبب. من ناحية أخرى، كان الأمر أشبه بالجنة عندما كانت تأتي النيانيا لاصطحابي في أمسيات السبت! عندها كنت أعانق خادمتي العجوز في ابتهاج. كانت تلبسني وتغطيني بدفء؛ وفي الطريق لم تكن تستطيع اللحاق بي، وكنت أتجاذب معها أطراف الحديث طوال الوقت، وأحكي لها كل شيء، فأصل إلى البيت فرحاً مبتهجاً؛ وأحتضن والديّ كما

كنت أفعل بعد فراق عشر سنوات. كنت أتبادل التحية مع الجميع وأضحك وأركض وأقفز. كان الحديث مع والدي يأخذ منحى جدياً: كان يدور حول العلوم، ومعلمينا، واللغة الفرنسية، وقواعد لوموند، وكنا جميعاً مبتهجين وسعداء جداً! حتى الآن أحب أن أتذكر تلك اللحظات. كنت أبذل قصارى جهدي للتعلم وإرضاء والدي. ورأيت أنه كان يضحي بالبقية الباقية من ثروته من أجلي، وأنه هو نفسه كان يصارع اليأس، وكان يزداد من يوم إلى يوم سواداً وحزناً وغضباً؛ وكان مزاجه يتكدر، وعمله كانت تجارته تسير بشكل سيئ، وكانت عليه ديون كثيرة. لم تكن أمي تجرؤ حتى على البكاء؛ لم تكن تجرؤ على النطق بكلمة خوفًا من أن تتسبب في فضيحة؛ كانت صحتها تتدهور، وكان وزنها ينقص بشكل واضح، وبدأت تعاني من سعال سيئ. والآن، عندما وصلت من المدرسة الداخلية لم أجد سوى الوجوه الكئيبة؛ أمي تبكي بصمت، وأبي غاضب. كان اللوم والاتهامات المتبادلة. قال أبي إنني لم أعطه أي فرح، ولا أي عزاء، وإنهم كانوا يحرمون أنفسهم من آخر مواردهم من أجلي، وإنني لم أكن أعرف بعد كيف أتكلم الفرنسية؛ وبكلمة واحدة كان ينتقم مني ومن أمي على كل مصائبه، وكل نكساته. وكيف كان من الممكن أن يعذب أمي المسكينة؟ إن مجرد النظر إليها كان يدمي القلب؛ فقد كانت وجنتاها مجوفتين، وعيناها في رأسها، وبشرتها كالبشرة التي كانت تعاني من الفثيان. لقد عانيت من مشاحنات أبي أكثر من أي شخص آخر. كان الأمر يبدأ دائمًا بشيء غبي، لكن الله وحده يعلم إلى أين وصلت الأمور بعد ذلك! في كثير من الأحيان لم أفهم حتى ما كان يدور حوله كل ذلك. يا لها من مسبحة! كنت لا أستطيع أن أتكلم الفرنسية، وكنت حمقاء جداً، وكانت ناظرة مدرستنا الداخلية امرأة مهملة، بلهاء؛ ولم تكن تهتم بأخلاقنا؛ ولم يكن أبي قد استطاع أن يجد عملاً؛ وكان نحو (لوهموند) بغيضاً، وكان نحو (زابولسكي)

أفضل بكثير، لقد أنفقت أموال طائلة على تعليمي من أجل لا شيء؛ ومن الواضح أنني لم يكن لي قلب أكثر من الحجر؛ - وباختصار، أنا، الفتاة المسكينة، بذلت كل ما في وسعي، وحاولت جاهدة أن أتعلم الحوارات والكلمات وسقط كل شيء في يدي؛ - كنت كبش الفداء! ليس لأن أبي لم يحبني؛ بل على العكس من ذلك! فقد كان يعشقني أنا وأمي. لكن هذه كانت شخصيته وتحت تأثير الهموم والأحزان وخيبات الأمل، أصبح والدي المسكين متحدّياً ومضطرباً؛ وكثيراً ما كان على وشك الاستسلام لليأس. بدأ في إهمال صحته، وأصيب بنزلة برد ومات بعد مرض قصير. لقد أصابتنا هذه الضربة المفاجئة وغير المتوقعة بشدة، ولم نستطع استعادة رباطة جأشنا لعدة أيام. حتى أن حالة السقوط التي غرقت فيها أمي جعلتني أخشى على سلامة عقلها. وبمجرد أن توفي والدي، رأينا الدائنين يتدفقون على منزلنا، ويخرجون من الأرض، إذا جاز التعبير. أعطيناهم كل ما نملك. كما تم بيع منزلنا الصغير في شارع بيتربورغسكايا ستورونا، الذي اشتراه والدي بعد ستة أشهر من وصولنا إلى بطرسبورغ. أما بالنسبة للبقية، فلا أعرف كيف كانت الأمور مرتبة، ولكن بالنسبة لنا، بقينا بلا سقف فوق رؤوسنا، بلا مأوى، بلا خبز. عانت والدتي من مرض أنهك قواها، ولم نتمكن من كسب قوتنا، ولم يكن لدينا أي وسيلة لإعالتنا، وكان هلاكنا وشيكًا. كنت في الرابعة عشرة فقط في ذلك الوقت. ثم جاءتنا زيارة من آنا فيدوروفنا. كانت تقول دائمًا إنها المالكة وتدعي أنها قريبتنا. هذا ما قالته أمي أيضًا، إلا أنها أشارت إلى أن العلاقة كانت بعيدة جدًا. عندما كان والدي على قيد الحياة، لم تأت آنا فيدوروفنا لزيارتنا. لقد جاءت والدموع في عينيها، وأعلنت أنها كانت مهتمة جداً بنا، وشعرت بالأسف علينا للخسارة التي عانيناها ولوضعنا وضعنا المؤسف، مضيفة أن الخطأ يقع على عاتق والدي نفسه: لم يكن يعيش في حدود

إمكانياته المادية، فقد كان يتبنى الكثير، وكان يتكل على قوته أكثر من اللازم. فأجابت أمي أنها لم تكن تضمر له أي مشاعر سيئة تجاهه، فذرفت آنا فيدوروفنا بعض الدموع، وأخذت أمي إلى الكنيسة وأقامت قداسًا لراحة روح "حبيبها" (كما كانت تنادي أبي). وفي نهاية القداس، تصالحت رسميًا مع والدتي. وبعد تمهيد طويل، وبعد أن صورت لنا آنا فيدوروفنا بأجمل صور العوز والحالة البائسة التي يرثى لها والتي تركتنا فيها وفاة والدي، دعتنا آنا فيدوروفنا إلى اللجوء إليها. كانت هذه هي الكلمات ذاتها التي استخدمتها. كانت والدتي ممتنة، لكنها استغرقت وقتًا طويلاً لاتخاذ قرارها. ومع ذلك، نظرًا لعدم وجود خيار آخر، أخبرت آنا فيدوروفنا أخيرًا أننا قبلنا بامتنان عرضها. ما زلت أحتفظ بذكريات حية عن اليوم الذي غادرنا فيه بيتربورغسكايا ستورونا إلى فاسيليفسكي أوستروف. كان صباحًا خريفيًا صافيًا؛ كان الجو جافًا وباردًا. كانت والدتي تبكي؛ وكنت في غاية الأسى؛ وشعرت بتمزق في صدري؛ وكرب لا يمكن تفسيره كان يثقل روحي... كانت لحظة مؤلمة...

***

II

في البداية، وقبل أن نعتاد أنا ووالدتي على منزلنا الجديد، شعرنا كلانا بعدم الارتياح تجاهه: كان هناك شيء غريب في نظرنا. كانت آنا فيدوروفنا تعيش في منزل تملكه في الصف السادس. لم يكن هناك سوى خمس غرف نظيفة. ثلاثة من هذه الغرف كانت تشغلها آنا فيدوروفنا وابن عمي ساشا، وهو يتيم كانت قد آوته. كنا نسكن في الغرفة الرابعة، والغرفة الأخيرة المجاورة لنا كان يشغلها أحد نزلاء آنا فيدوروفنا، وهو طالب فقير يدعى بوكروفسكي. كانت آنا فيدوروفنا تعيش في رفاهية وبذخ أكثر مما كان يمكن للمرء أن يتصور؛ ولكن ثروتها كانت غامضة، وكذلك كانت مهنتها. كانت دائمة الحركة، دائمة الانشغال، وكانت تخرج عدة مرات في اليوم، إما مشياً على الأقدام أو في عربة؛ ولكن ما كانت تفعله، وما كانت تشغل نفسها به، كان من المستحيل بالنسبة لي أن أخمنه. كانت اتصالاتها كثيرة ومتنوعة؛ فقد كانت تستقبل الكثير من الناس، والله أعلم أي نوع من الناس! كان زوارها يأتون دائمًا في أعمالهم ولا يمكثون سوى دقيقة واحدة. لم تفشل والدتي أبدًا في اصطحابي إلى غرفتنا بمجرد أن يرن جرس الباب. كان هذا يغيظ آنا فيدوروفنا إلى ما لا نهاية؛ فقد ظلت تقول إننا متفاخرون أكثر من اللازم، وأن هذا التفاخر غير لائق بمكانتنا، وأنه ليس لدينا سبب للتفاخر، وهكذا لساعات طويلة. لم أكن أفهم هذه الانتقادات الموجهة للفخر آنذاك، ولم أفهم هذه الانتقادات إلا الآن فقط اكتشفت، أو على الأقل أعتقد أنني خمنت لماذا كانت أمي مترددة في الذهاب والبقاء مع آنا فيدوروفنا.

كانت امرأة شريرة؛ كانت حياتنا معها عذابًا طويلًا. حتى الآن أتساءل لماذا عرضت علينا الضيافة. في البداية أبدت لنا بعض المراعاة، ولكن شخصيتها الحقيقية

ظهرت بالكامل عندما أدركت أننا كنا وحيدين تماماً في هذا العالم ولم يكن لدينا مكان آخر نذهب إليه. وفي وقت لاحق كانت لطيفة جداً معي، حتى إلى حد التملق الفظ، ولكن من حيث المبدأ لم أكن أعاني منها أقل مما عانت أمي. فقد كانت توبخنا باستمرار، ولم تكن تذكرنا إلا بعطفها. وكانت تقدمنا للغرباء كأقارب فقراء، أرملة ويتيمة معوزين كانت تأوينا بدافع العطف والإحسان المسيحي. وكانت تراقب كل لقمة نأكلها على المائدة، وإذا لم نأكل، كانت لها قصة أخرى.

"ألا تعتقدين أنه جيد؟ لا تكوني منزعجة جداً؛ فالقليل الذي أملكه أعرضه عليك بكل ود؛ ولا شك أنك ستبلي أفضل من ذلك في البيت. لقد أوصل زوجته وابنته إلى التسول، ولولا مساعدة أحد الأقارب المحسنين، وهو مسيحي رحيم من يدري لعلهما لم تموتا جوعاً في وسط الشارع؟ ما الذي لم تكن تقوله! عندما سمعتها، لم تشعر بالألم بقدر ما شعرت بالاشمئزاز. لم تتوقف أمي عن البكاء؛ لها وعلى الرغم من ذلك، فقد كنا نعمل أنا وهي من الصباح حتى المساء، ونحصل على عمل في المدينة ونخيط، وهو ما لم تكن آنا فيدوروفنا تحبه كثيراً، فقد كانت تقول إن منزلها ليس محل أزياء. ومع ذلك، كان علينا أن نرتدي ملابسنا، وكان علينا أن نكون قادرين على تلبية النفقات غير المتوقعة، لذلك كان علينا أن يكون لدينا المال تحت تصرفنا. كنا نكتنزه بشكل عشوائي، على أمل أن نتمكن في الوقت المناسب من الانتقال إلى مكان آخر. لكن أمي أنفقت ما تبقى من صحتها القليلة المتبقية لها في العمل: كانت تضعف كل يوم. كان المرض، مثل الدودة، ينخر في حياتها ويقودها إلى القبر. رأيت كل ذلك، وشعرت به، وكان الأمر مؤلمًا للغاية!

مرت الأيام، ولم يختلف اليوم التالي عن اليوم الذي سبقه. عشنا في عزلة عميقة كما لو كنا في الريف. وأخذت آنا فيدوروفنا تلين تدريجياً مع اكتسابها إحساساً

أوضح بقدرتها المطلقة. إلى جانب ذلك، لم يفكر أحد في إحباطها بأي شكل من الأشكال. كان هناك ممر يفصل شقتها عن غرفتنا، وكان يسكن بجوارنا بوكروفسكي كما رأينا سابقاً. وكان يعلم ساشا الفرنسية والألمانية والتاريخ والجغرافيا - كل العلوم، كما قالت آنا فيدوروفنا التي أعطت الشاب في المقابل مائدة ومسكناً. كانت ساشا فتاة ذكية للغاية، وإن كانت حمقاء وطفولية؛ فقد كانت في الثالثة عشرة من عمرها في ذلك الوقت. أشارت آنا فيدوروفنا على والدتي أنه لن يكون من السيئ أن أتلقى دروسًا أيضًا، حيث أنني تركت المدرسة الداخلية قبل إكمال دراستي. وافقت أمي بسهولة، ودرست لمدة عام كامل مع ساشا على يد بوكروفسكي. وكان شاباً فقيراً، فقيراً جداً؛ ولم تكن صحته تسمح له بالالتحاق بالجامعة بانتظام، ولم يكن يدعى في بيتنا طالباً إلا على سبيل العادة. وكان يعيش بتواضع شديد، وهدوء شديد؛ ولم نسمع من غرفتنا أي ضوضاء في غرفته. وكان بوكروفسكي يتميز بغرابة مظهره الخارجي؛ وكان غريباً في مشيته وطريقة تحيته، غريباً في لغته، حتى أنني لم أستطع في البداية أن أنظر إليه دون أن أضحك. كانت ساشا دائمًا ما تصنع له محاريب خاصة أثناء الدروس. والأكثر من ذلك أنه كان سريع الغضب، وكان دائم الانفعال؛ وكان أقل هراء يثير غضبه، وكان يوبخنا بقسوة، ويشتكي منا، وكثيراً ما كان ينسحب إلى غرفته غاضباً دون أن ينهي الدرس. في المنزل، كان يقضي أيامًا كاملة في القراءة. كان لديه الكثير من الكتب، كتب باهظة الثمن ونوادر الكتب. وكان يكسب قليلاً من المال من بعض التلاميذ الذين كانوا معه خارج المدرسة، وكلما كان لديه مال خرج لشراء الكتب. وبمرور الوقت تعرفت عليه بشكل أفضل وأكثر حميمية. كان رجلًا طيبًا جدًا، وقورًا جدًا، وأفضل من قابلتهم في حياتي. كانت أمي تكن له تقديراً كبيراً. وفي وقت لاحق، أصبح أفضل الأصدقاء بالنسبة لي أيضًا، بعد والدتي بالطبع.

في الأيام الأولى، كفتاة كبيرة، كنت أشارك ساشا في ألعابها: كنا نخرج لساعات طويلة عن المألوف لنلعب مع بعضنا البعض. كنا نقضي ساعات في اختراع المقالب لتعذيب بوكروفسكي ودفعه إلى أقصى حد. وذات يوم أغضبناه إلى حد البكاء تقريبًا، وسمعته بوضوح يقول بصوت منخفض: "أيها الأطفال الأشقياء! وفجأة فقدت رباطة جأشي، وشعرت بمزيج من الحيرة والألم والشفقة؛ واحمررت خجلاً حتى أذنيّ، وكادت عيناي تدمعان، ورجوته أن يهدأ ولا يستاء من شقاوتنا الغبية؛ ولكنه أغلق كتابه ولم يكمل الدرس وعاد إلى غرفته. امتلأت بالندم طوال اليوم.

كانت فكرة أن قسوة طفولتنا كادت أن تجعله يبكي عذابًا بالنسبة لي. لذلك انتظرنا دموعه. وكنا متعطشين لها؛ وهكذا استنفدنا صبره إلى أقصى حد؛ و أجبرناه، هذا الرجل التعيس المسكين، على تذكر مصيره القاسي! أبقاني الحزن والتوبة مستيقظة طوال الليل. يقولون إن التوبة تريح النفس؛ ولكن العكس هو الصحيح. بطريقة ما اختلط حب الذات مع ألمي. لم أكن أريد أن يفكر بي بوكروفسكي كطفل. كنت في الخامسة عشرة من عمري آنذاك. ومن ذلك اليوم فصاعداً وأنا أضع مخيلتي في عذاب، وأجمع آلاف الخطط لتغيير رأي بوكروفسكي فيّ. ولكني كنت أحياناً أخجل؛ وفي هذه الحالة لم أستطع أن أحمل نفسي على فعل أي شيء واكتفيت بالأحلام (والله أعلم ما كانت!) ولم يبق لي إلا أن أتوقف عن المشاركة في مقالب ساشا؛ ولم يعد بوكروفسكي غاضباً علينا؛ ولكن هذا لم يكن كافياً لإرضاء ثقتي بنفسي.

سأقول الآن بضع كلمات عن أغرب رجل أتيحت لي الفرصة لمقابلته في حياتي. وإذا كنت قد ذكرته الآن، في هذه النقطة من مذكراتي، فلأنني حتى ذلك الوقت لم أكن قد أوليته أي اهتمام، ولكن كل ما يتعلق ببوكروفسكي أصبح فجأة يثير اهتمامي إلى أقصى حد، فقد كان يظهر في منزلنا أحياناً رجل عجوز صغير ذو شعر أبيض قذر،

رث الثياب، سيئ الملبس، أخرق ومربك في حركاته، باختصار، غريب إلى أبعد الحدود. ولربما ظننت للوهلة الأولى أنه كان يشعر بالخجل والحرج من نفسه، فقد كان يبدو عليه أنه يحاول أن يصغر من نفسه؛ وكانت مشيته وتجهّماته تعطي انطباعاً بأنه ليس في كامل قواه العقلية. وعندما كان يصل إلى منزلنا، كان يتوقف في الردهة أمام الباب الزجاجي ولا يجرؤ على الدخول أكثر من ذلك. وإذا ما صادف أن مر أحدنا - أنا أو ساشا أو أحد الخدم الذين كان يعرف أنه يحسن معاملته - كان الزائر ينادي عليه على الفور ويلوح بذراعيه ويشترك في حركات إيمائية متنوعة، وحينما كان يحني رأسه - وهي العلامة المتفق عليها بأنه لا يوجد غرباء في المنزل وأنه يستطيع الدخول إذا شاء - عندئذ فقط كان الرجل العجوز يفتح الباب بهدوء، ويبتسم في سرور، ويفرك يديه معاً في رضا، ثم يتجه مباشرة إلى غرفة بوكروفسكي وهو يمشي على رؤوس أصابعه. كان والده فيما بعد، علمت بالتفصيل كل شيء عن هذا الرجل المسكين. كان قد خدم ذات يوم في مكان ما؛ محرومًا من كل الوسائل، كان يشغل في البيروقراطية وظيفة تافهة في البيروقراطية. وبعد وفاة زوجته الأولى (والدة الطالب بوكروفسكي)، قرر أن يتزوج مرة أخرى وتزوج من امرأة من الطبقة المتوسطة. ومنذ ذلك الحين، انقلب كل شيء في المنزل رأسًا على عقب؛ فالزوجة الجديدة لم تعطِ أحدًا أي اهتمام، وكانت تحترم الجميع. كان الطالب بوكروفسكي يبلغ من العمر عشر سنوات فقط في ذلك الوقت. وكانت زوجة أبيه تكرهه. لكن القدر حالف بوكروفسكي الصغير. فقد أخذ مالك العقار بويكوف، الذي كان يعرف الموظف بوكروفسكي وأحسن إليه في الماضي، الطفل تحت حمايته ووضعه في مدرسة. وكان مهتماً به لأنه كان يعرف والدته الراحلة التي أغدقت عليها آنا فيدوروفنا العطف وهي فتاة صغيرة وزوّجتها من الكاتب بوكروفسكي. وأظهر السيد

بويكوف، وهو صديق مقرب من آنا فيدوروفنا، كرمه نحو محمية هذه السيدة، وعندما تزوجت أعطاها مهراً قدره خمسة آلاف روبل. أين ذهب هذا المال؟ نحن لا نعرف. لقد حصلت على كل هذا من آنا فيدوروفنا. أما بالنسبة للطالب بوكروفسكي، فلم يكن يحب الحديث عن شؤون عائلته. يقال إن والدته كانت جميلة جداً، ولا أستطيع أن أفهم لماذا تزوجت مثل هذا الرجل التافه... لقد ماتت شابة، بعد أربع سنوات من الزواج. بعد ترك المدرسة، ذهب بوكروفسكي الشاب إلى صالة الألعاب الرياضية ثم إلى الجامعة. استمر السيد بويكوف، الذي كان يأتي إلى بطرسبورغ في كثير من الأحيان، في حمايته. وبسبب سوء حالته الصحية، اضطر بوكروفسكي إلى الانقطاع عن دراسته الجامعية. وقد عرفه السيد بويكوف على آنا فيدوروفنا التي قدمه لها بنفسه، وبهذه الطريقة تم إيواء الشاب على طعامه بشرط أن يتولى هو تعليم ساشا. وكان بوكروفسكي العجوز تعيساً جداً في بيته، وكان يلتمس العزاء في أقبح الرذائل، وكان في حالة سكر دائم تقريباً. وكانت زوجته تضربه وتهبط به إلى المطبخ؛ وقد عوّدته على الضربات وسوء المعاملة حتى انتهى به الأمر إلى تحملها دون أن يشتكي. لم يكن قد بلغ من الكبر عتيا، ولكن السكر كاد يحوله إلى طفل. وكانت البقية الوحيدة من المشاعر النبيلة التي احتفظ بها هي حبه الشديد لابنه. ويقال إن بوكروفسكي الصغير كان يشبه أمه الراحلة كقطرتين من الماء. لقد كانت زوجة صالحة. فهل كان في ذكراها أن يكرس الرجل العجوز اللئيم كل هذا العشق لابنه؟ لم يكن بوسعه إلا أن يتحدث عنه ويذهب لزيارته بانتظام مرتين في الأسبوع. ولم يكن يجرؤ على المجيء أكثر من ذلك، لأن بوكروفسكي الصغير لم يكن يطيق الزيارات الأبوية. ومن بين كل عيوبه، كان أخطرها بلا شك عدم احترامه لوالده. . ولا بد من القول إنه كان في بعض الأحيان أكثر شخص لا يطاق في

العالم. فأولاً كان فضولياً بشكل رهيب؛ وثانياً كان يزعجه في كل لحظة عندما يكون ابنه مشغولاً ليتحدث معه بالهراء أو يسأله أكثر الأسئلة تافهة؛ وأخيراً كان يصل أحياناً وهو سكران. لم يستطع العجوز المسكين أن يشبع من رؤية ابنه بيتينكا (كما كان يسمي ابنه). وعندما كان يأتي لزيارته، كان يبدو دائماً قلقاً وخائفاً، ربما لأنه لم يكن يعرف ما الذي يتحدث عنه. كيف سيتم استقباله. كان عادةً ما يتردد طويلاً قبل أن يدخل، وإذا صادف أن أكون هناك، كان يسألني لمدة عشرين دقيقة: "حسنًا، كيف حال بيتينكا؟ هل هو بخير؟ ما هي حالته الذهنية بالضبط؟ أليس لديه أي شيء مهم يقوم به؟ ماذا يفعل بالضبط؟ هل هو يكتب أم مستغرق في بعض التأملات؟ وبعد أن أعطيته كل التطمينات التي يحتاجها، قرر الرجل العجوز أخيراً أن يدخل، بلطف شديد، وبألف احتياط، فتح الباب وبدأ بإخراج رأسه من الفتحة. وبدلاً من أن يغضب ابنه، كان ينحني له انحناءة خفيفة، ثم يدخل الغرفة بجلبة تصم الآذان، ويتخلص من معطفه وقبعته التي كانت دائماً مثقوبة ومخدوشة وبلا حافة ويعلقهما في خزانة الملابس، وكان يفعل ذلك أيضاً بهدوء وصمت؛ ثم يذهب في خفية ويجلس في مكان ما وعيناه مثبتتان على بيتينكا، ويراقب كل حركة من حركات الشاب ليخمن في أي مزاج هو. إذا ظهرت على الابن أي علامات تدل على سوء المزاج، كان الأب ينهض على الفور ويعتذر: "أردت فقط أن أبقى لدقيقة يا بيتينكا. لقد ركضت للتو لفترة طويلة، وبينما كنت ماراً من هنا، جئت لأستريح قليلاً. ثم أخذ معطفه وقبعته مطيعاً دون أن يضيف كلمة واحدة، وفتح الباب بنفس الاحتياطات التي كانت من قبل، وانسحب محاولاً أن يبتسم ليخفي عن ابنه الحزن الذي ملأ روحه، ولكن عندما رحب التلميذ بوالده لم يشعر الأخير بأي فرح، بل كان هذا الأخير قد شعر بالسرور. لقد أشرق الرضا على وجهه، وظهر

ذلك في حركاته، في إيماءاته. وكان الشيخ إذا تحدث إليه ابنه ينتصب نصف انتصاب في كرسيه ويجيب بصوت خفيض، وبنبرة خاشعة تكاد تكون ورعة، مستخدماً أكثر التعابير انتقاء، أي أكثر التعابير سخافة. ولكن موهبة الفصاحة كانت قد حُرم منها: فقد كان دائماً مرتبكاً لدرجة أنه لم يكن يعرف أين يضع يديه أو ماذا يفعل بنفسه، وبعد أن يتكلم، كان يمضغ نفسه طويلاً، وكأنه يريد أن يصحح ما قاله للتو. ومن ناحية أخرى، عندما كان يحالفه الحظ في إعطاء إجابة جيدة، كان الرجل العجوز يتبختر في كل مكان، ويعيد ضبط صدرية صدره، وربطة عنقه، وفركته؛ وباختصار، كان يعطي نفسه مظهر الرجل الذي يدرك جدارته الشخصية. في مثل هذه الحالات، كان في بعض الأحيان جريئًا وواثقًا من نفسه لدرجة أنه كان ينهض ببطء من على كرسيه ويمشي إلى رف مليء بالكتب، ويلتقط مجلدًا ويبدأ في القراءة. وكان يفعل كل هذا بتكلف من اللامبالاة ورباطة الجأش، كما لو كان يستطيع دائماً أن يتخلص من كتب ابنه بهذه الطريقة وأن لطف ابنه ليس غريباً عليه. ولكني شهدت فزع الرجل المسكين ذات يوم عندما طلب إليه بوكروفسكي ألا يلمس كتبه. فاختلطت عليه الأمور، وفي تسرعه قلب الكتاب رأساً على عقب، وبسهو آخر وضع الحافة خارجاً؛ فابتسم واحمر خجلاً ولم يعرف كيف يمحو جريمته. وشيئاً فشيئاً تغلّبت نصيحة بوكروفسكي على نزعات الرجل العجوز الشريرة. وكان التلميذ لا يرى أباه أكثر من ثلاث مرات متوالية في حالة سكر، وفي أول زيارة كان يعطيه عند الانصراف من عنده إما خمسة وعشرين كوبك أو نصف روبل أو أكثر من ذلك وكان يشتري له من وقت لآخر زوجاً من الأحذية أو ربطة عنق أو صدرية. كان الموظف العجوز، وهو يرتدي ملابسه الجديدة، فخورًا مثل الديك. كان يأتي أحياناً لقضاء بعض الوقت معنا. كان يجلب لي ولساشا التفاح والديوك

الزنجبيلية، وكان يحدثنا طوال الوقت عن بيتينكا. كان يطلب منا الانتباه في الفصل، وأن نكون مطيعين؛ كان يقول إن بيتينكا كان ابناً صالحاً، ابناً مثالياً، والأكثر من ذلك، ابناً متعلماً. عندما كان يتحدث إلينا بهذه الطريقة، كان يغمز بعينه اليسرى بطريقة كوميدية جداً، وكان يرسم وجوهاً مسلية لدرجة أننا لم نكن نستطيع كبت رغبتنا المجنونة في الضحك. كانت أمي تحبه كثيراً. لكن الرجل العجوز كان يكره آنا فيدوروفنا، على الرغم من أنه كان في حضورها "أهدأ من الماء وأقل من العشب".

وسرعان ما توقفت عن تلقي الدروس من بوكروفسكي، الذي استمر في رؤيتي كطفل، شقي صغير مثل ساشا. كنت مسرورًا جدًا بهذا، لأنني فعلت كل ما بوسعي لأجعل الناس ينسون سلوكي القديم؛ لكن الناس لم يلاحظوا ذلك، وهذا ما كان يزعجني أكثر فأكثر. لم أكن أتحدث مع بوكروفسكي إلا نادرًا خارج الفصل الدراسي؛ بالإضافة إلى أنه كان من المستحيل بالنسبة لي أن أتحدث معه. كنت أحمّر خجلاً، وأفقد سلسلة أفكاري ثم أذهب وأبكي في زاوية ما حقدًا عليه. ولست أدري كيف كان يمكن أن ينتهي كل هذا لولا ظرف غريب قربنا من بعضنا البعض. ذات مساء، بينما كانت أمي عند آنا فيدوروفنا، تسللت إلى غرفة بوكروفسكي. كنت أعرف أنه كان غائباً، والحقيقة أنني لا أعرف كيف خطرت لي فكرة دخول منزله. فحتى ذلك الحين لم تطأ قدماي منزله قط، على الرغم من أننا كنا نعيش في منزل واحد منذ أكثر من عام. هذه المرة، كان قلبي ينبض بقوة لدرجة أنه بدا وكأنه سينفجر من صدري. نظرت حولي بفضول. كانت غرفة بوكروفسكي مفروشة بشكل سيء للغاية وفوضوية إلى حد ما. كانت هناك خمسة رفوف طويلة مليئة بالكتب مثبتة على الجدران. كانت هناك أوراق على الطاولة وعلى الكراسي. كتب وأوراق! وتبادرت إلى

ذهني فكرة رهيبة سببت لي في الوقت نفسه كرباً شديداً. لقد تخيلت أن صداقتي ومحبتي له لم تكن تعني له إلا القليل. لقد كان مثقفاً، بينما كنت أنا غبياً، لم أكن أعرف شيئاً، ولم أقرأ شيئاً، ولا كتاباً واحداً... ثم ألقيت بنظرة حسود على الرفوف الطويلة التي كانت تنحني تحت أعبائها. استولى عليَّ الغضب، ونوع من الحقد. اقترحت، وعزمت في ذلك الحين على أن أقرأ كتب بوكروفسكي، حتى آخر كتاب منها، وفي أقرب وقت ممكن. لا أدري، ربما اعتقدت أنني بتعلم كل ما يعرفه سأكون أكثر جدارة بصداقته. اقتربت بسرعة من الرف الأول، وبدون تفكير أو تردد، أمسكت بأول كتاب وجدته، وهو كتاب قديم يغطيه الغبار، وأخذته معي إلى البيت وأنا خجولة شاحبة الوجه أرتجف من الهياج والخوف، وكنت أنوي أن أقرأه ليلاً على ضوء المصباح الليلي عندما تكون أمي نائمة.

ولكن يا لها من خيبة أمل عندما فتحت الكتاب عند عودتي إلى مسكننا فوجدته كتاباً لاتينياً قديماً، نصفه فاسد ومليء بالديدان! عدت على الفور إلى بوكروفسكي. وما أن شرعت في وضع الكتاب على الرف حتى سمعت وقع أقدام نحو غرفة النوم. لم يكن هناك وقت لأضيعه، لذا بدأت في الإسراع. لكن الصف الذي أخذت منه الكتاب الملعون كان متراصًا لدرجة أنه مع إزالته، ملأت كل الصفوف الأخرى الفراغ، ولم تترك مكانًا لرفيقتها السابقة. مهما حاولت جاهدًا، لم أستطع إعادة الكتاب إلى المكان الذي أخذته منه. ومع ذلك كنت أرهق نفسي بجهودي. انكسر المسمار الصدئ الذي كان يثبت الرف في مكانه - والذي يبدو أنه كان ينتظر هذه اللحظة لينكسر. انقلب الرف من أحد طرفيه. وتناثرت الكتب على الأرض. انفتح الباب ودخل بوكروفسكي الغرفة.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن يطيق أي شخص يتظاهر بأنه سيد في منزله. الويل لكل من يلمس كتبه! يمكنك أن تتخيل كم كنت خائفة عندما رأيت هذه المجلدات بجميع أشكالها وأحجامها تنزلق من على الرف وتتدحرج تحت الطاولة، وتحت الكراسي، وفي جميع أنحاء الغرفة. أردت أن أهرب، لكن الأوان كان قد فات. لقد انتهى الأمر"، فكرت، "لقد انتهى الأمر! لقد ضللت الطريق، لقد طفح الكيل! أنا ألهو مثل طفلة في العاشرة من عمرها، أنا فتاة سخيفة، حمقاء كبيرة! طار بوكروفسكي في غضب رهيب، "حسنًا، هذا كل شيء! هذا كل ما أحتاجه!" صرخ. حسناً، ألا تخجلي من مثل هذه الأشياء الطفولية؟ ألن تهدئي أبداً؟" وأسرع هو نفسه لالتقاط الكتب. انحنيت لمساعدته. صرخ: "لا فائدة، لا فائدة. كان من الأفضل لك أن لا تأتي إلى حيث لا يريدك أحد. غير أن الخضوع الذي أظهرته له حركتي هدأه قليلاً، وخفف صوته وبدأ يعلمني هيا، متى ستصبحين أكثر اتزانًا؟ متى ستصبحين عاقلة؟ انظري إلى نفسك، لم تعودي طفلة أو فتاة صغيرة، لقد بلغتِ الخامسة عشرة من عمرك! عند هذا الكلام، ولا شك أنه أراد أن يتأكد من أنني لم أعد طفلة صغيرة، نظر إليّ واحمرّ وجهه من الأذن إلى الأذن. لم أفهم؛ وقفت أمامه، نظرت إليه بعيون واسعة مندهشة. اعتدل في جلسته، واقترب مني في ارتباك شديد، وبدأ يتلعثم في بعض الكلمات غير المترابطة؛ بدا وكأنه يعتذر، ربما، لأنه لم يلاحظ في وقت سابق أنني كنت فتاة صغيرة بالفعل. في النهاية، فهمت. لا أتذكر ما حدث لي بعد ذلك، لكنني احمررت خجلاً أكثر من بوكروفسكي، وغطيت وجهي بيدي، وهربت من الغرفة.

لم أكن أعرف ماذا أفعل، وأين أختبئ، كنت أشعر بالخجل الشديد. يكفي أنه وجدني في منزله! لمدة ثلاثة أيام لم أستطع تحمل رؤيته، لقد خجلت حتى اغرورقت عيناي بالدموع. كانت الأفكار الفظيعة والسخيفة تتسابق في رأسي. وكانت إحداها،

وهي الأكثر إسرافاً، هي هذه: أردت أن أذهب لرؤية بوكروفسكي، وأن أشرح له كل شيء، وأن أعترف له بكل شيء، وأن أخبره بكل شيء بصراحة، وأن أؤكد له أنني لم أتصرف كفتاة صغيرة غبية، بل بنية حسنة. كنت مصممة تمامًا على اتخاذ هذه الخطوة؛ والحمد لله أنني كنت أفتقر إلى الشجاعة للقيام بذلك. لا أستطيع أن أتخيل ما هي الأشياء الحمقاء التي كنت سأفعلها! حتى الآن لا أستطيع أن أتذكر كل شيء دون أن أكون مرتبكة.

بعد ذلك بوقت قصير، مرضت والدتي مرضًا خطيرًا، فقد كانت طريحة الفراش لمدة يومين وكانت تعاني من الحمى والهذيان لمدة ثلاث ليالٍ. كنت بالفعل معها طوال الليل، أجلس بجانب سريرها وأعطيها شيئًا لتشربه وأدويتها في الأوقات المحددة. في الليلة الثانية وجدت نفسي في نهاية المطاف. كنت أغفو من وقت لآخر، وتتدلى أجفاني، ويدور رأسي، وأكون على وشك الاستسلام للإرهاق؛ لكن أنين أمي الخافت كان يوقظني من نومي، فأستيقظ من سباتي لدقيقة، ثم أغفو مرة أخرى رغمًا عني، وأعود إلى النوم رغمًا عني. لا أدري - لا أستطيع أن أتذكر - ولكن حلماً فظيعاً، أو رؤيا مرعبة راودتني في إحدى تلك اللحظات المؤلمة التي كان رأسي المنهك يصارع بين النوم واليقظة.

كنت خائفاً جداً لدرجة أنني استيقظت من نومي فجأة. كان الظلام حالكاً من حولي، وكان المصباح الليلي على وشك الانطفاء، وأضاءت خطوط من الضوء فجأة الغرفة كلها، تارةً تضيء بشكل غامض على الحائط، وتارةً أخرى تختفي تماماً. كنت خائفة. كان نوع من الرهبة قد انتابني؛ كان خيالي قد استثاره حلم مخيف؛ واستولى على قلبي نوع من الرعب... قفزت من مقعدي، وانطلقت صرخة مؤثرة من شفتي رغمًا عني. في تلك اللحظة فُتح الباب ودخل بوكروفسكي غرفتنا، وكل ما أتذكره هو أنني

استيقظت بين ذراعيه. وضعني بعناية على كرسي بذراعين، وقدم لي كوبًا من الماء وأمطرني بالأسئلة. "أنتِ مريضة، أنتِ مريضة جداً"، قال وهو يأخذني من يدي. "أنتِ مصابة بالحمى، أنتِ، أنت تقتلين نفسك، أنت لا تقدمين أي خدمة لصحتك، اهدئي واستلقِي ونامي. سأوقظك بعد ساعتين، خذي قسطًا من الراحة... اذهبي إلى الفراش، اذهبي إلى الفراش!" واصل كلامه دون أن يدعني أتفوه بكلمة. كنت مرهقة، كانت عيناي تغلقان من تلقاء نفسي. استلقيت على الكرسي بذراعين، معتمدة على أخذ غفوة لمدة نصف ساعة فقط، ونمت حتى الصباح، ولم يوقظني بوكروفسكي إلا عندما حان وقت إعطاء أمي دواءها. وفي اليوم التالي، وبعد أن استرحت قليلاً خلال النهار، استعدت مكاني إلى جانب سرير أمي، مصممة هذه المرة على مقاومة النوم. في الساعة الحادية عشرة، طرق بوكروفسكي باب غرفة نومنا. ذهبت لفتحه. قال: "من الممل أن تبقي هنا بمفردك"، قال: "هاك كتاب، خذيه فلن تشعري بالملل. أخذت الكتاب. لا أتذكر ما كان ذلك؛ على الأكثر لمحته، لكنني لم أنم طوال الليل. كان هناك قلق داخلي غريب أبقاني مستيقظة؛ لم أستطع البقاء في مكان واحد؛ تركت الكرسي عدة مرات وبدأت أتجول في الغرفة. انتشر نوع من الرفاهية الحميمية في كياني كله. كنت سعيدة جدًا لأنني تلقيت علامة اهتمام من بوكروفسكي! كنت فخورة بالاهتمام والقلق الذي أظهره لي. بقيت مستيقظة طوال الليل أفكر وأحلم. لم يزرني بوكروفسكي مرة أخرى، وكنت أعرف أنه لن يعود، ففكرت في المساء التالي. وفي مساء اليوم التالي، عندما خلد جميع من في المنزل إلى الفراش، فتح بوكروفسكي باب غرفته، ووقف على عتبة غرفته وبدأ في الحديث معي. ولا أتذكر كلمة واحدة مما قلناه لبعضنا البعض؛ وكل ما أتذكره هو أنني كنت مرتبكة وممنوعة، وأنني كنت ألوم نفسي على خجلي، وأنني انتظرت بفارغ الصبر

نهاية الحديث؛ ومع ذلك فقد كنت أتوق إليه، وفكرت فيه طوال اليوم، وأعددت أسئلتي وأجوبتي مسبقاً ... كانت تلك الأمسية بداية صداقتنا الأولى. وطالما كانت والدتي مريضة، كنا نقضي بضع ساعات معًا كل ليلة. وشيئاً فشيئاً تغلبت على خجلي، على الرغم من أنني كنت لا أزال بعد كل حديث من أحاديثنا غير راضٍ عن نفسي. وعلاوة على ذلك، كنت أشعر بلذة سرية، لذة حب الذات، إذ كنت أشعر بسعادة سرية، إذ جعلته ينسى كتبه التي لا تطاق. وذات يوم، وبالصدفة، وبينما كنا نمزح، تحدثنا عن الحادث الذي وقع لنا. لقد كانت لحظة غريبة؛ وربما دفعتني الصراحة والصدق أكثر مما ينبغي، وتحت تأثير تمجيد فريد اعترفت لبوكروفسكي بكل شيء... قلت له إنني كنت أريد أن أتعلم شيئاً، وإنني كنت منزعجة من اعتباري فتاة صغيرة، طفلة... أكرر أنني كنت في حالة ذهنية غريبة جداً؛ كان قلبي رقيقاً، وكانت الدموع في عيني؛ لم أخفِ شيئاً، اعترفت له بكل شيء، بكل شيء: بصداقتي له، برغبتي في حبه، برغبتي في أن أعيش معه في اتحاد معنوي، في مواساته، في تهدئته. نظر إليّ بغرابة وخجل ودهشة، ولم يقل لي كلمة واحدة. وفجأة شعرت بحزن قاسٍ. . ظننت أنه لم يفهمني، ربما كان يسخر مني. انفجرت فجأة في البكاء، مثل طفل، ولم أستطع تمالك نفسي؛ كنت أبدو وكأنني أعاني من انهيار عصبي. أخذ بيدي، وقبَّلها، وضمها إلى صدره، وأغدق عليَّ بكلمات المواساة، كان متأثرًا جدًا، لا أتذكر ماذا قال لي، بكيت، وضحكت، ثم بكيت مرة أخرى، وخجلت، ولم يسمح لي الفرح أن أنطق بكلمة. إلى جانب ذلك، وعلى الرغم من انفعالي، لاحظت أن موقف بوكروفسكي كان لا يزال محرجًا ومقيدًا. لقد بدا غير قادر على العودة من المفاجأة التي سببها حماسي، وتمجيدى لهذه الصداقة المفاجئة والمتحمسة والعاطفة الجياشة. وتقبل تعلقي وكلماتي الودية واهتمامي بصراحة وسذاجة كما عرضتها

عليه، واستجاب بمودة الصديق المخلص والأخ الصادق. شعر قلبي بالدفء والسعادة! ولم أكن أخفي شيئاً؛ وكان هو يرى كل ذلك، ويوماً بعد يوم يزداد تعلقه بي. ولا أستطيع أن أتذكر حقاً ما لم نتحدث فيه معاً في تلك الساعات القاسية والعذبة في آن واحد من لقاءاتنا، في الليل، في ضوء المصباح المرتجف المضاء أمام الأيقونة، وبجانب سرير أمي المسكينة، إذا جاز التعبير... لقد قلنا كل ما خطر ببالنا، وكل ما كان يتدفق من قلوبنا، وكل ما كان يتوق إلى الخروج من شفاهنا - وكنا سعداء تقريباً... أوه، لقد كان وقتاً حزيناً وسعيداً في آن واحد؛ وحتى الآن أتذكره بمزيج من الفرح والحزن. الذكريات، سواء كانت سعيدة أو مؤلمة، فهي دائمًا مؤلمة؛ على الأقل هذا هو الانطباع الذي أحصل عليه. ولكن هناك أيضًا ألم - في هذه المعاناة، وعندما يكون القلب مظلوماً، مريضاً، مغموراً بالحزن، فإن الذكريات تنعشه وتنعشه، كما ينعش ندى المساء الرطب الزهرة الصغيرة المسكينة التي جففتها حرارة الشمس بعد يوم حارق. دخلت أمي في فترة النقاهة، ولكني ظللت أقضي الليالي جالساً بجانب سريرها. وكثيراً ما كان بوكروفسكي يعيرني كتباً؛ وكنت في البداية أقرأها لأبقى مستيقظاً، ثم ازداد اهتمامي بها، وأخيراً التهمتها بشراهة. انفتح أمامي فجأة عالم كامل غير معروف حتى الآن. غمرني سيل من الأفكار والانطباعات الجديدة. وكلما كانت هجمة هذه الأحاسيس أكثر خشونة وصخباً واضطراباً وإزعاجاً، كلما أصبحت أعز عليّ، وكلما هزت روحي كلها بشهوة. وفجأة، دفعة واحدة، تدفقت في قلبي دون أن أتركه يتنفس. بدأت فوضى غريبة تهز كياني كله. لكن هذا العنف المعنوي لم يستطع أن يفكني تمامًا. كنت حالمًا أكثر مما ينبغي، وهذا ما أنقذني، فقد وضع شفاء أمي حدًا لاجتماعاتنا المسائية وأحاديثنا الطويلة؛ كنا نتبادل أحيانًا بضع كلمات، غالبًا ما تكون فارغة وغير مهمة، لكنني كنت أحب

أن أنسب لكل شيء معنى، قيمة معينة ومضمرة. كانت حياتي ممتلئة، وكنت سعيدة، بهدوء، وسعادة هادئة وهادئة جدا. وهكذا استمر الأمر لعدة أسابيع. في هذه الأثناء، جاء بوكروفسكي العجوز لرؤيتنا. وتجاذب معنا أطراف الحديث طويلاً، وأظهر نفسه أكثر مرحاً وحيوية وتواصلاً من المعتاد؛ وكان يضحك، وكان طريفاً على طريقته الخاصة، وفي النهاية عرفنا تفسير فرحه: فاليوم ذكرى ميلاد بيتينكا؛ وبهذه المناسبة سيزور ابنه حتماً؛ وسيرتدي صدرية جديدة، ووعدته زوجته بأن تشتري له حذاء جديداً. وباختصار، كان الرجل العجوز سعيدًا تمامًا وكان يثرثر بثرثرة لا تنضب.

عيد ميلاد بيتينكا لم تدعني هذه الفكرة أرتاح ليلًا أو نهارًا. قررت أن أظهر صداقتي لبوكروفسكي وأهديه هدية. ولكن ماذا ستكون؟ في النهاية، فكرت في إهدائه بعض الكتب. كنت أعرف أنه يريد أن يحصل على المجموعة الكاملة لأعمال بوشكين، الطبعة الأخيرة: فقررت أن أشتري له بوشكين. كان معي ثلاثون روبل من عملي. كنت قد وضعت هذا المبلغ جانباً لأشتري لنفسي ثوباً جديداً. وأرسلت على الفور طباختنا العجوز ماترينا لتعرف كم يكلف بوشكين الكامل. وللأسف، كان سعر أحد عشر مجلدًا، بما في ذلك تكلفة التجليد، ستين روبل على الأقل. من أين سأجد المال؟ ظللت أقلب السؤال مرارًا وتكرارًا في ذهني دون أن أجد حلًا. لم أكن أريد أن أسأل أمي، فقد كانت ستساعدني بالطبع، ولكن البيت كله كان سيعرف بأمر هديتنا، كما أنها لم تكن هدية بل سداد دين، ومكافأة على ما قدمه بوكروفسكي من رعاية لتعليمي لمدة عام كامل. أردت أن أقدم هديتي وحدي، دون أن يعلم أحد. أما بالنسبة لدروس أستاذي السابق، فقد أردت أن أظل ملتزمة له في كل الأوقات وصداقتي. - وأخيرًا وجدت مخرجًا من مأزقي. كنت أعرف أنه إذا ساومت بائعي الكتب في

غوستيني دفور، يمكنك الحصول على كتاب بنصف السعر، وغالبًا ما يكون الكتاب باهتًا بالكاد وجديدًا تقريبًا. قررت الذهاب إلى غوستيني دفور. خدمتني الظروف جيدًا: في اليوم التالي، كانت هناك حاجة إلى بعض الأشياء في منزلنا وفي منزل آنا فيدوروفنا. كانت والدتي مريضة قليلاً، ولم تكن آنا فيدوروفنا مهتمة بالذهاب للتسوق في ذلك اليوم، لذا فقد تم تكليفي بالتسوق وغادرت مع ماترينا. ولحسن الحظ، وجدت بسرعة كبيرة نسخة من بوشكين، مجلدة بأناقة شديدة. بدأت أساوم عليها. في البداية طُلب مني أكثر مما طلب مني في المكتبات، ولكن بعد أن قاومت بشدة وتظاهرت عدة مرات بالمغادرة، خفض بائع الكتب، الذي أصبح أكثر لينا، طلباته إلى عشرة روبلات فضية. كم كنت مبتهجة وأنا أساوم هكذا! لم تفهم ماترينا المسكينة ما كان معي، أو لماذا كنت أشتري هذا العدد الكبير من الكتب. ولكن، للأسف، تقلصت ثروتي كلها إلى ثلاثين روبل من الورق، ولم يكن التاجر ليسمع أي تنازلات أخرى. وبدأت أتوسل إليه، وبعد كثير من الإلحاح، حصلت على تخفيض، ولكن بمقدار روبلين وخمسين كوبيك فقط؛ وأقسم بائع الكتب أنه إذا منحني هذا التخفيض، فإنما ذلك حباً فيّ لأني فتاة جميلة جداً، أما لأي سبب آخر فلن يوافق عليه أبداً. كان ينقصني روبلان ونصف روبل! كان حزني شديداً لدرجة أنني كنت أستطيع أن أبكي. ولكن بفضل أكثر الظروف غير المتوقعة تمكنت من الخروج من هذا المأزق.

غير بعيد عني، أمام كشك آخر لبيع الكتب، رأيت بوكروفسكي العجوز. وكان حوله أربعة أو خمسة من بائعي الكتب الذين كانوا يضايقونه ويحيّرونه. وكان كل واحد منهم يعرض عليه ما لا يريد أن يشتريه، وما الذي لم يعرضوه عليه وما الذي لم يرغب في شرائه؟ وفي وسط هؤلاء الباعة كان المسكين يبدو عليه الذهول التام ولم

يكن يعرف ماذا يختار من بين كل هذه الأشياء التي كانوا يدعونه لأخذها. اقتربت منه وسألته عما يفعله هناك. كان الرجل العجوز مسرورًا بلقائي؛ لقد أحبني بجنون، ربما بقدر حبه لبتينكا. حسناً، كما ترين، إنني أشتري كتباً يا فارفارا أليكسييفنا، فأجاب: "إنني أشتري كتباً لبتينكا. إنه عيد ميلاده تقريباً، وهو يحب الكتب، لذا سأشتري له بعض الكتب... "لذا تفضل، سأشتري له بعضًا منها...". كان الرجل العجوز يعبر عن نفسه دائماً بطريقة سخيفة، والأكثر من ذلك أنه في هذه اللحظة كاد أن يفقد عقله. ومهما كان الكتاب الذي كان يساوم عليه، فقد كان دائماً يساوم على روبل فضة، وروبلين، وثلاثة روبلات فضية، ولم يكن يسأل حتى عن سعر المجلدات الكبيرة، بل كان ينظر إليها بعين حاسدة، ويتصفحها، ويقلبها بين يديه مراراً وتكراراً، ثم يعيدها إلى مكانها. "لا، لا، إنها باهظة الثمن"، قالها بصوت شبه مرتفع، "ولكن قد يكون هناك شيء ما هنا..." وبدأ في فحص مختلف الأشياء الصغيرة. وبدأ في فحص العديد من الكتيبات الصغيرة المتنوعة وكتب الأغاني والتقويمات؛ وكلها بأسعار زهيدة. فسألته: "لماذا تريد أن تشتري كل هذه القمامة؟ - "، أجابني: "لا، بل انظري إلى الكتب الجيدة هنا، سترين أن هناك بعض الكتب الجيدة جداً جداً! ونطق بهذه الكلمات الأخيرة بنبرة حزينة، بلهجة حزينة، بل بلهجة حزينة، حتى لقد ظننت أنه سيبكي من الألم لأن الكتب الجيدة غالية الثمن؛ وتوقعت أن أرى دمعة صغيرة تنحدر على خديه الشاحبين على أنفه الأحمر. "سألته: "كم لديك؟ - حسناً، هاك - وقد أراني المسكين كل ما معه من نقود كان قد لفها في قصاصة قذرة من ورق الجرائد - هاك بولتينيك ودفوجريفينك ونقود نحاسية بعشرين كوبيك"، فأخذته على الفور إلى بائع الكتب. "هذه المجلدات الأحد عشر ثمنها اثنان وثلاثون روبل ونصف روبل، وعندي ثلاثون؛ أضف روبلين ونصف روبل

لتعويض الثمن، وسنشتري كل هذه الكتب ونعطيها لشخصين. سكب الرجل العجوز بسعادة غامرة كل ما معه من نقود على الطاولة، وتركه بائع الكتب يأخذ مكتبتنا كلها. حشر العجوز الصغير المجلدات في جيوبه كلها، وأخذ في كل يد عدة مجلدات، ووضع بعضها تحت ذراعيه، وهكذا عاد إلى بيته وهو محمل بالكتب، بعد أن أقسم لي أنه سيأتي في اليوم التالي ويسرق كل الكتب إلى بيتي. وفي اليوم التالي ذهب الرجل العجوز لرؤية ابنه، ومكث معه ساعة كما هي عادته، ثم جاء إلى منزلنا وجلس بجانبي في جو غامض فيه شيء من الهزل. وبدأ مبتسماً وهو يفرك يديه ببعضهما في زهو وفخر، وهو يشعر بالرضا عن كونه كاتم السر، وبدأ يخبرني أن جميع الكتب قد أحضرت إلى منزلنا دون أن تثير انتباه أحد، وأنها في زاوية من زوايا المطبخ تحت رعاية ماترينا ثم تحول الحديث بعد ذلك بطبيعة الحال إلى الوليمة القادمة، وبعد ذلك تحدث الرجل العجوز بإسهاب عن كيفية تقديم الهدية. وكلما تعمق في الموضوع، لاحظت أن لديه فكرة لم يستطع، ولم يجرؤ على التحدث عنها. ظللت أنتظر دون أن أنبس ببنت شفة. وشيئاً فشيئاً اختفت البهجة السرية، والرضا الحميم الذي كنت حتى ذلك الحين أقرأه بسهولة في أساليبه الغريبة، في تجهماته، في البريق في عينه اليسرى. ومن لحظة إلى أخرى أصبح أكثر قلقاً؛ وفي النهاية لم يعد قادراً على التحمل.

ـ"اسمعي"، بدأ بخجل، بنصف صوت، "اسمعي يا فارفارا أليكسييفنا... هل تعرفين شيئاً، فارفارا أليكسييفنا؟ - كان الرجل العجوز محرجًا للغاية. - كما ترين، عندما يحين يوم ولادته، خذي عشرة مجلدات وأعطيها له بنفسك، أي من نصيبك، من جانبك؛ ثم سآخذ المجلد الحادي عشر وأعطيه إياه من نصيبي أيضاً، أي باسمي الشخصي. بهذه الطريقة، كما ترين، ستتمكنين من تقديم هدية، وكذلك أنا...

سيكون لكل منا شيء يقدمه". ارتباك الرجل العجوز منعه من الاستمرار. ولكن لماذا لا تريدنا أن نقدم هذه الهدية معًا يا زاخار بتروفيتش؟ - هذا لأنه، فارفارا أليكسييفنا، هذا لأنني... كما ترى، أنا... " كان محاوري مرتبكاً وخجولاً، ولم يتمكن من إكمال جملته. كما ترين يا فارفارا أليكسييفنا"، وأوضح أخيرًا، "أنا أحيانًا أخرج عن طريقي... أعني، أنا دائمًا تقريبًا أخرج عن طريقي... أنا ميال إلى العادات السيئة... كما تعلمين، أحياناً يكون الجو باردًا في الخارج، وغالبًا ما نكون حزينين ونعاني من المشاكل والكآبة؛ لذلك أحيانًا أترك نفسي تنجرف، وأفسد نفسي وأفرط في الشرب. وبيتروشا لا تحب ذلك على الإطلاق. أترين يا فارفارا أليكسييفنا، إنه يغضب ويوبخني ويعظني. حسنا، هذا كل شيء! والآن أود أن أثبت له بهديتي هذه أنني أصلح من نفسي وأبدأ في تهذيبها، وأنني ادخرت ما يكفي لشراء كتاب، ادخرته منذ زمن طويل، لأنني لا أملك من المال، إذا جاز التعبير، إلا ما يعطيني إياه بيتروشا من وقت إلى آخر. إنه يعرف ذلك. لذا سيرى كيف أستخدم أموالي، وسيدرك أنني أفعل كل هذا من أجله فقط. لقد أثرت فيّ هذه الكلمات بعمق. لم تطل تأمّلاتي. نظر إليّ الرجل العجوز بقلق. قلت له: "حسناً، اسمع يا زاخار بتروفيتش"، "ستعطيه كل هذه الكتب. - ماذا تقصد، كل الكتب؟ - نعم، كل الكتب. وعلى أنها قادمة مني؟ - كما هو قادم منك. - مني وحدي؟ أي باسمي؟ - حسناً، نعم، باسمك أعتقد أنني شرحت لك نفسي بوضوح تام؛ ومع ذلك لم يستطع الرجل العجوز أن يفهمني لفترة طويلة جداً. حسناً، نعم"، لاحظ بعد لحظة من التفكير، "نعم! فقط أنتِ يا فارفارا أليكسييفنا، كيف ستفعلين ذلك؟ - حسناً، لن أعطي شيئاً. - كيف!" صرخ الرجل العجوز، وقد غلبه نوع من الخوف؛ "إذن لن تعطي بيتينكا شيئاً، إذن أنت لا تريدين أن تقدمي له هدية؟ لقد كان خائفاً؛ وفي هذه اللحظة بدا مستعداً لسحب اقتراحه،

حتى يتسنى لي أنا أيضاً أن أعطي - شيئًا لابنه. لقد كان رجلاً عجوزاً طيباً! فأكدت له أنني كنت سأكون سعيدة لو أنني قدمت له شيئاً، ولكنني لم أكن أريد أن أسلبه سعادته. - وأضفتُ: "إذا كان ابنك سعيداً فسوف تسعد أنت وأنا أيضاً، لأنني سأشعر في قلبي بنفس الشعور الذي ينتابني كما لو كنت قد أهديته هدية بالفعل". بقي معنا لمدة ساعتين أخريين، ولكن خلال ذلك الوقت لم يستطع أن يبقى ساكنًا: كان ينهض ويتحرك في أرجاء الغرفة بصخب، ويمرح مع ساشا، ويقبلني خلسة، ويقرص ذراعي ويوجه وجوهًا إلى آنا فيدوروفنا. وفي النهاية، طردته. وباختصار، كان الرجل العجوز ثملًا من الفرح كما لم يحدث من قبل. وفي يوم عيد ميلاد ابنه، وصل في الساعة الحادية عشرة تماماً، بعد القداس مباشرة، وكان يرتدي بالإضافة إلى البدلة التي تم تجديدها للمناسبة، صدرية جديدة وحذاءً جديداً. كانت حزمة الكتب في كلتا يديه. وكنا جميعاً في منزل آنا فيدوروفنا في ذلك الوقت نتناول القهوة في غرفة الطعام (وكان يوم أحد). وقد بدأ الرجل العجوز، على ما أعتقد، بقوله إن بوشكين كان شاعراً بارعاً جداً؛ ثم، بعد أن أفقدته العاطفة خيط حديثه، انتقل دون أن ينتقل إلى ترتيب آخر من الأفكار: كان من الضروري أن يحسن المرء التصرف، وإذا لم يحسن المرء التصرف فلأنه سلم نفسه للرذيلة؛ وكانت الميول الشريرة سبباً في ضياع الإنسان وخرابه؛ بل لقد ضرب بعض الأمثلة لإثبات مخاطر الإسراف، وانتهى بقوله إنه منذ مدة قد أصلح نفسه تماماً، وأنه الآن يعيش حياة مثالية؛ ولم يكن قد مضى عليه لم يكن بالأمس القريب قد أدرك دقة ملاحظات ابنه وسجلها في قلبه؛ أما الآن فقد بدأ فعلاً في ممارسة الاعتدال، ويشهد على ذلك هذه الهدية، هذه الكتب التي اضطر إلى ادخار ثمنها مدة طويلة. لم أتمالك نفسي من البكاء والضحك وأنا أستمع إلى حديث الرجل العجوز المسكين، فمن الواضح

أنه كان يعرف كيف يكذب عندما يحتاج إلى ذلك! تم أخذ الكتب إلى غرفة بوكروفسكي ووضعها على أحد الرفوف. خمن الشاب الحقيقة على الفور. دُعي الرجل العجوز إلى العشاء. وفي ذلك اليوم كنا جميعاً في غاية السعادة، وبعد العشاء لعبنا لعبة شعبية معروفة ولعبنا الورق؛ وكانت ساشا تعمل مثل قزم حقيقي، وفي هذا الصدد كنت أنافسها. وكان بوكروفسكي شديد الاهتمام بي، وكان يتحين الفرصة دائماً للتحدث إليّ على وجه الخصوص، ولكني كنت أتجنب انتباهه. كان أفضل يوم لي منذ أربع سنوات. ومنذ تلك اللحظة لم يكن لديّ سوى الذكريات الحزينة المؤلمة؛ والآن سأروي قصة أيامي المظلمة. ربما هذا هو السبب في أن قلمي بدأ يتحرك ببطء أكثر ويبدو أنه يرفض القيام بالمهمة التي تنتظره. ربما هذا هو السبب الذي جعلني أستمتع كثيرًا بتذكر أدق تفاصيل حياتي في أيامي السعيدة. تلك الأيام التي لم تدم طويلاً! وبعدهما جاء سوء الحظ، سوء الحظ الأسود الذي سينتهي لا يعلم إلا الله متى!

مرض بعد شهرين من الحوادث التي وصفتها للتو. وخلال هذين الشهرين كافح كفاحاً شديداً ليجد وسيلة لإعالة نفسه، إذ لم يكن له حتى ذلك الحين وضع ثابت. ومثله مثل كل المصابين بالصدر، كان لديه أمل في حياة طويلة حتى لحظته الأخيرة. وظهرت له وظيفة مدرس خصوصي، لكنه لم يكن لديه شيء سوى الاشمئزاز من هذه الوظيفة. وباختصار، رأى بوكروفسكي أن كل محاولاته باءت بالفشل، فساءت أعصابه. حل الخريف. ولم يكن يحميه معطفه الصغير من البرد، فكان يخرج كل يوم للاستفسار عن وظيفة في مكان ما - وكان ذلك في أعماقه غير سار بالنسبة له؛ وتبللت قدماه واخترقه المطر حتى العظم؛ وأخيراً ذهب إلى الفراش ولم يستيقظ مرة أخرى. توفي في منتصف الخريف، في نهاية شهر أكتوبر.

وطالما كان مريضًا، كنت أبقى، إذا جاز التعبير، بشكل دائم في غرفته. كنت أقوم بدور ممرضته، وغالباً ما كنت أقضي ليالٍ كاملة في الاعتناء به. ونادراً ما كان واعياً؛ وكان الهذيان هو حالته المعتادة؛ وكان يتحدث عن أمور لا يعلمها إلا الله: عن المنصب الذي كان يتقدم إليه، عن كتبه، عني، عن والده... وهكذا علمت فيما يتعلق به أشياء كثيرة كنت أجهلها تماماً ولم أكن أشك فيها أبداً. وفي الأيام الأولى من مرضه كان الجميع في البيت ينظرون إليّ نظرة غريبة بعض الشيء، وكانت آنا فيدوروفنا تهز رأسها؛ ولكن بعيداً عن الشعور بالخجل لأنني كنت مهتمة بوكروفسكي، لم أخفض عينيّ أمام أي شخص، وتوقفوا عن لومي، على الأقل أمي كانت تفعل ذلك. وأحياناً كان بوكروفسكي يتعرف عليّ، ولكن ذلك كان نادراً، فقد كان دائماً تقريباً فاقداً للوعي. وفي بعض الأحيان، وطوال ليال كاملة، كان يتحدث إلى محاور وهمي، ويلقي خطباً طويلة بعبارات مبهمة وغامضة؛ وفي غرفته الضيقة كان صوته الأجش يدوي بحدة كما لو كان في تابوت؛ وكنت خائفة حينئذ. وفي الليلة الأخيرة على وجه الخصوص، استولى عليه نوع من الهيجان؛ وكان يتألم ألماً مبرحاً ويقع في قبضة قلق قاس؛ وكان أنينه يمزق روحي. ظلت آنا فيدوروفنا تدعو الله أن يعيده إلى نفسه في أقرب وقت ممكن. تم إرسال طبيب. أعلن الطبيب أن المريض سيموت حتمًا في الصباح. أمضى العجوز بوكروفسكي الليل كله في الممر على مقربة من باب ابنه، وقد فرش له حصيرة صغيرة. وفي كل لحظة كان يدخل إلى الغرفة؛ وكان مظهره مخيفاً. لقد كان حزيناً جداً لدرجة أنه بدا وكأنه فقد كل شعور وكل تفكير. وكان يرتجف من كل جسمه ويرتعد من كل جسده ويحاوره بصوت خافت. وقبل طلوع النهار بقليل، نام الرجل العجوز، وقد غلبته المعاناة النفسية، على حصيرته، وكان نومه نومة رجل مقتول. بين الساعة السابعة والثامنة بدأت معاناة

الابن؛ أيقظت الأب. كان بوكروفسكي في كامل معرفته يودعنا جميعا من المثير للدهشة أنني لم أستطع البكاء، على الرغم من أن روحي شعرت أنها تحطمت إلى أشلاء، لكن أكثر من أي شيء آخر، كانت لحظات المريض الأخيرة مؤثرة ومؤلمة بالنسبة لي. ظل يسأل عن شيء ما وهو يهز لسانه بجهد، دون أن أتمكن من فهم أي معنى لكلماته. وظل لساعة كاملة مضطرباً تعذبه رغبة حاول عبثاً أن يعبر عنها؛ وحاول أن يشير بيديه الباردتين أصلاً، ثم أخذ يتوسل مرة أخرى بصوت مبحوح أجش أصم؛ ولكن فمه لم يكن ينطق إلا بأصوات غير مترابطة، وكان من المستحيل علي أن أفهم شيئاً. أحضرت له كل طعامنا وأعطيته شيئًا ليشربه، لكنه كان يهز رأسه دائمًا بحزن. في النهاية فهمت ما أراده. لقد أراد رفع ستارة النافذة وفتح المصاريع. بالتأكيد أراد أن يرى النهار للمرة الأخيرة، نور الله، الشمس. لقد حققت له أمنيته، لكن اليوم الذي كان على وشك أن يبدأ كان حزينًا وكئيبًا مثل حياة الرجل المحتضر المسكينة المتدهورة. لم تكن هناك شمس. كانت السماء ممطرة وغائمة وكئيبة. كان المطر الغزير يتساقط على النوافذ ويغمرها بالماء البارد القذر. اخترقت أشعة ضوء النهار الشاحب الغرفة بشكل خافت، وبالكاد حجبت ضوء المصباح المرتجف المضاء أمام الأيقونة. نظر إليّ الرجل المحتضر بحزن وأومأ برأسه. وبعد لحظات فارق الحياة. قامت آنا فيدوروفنا بنفسها بترتيب الجنازة. اشترت جعة بسيطة واستأجرت سائق عربة. لتغطية المصاريف أخذت آنا فيدوروفنا جميع كتب المتوفى وكتبها. تشاجر معها الرجل العجوز؛ وأثار ضجة كبيرة وانتزع منها ما استطاع من الكتب؛ وحشا بها جيوبه وقبعته وكل مكان؛ وحملها معه لمدة ثلاثة أيام ولم يشأ حتى أن يفارقها عندما حان وقت الذهاب إلى الكنيسة.

وكان طوال هذه المدة كأنه مذهولاً فاقداً للذاكرة؛ وكان يدور حول النعش في صخب، محاولاً أن يجعل من نفسه مفيداً؛ فتارة يرتب الأكاليل الموضوعة على الجثمان، وتارة يشعل الشموع أو يغيرها. يمكنك أن ترى أن أفكاره لم تستقر على أي شيء. لم تذهب والدتي ولا آنا فيدوروفنا إلى الكنيسة للحصول على الغفران. كانت والدتي مريضة؛ وكانت آنا فيدوروفنا قد تشاجرت مع الرجل العجوز ولم تعد تريد التدخل. ذهبت معه بمفردي. خلال المراسم، انتابني خوف غامض، وكأنه هاجس من المستقبل؛ كنت بالكاد أستطيع الوقوف على ساقي. وفي النهاية تم تثبيت التابوت بالمسامير وحمله على العربة ونقله بعيداً. وضع سائق العربة حصانه في هرولة. ركض الرجل العجوز خلفه وانتحب بصوت عالٍ. كان نحيبه لاهثاً، قطعه الفواق الناجم عن ضيق التنفس أثناء السباق. فقد الرجل المسكين قبعته ولم يتوقف لالتقاطها. وانهمر المطر على رأسه، وهبّت رياح باردة وتحول المطر إلى صقيع لسع وجهه. بدا الرجل العجوز غافلاً عن الطقس الرهيب؛ كان لا يزال يركض وهو ينتحب من جانب العربة إلى الجانب الآخر. وكانت رفرفات معطفه البالي ترفرف في الريح كأجنحة عظيمة، وكانت الكتب تتساقط من كل جيوبه، وكان يحمل مجلداً كبيراً في يديه ويضمه إلى نفسه بكل قوته. خلع المارة ملابسهم ولوحوا له. التفت البعض وحدقوا في الرجل العجوز في دهشة. وبين الحين والآخر كان يفقد الكتب التي كانت تتدحرج في الوحل. كانوا يستوقفونه ليروه إياها، فيلتقطها ويركض مسرعًا ليلحق بالبيرة. عند ناصية الشارع، بدأت امرأة عجوز متسولة ترافق القافلة معه. اختفت العربة عند المنعطف، وغابت عن ناظري. عدت إلى المنزل. وفي غمرة القلق الرهيب ألقيت بنفسي على صدر أمي، وضممتها بين ذراعي بكل قوتي، وغمرتها

بالقبلات وأنا أنتحب؛ وضممت إليّ صدرها وحاولت بطريقة ما أن أحتضنها، وأن أنافس الموت على آخر من أحبني... لكن الموت كان بالفعل يحوم حول أمي المسكينة.

***

11 يونيو

كم أنا ممتنة لك يا ماكار أليكسييفيتش على نزهة الأمس إلى الجزر! كم هي جميلة ونضرة هناك! كم هي جميلة تلك الخضرة! لقد مضى وقت طويل جدًا منذ أن رأيت الخضرة؛ - أثناء مرضي كان يبدو لي دائمًا أنني محكوم عليّ بالموت وأنني سأموت حتمًا؛ - فقط فكر كيف كان شعوري بالأمس، وكيف كانت أحاسيسي! - لا تغضب مني لأني كنت حزينة بالأمس؛ لقد كنت سعيدة جداً، وبخير حال، ولكني في أفضل حالاتي دائماً حزينة تغمرني الدموع أنا لا أعرف نفسي لماذا أبكي دائمًا. لديّ حساسية مَرَضيّة وعصبية؛ انطباعاتي مريضة. السّماء الشاحبة، الصافية من الغيوم، غروب الشمس، هدوء المساء، - كل ذلك، - لا أدري - ولكني كنت بالأمس في مزاج يجعل كل الانطباعات تؤثر فيّ تأثيراً مؤلماً، وتجعلني أتألم؛ لقد فاض قلبي من شدة الألم، واحتاجت روحي إلى الدموع. ولكن ما الفائدة من كتابة كل هذا لك؟

هذه أشياء يصعب بالفعل شرحها للنفس، ويصعب أكثر شرحها للآخرين. ولكن ربما ستفهمونني على حد سواء. لقد كنت حزينة وسعيدة في نفس الوقت! كم أنت جيد حقًا يا ماكار أليكسييفيتش! بالأمس، كيف كنتَ تُثبّت عينيك على عيني لتقرأ ما كنتُ أشعر به، وكيف كنتَ تستمتع بنشوتي! سواء كانت شجيرة أو طريقاً أو قطعة ماء - ها أنت ذا، تقف أمامي كفارس شهم، وتنظر في عيني طوال الوقت، كما لو كنت تشرفني بشرف ضيعتك. هذا يثبت أن لديك قلبًا طيبًا يا ماكار أليكسييفيتش ولهذا السبب أحبك. حسناً، وداعاً. أنا مريضة مرة أخرى اليوم؛ بالأمس أصابتني

قدمي بالبلل مما أصابني بالزكام؛ فيدورا مريضة أيضاً، لذا كلانا في هذه اللحظة في حالة سيئة. لا تنسني، تعالي لزيارتي في كثير من الأحيان.

مخلصتك

ف.د.

12 يونيو

عزيزتي فارفارا ألكسيفنا!

ظننت أنني كنت أقرأ يا ماتوشكا مقطوعة شعرية كاملة عن مسيرتنا، وكل ما فعلته أنت هو ملء ورقة واحدة صغيرة. ما أقصد قوله هو أنه على الرغم من أن رسالتك قصيرة، إلا أنها تصف الأشياء بشكل غير عادي وممتع للغاية. الطبيعة والمناظر الريفية وبقية المشاعر؛ وباختصار، لقد صورت كل شيء بشكل جيد جداً. لكنني لا أملك هذه الموهبة. يمكنني أن أملأ عشر صفحات، ولكنني لن أصل إلى أي مكان، لن أستطيع أن أصف أي شيء، لقد حاولت بالفعل. - لقد كتبتِ إليّ يا عزيزتي أنني رجل طيب، لطيف، لا أقدر على إيذاء الغير ومتمكن من فهم الخير الإلهي المتجلي في الطبيعة؛ وباختصار، أنتِ تمدحينني بشتى الطرق. كل ذلك صحيح يا ماتوتشكا، كل ذلك صحيح تماماً؛ إنني في الواقع كما تقولين، وأنا أعرف ذلك بنفسي؛ ولكننا عندما نقرأ ما تكتبينه، تتأثر قلوبنا لا إرادياً، ثم نتأمل بعض التأملات المؤلمة. والآن اسمعيني يا ماتوتشكا، سأخبرك شيئاً يا عزيزتي.

سأبدأ بإخبارك يا ماتوتشكا بأنني كنت في السابعة عشرة من عمري عندما دخلت الخدمة، وأنني أخدم منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً حتى الآن. دعينا نواجه الأمر، لقد ارتديت الكثير من البزات العسكرية؛ لقد بلغت سن الرجولة، واكتسبت ذكاءً، ورأيت رجالاً؛ لقد عشت، وأستطيع أن أقول إنني عشت في العالم، لدرجة أنهم أرادوا ذات مرة أن يحملوني إلى الصليب. قد لا تصدقونني، ولكنها الحقيقة، أنا لست أكذب عليك إذن لماذا يا ماتوتشكا أنا هدف لهجمات الأشرار؟ سأخبرك يا

عزيزتي أنه على الرغم من جهلي وغبائي إلا أن لي قلباً كأي قلب آخر. حسناً، هل تعلمين يا فارينكا ماذا فعل بي رجل شرير؟ ولكن من العار أن أقول ما فعله، اسأليني لماذا فعل ذلك. ببساطة لأني متواضع، لأني رقيق، لأني طيب!

لم تكن شخصيتي تناسبهم؛ ولهذا السبب وقعوا عليّ. في البداية قالوا: "أنت هذا وذاك، ماكار أليكسييفيتش"؛ ثم قالوا: "إنه ماكار أليكسييفيتش، لا تسأل". والآن يقول الناس: "إنه بالتأكيد ماكار أليكسييفيتش". وبفضلهم أصبح "ماكار أليكسييفيتش" مثلًا، يُضرب به المثل في جميع أنحاء قسمنا. ولم يكتفوا بجعل اسمي مثلًا، بل أصبح يُضرب به المثل، بل أصبحوا ينتقدون حذائي وزيي الرسمي وشعري ووجهي: لا شيء على ذوقهم، يجب تغيير كل شيء! لقد اعتدت على ذلك، لأنني اعتدت على كل شيء، لأنني رجل لطيف، لأنني رجل صغير، ولكن لماذا كل هذا؟ ما الضرر الذي ألحقته بأحد؟ وماذا يهم إذا قمت بعمل نسخ؟ هل هذه جريمة؟ يقولون: "إنه ينسخ". ولكن ما هو المشين في ذلك؟ إن خطي جميل ومقروء جداً، وهو سهل على العين، ومعاليه راضٍ عنه، وأنا أنسخ له أهم الأوراق. بالله عليك، ليس لي أسلوب، وأنا أعرف بنفسي أن هذا الأسلوب اللعين ينقصني؛ وهذا ما أوقفني في مسيرتي المهنية، ولهذا السبب أيضاً في هذه اللحظة بالذات يا عزيزي أكتب إليك عرضاً بلا تكلف، كما تأتيني الأفكار ... أعرف كل ذلك، لكن لو كان كل شخص كاتباً، فمن سيكون ناسخاً؟ هذا هو السؤال الذي أطرحه، وأرجو أن تجيبي عليه يا ماتوتشكا. حسناً، أشعر الآن أن هناك حاجة لي، وأنني ضروري، وأن هذه المضايقة السخيفة لا طائل من ورائها. أن تكون. لنفترض أنني جرذ، بما أنهم توصلوا إلى هذه المقارنة! ولكن هذا الجرذ ضروري، و له فائدة، و نهتم به، و هذا الجرذ سيحصل على مكافأة، هذا هو الجرذ! لم أكن أريد حتى أن أتحدث عن ذلك، لكنني انجرفت

في الحديث عن ذلك. على كل حال، من وقت لآخر نحب أن ننصف بعضنا بعضاً وداعاً يا عزيزتي، يا صديقتي، يا معزيتي الطيبة! سآتي لزيارتك. وفي هذه الأثناء، لا تضجري، سأحضر لك كتاباً. الوداع يا فارينكا، مع خالص تحياتي.

ماكار ديفوشكين

20 يونيو

السيد ماكار أليكسييفيتش!

أكتب إليك في عجلة من أمري، أنا في عجلة من أمري، الأمر يتعلق بهذا: لقد أتيحت لي فرصة لعقد صفقة مربحة. تقول "فيدورا" إن أحد معارفها لديه زي جديد للبيع، مع بنطلون وصدرية وقبعة: كل شيء سيكون رخيصاً جداً، كما يقولون، حسناً، عليك أن تشتريه. أنت الآن لست قصيرًا ولديك المال؛ أنت تقول بنفسك أنك تملك المال. أرجوك، لا تنظر إلى النفقات؛ فأنت بحاجة إلى كل شيء. ألق نظرة وانظر إلى الزي القديم الذي ترتديه. إنه عار! إنه مرقع بالكامل لم يعد لديك الزي الجديد بعد الآن، أعرف ذلك، رغم أنك تؤكد لي خلاف ذلك. الله وحده يعلم أين كانت لذا اسمعني، اشتري هذه الأشياء، من فضلك. افعل ذلك من أجلي، إذا كنت تحبني فستشتريها لقد أرسلت لي بعض الكتان كهدية؛ ولكن اسمع يا ماكار أليكسييفيتش أنت تدمر نفسك. هل هذه مزحة؟ كم من المال أنفقت عليّ! آه، يا لك من مبذر! أنا لا أحتاجها، لقد كان كل ذلك من أجل لا شيء. أنا أعلم، أنا متأكدة، أنك تحبني؛ حقاً، إنه من غير الضروري أن تظهر صداقتك بالهدايا، ومن المؤلم بالنسبة لي أن أتلقى منك الهدايا؛ أنا أعلم ما تكلفك إياها. مرة واحدة وإلى الأبد، هذا يكفي، هل تسمع؟ أنا أوجه إليك دعاء، وتضرعاً، أنت تطلب مني يا ماكار أليكسييفيتش أن أرسل إليك بقية مذكراتي؛ أنت تريدني أن أنهيها. لا أعرف حتى كيف استطعت أن أكتب ما كتبته، لكني لا أملك القوة للحديث عن ماضيّ الآن، لا أريد حتى التفكير فيه؛ فتلك الذكريات تخيفني. إن الحديث عن والدتي المسكينة التي تركت طفلها

المسكين فريسة لهؤلاء الوحوش هو أكثر ما يؤلمني. هذه الذكرى وحدها تجعل قلبي ينزف دماً. كل شيء لا يزال طازجًا جدًا! لم أستطع حتى الآن، لا أقول أن أهدأ، بل فقط أن أعود إلى رشدي رغم مرور أكثر من عام على ذلك. لكنك تعرفين كل شيء. إنها تتهمني بنكران الجميل وتنكر أن أكون بأي شكل من الأشكال شريكاً للسيد بويكوف! إنها تدعوني للعودة تقول أنني أتسول الصدقات، وأنني سلكت الطريق الخاطئ. وإذا عدت إليها، كما تقول، فإنها سترتب كل شيء مع السيد بويكوف وتجعله يصحح كل أخطائه ضدي، وتقول إن السيد بويكوف يريد أن يعطيني مهراً. كان الله في عونهم! أشعر بأنني في منزلي هنا معك، قريباً من فيدورا الطيبة التي تذكرني مودتها بمودة المرحومة نيانيا. أنتِ ما زلتِ تحميني باسمك رغم أنكِ من أقاربي البعيدين عني، ولكني لا أعرفهم؛ وسأنساهم إن استطعت. ماذا لا يزالون يريدون مني؟ فيدورا يسمي كل ذلك نميمة ويقول إنهم سيتركونني وشأني في النهاية. إن شاء الله.

ف.د

21 يونيو

عزيزتي، ماتوتشكا!

أريد أن أكتب إليك، ولا أعرف من أين أبدأ، أترين كم هو غريب يا ماتوتشكا الطريقة التي نعيش بها الآن، أنا وأنت! أعني أنني لم أقضِ أيامي في مثل هذه البهجة من قبل؛ وكأن الرب قد وهبني بيتاً وعائلة! أنتِ طفلتي الصغيرة، يا حبيبتي! ولكن لماذا تتكلمين عن القمصان الأربعة التي أرسلتها لكِ؟ هيا، لقد كنتِ بحاجة إليها - لقد سمعت عنها من فيدورا. و أن أكون في خدمتك يا ماتوتشكا هو متعة بالنسبة لي. هذا من دواعي سروري، دعي الأمر لي يا ماتوتشكا لا تقفي في طريقي لم يحدث لي شيء كهذا من قبل يا ماتوتشكا الآن أنا في الخارج في العالم وثانياً، لقد تلقيت دعوة للذهاب اليوم لتناول الشاي في بيت أحد المستأجرين، وهو جاري راتزاييف، وهو نفس الموظف الذي يحيي الأمسيات الأدبية. هناك اجتماع اليوم؛ سنقرأ الأدب. هذا هو حالنا الآن، ماتوتشكا، هذا هو حالنا! حسناً، وداعاً لقد كتبت كل هذا بدون أي غرض واضح، وفقط لأخبرك كم أنا سعيد. دوشينكا، لقد أخبرتني أنك بحاجة إلى بعض الحرير الملون من أجل تطريزك؛ سأشتري لك بعضه، ماتوشكا، ستحصلين عليه؛ سأشتري لك بعض الحرير. غداً سأكون مسروراً بإرضائك تماماً. أعرف من أين أشتريه والآن سأبقى صديقك المخلص.

ماكار ديفوشكين.

22 يونيو

آنسة فارفارا أليكسييفنا!

لا بد لي أن أخبرك يا عزيزتي أن أمراً مؤسفاً قد حدث في بيتنا يستحق الشفقة حقاً! اليوم، ما بين الرابعة والخامسة صباحا، توفي اليوم ولد غورشكوف الصغير. لا أعرف ماذا حدث له. هل كانت الحمى القرمزية؟ الله أعلم! لقد قمت بزيارة آل جورشكوف حسنا، ماتوتشكا، إنهم بائسون! !ويا لها من فوضى ولكن هذا ليس مستغرباً: فالعائلة كلها تعيش في غرفة واحدة؛ ومن أجل الحشمة صنعوا فاصلاً من الستائر فقط. لقد اشتروه جاهزًا عندما كان الطفل في التاسعة من عمره، وقيل إنه يبعث على الأمل. إنه منظر رائع يا فارينكا! الأم لا تبكي، لكنها حزينة جداً، مسكينة! قد يكون من المريح بالنسبة لهم أن ينقصهم طفل واحد، ولكن لا يزال لديهم طفلان: طفل يرضع من الثدي وطفلة صغيرة لم تتجاوز السادسة من عمرها. بالمناسبة، ما هي المتعة في رؤية طفل يعاني دون أن تكون قادرًا على المساعدة؟ الأب يرتدي ثياباً قديمة قذرة وهو جالس على كرسي رديء، وهو يبكي، ولكن هل هو من الحزن؟ قد تكون دموعه تنهمر من شدة الحزن، على غير عادته. إنه غريب جداً! إنه يحمرّ خجلاً دائماً عندما تتحدث إليه، ويرتبك ولا يدري ماذا يقول. الفتاة الصغيرة متكئة على التابوت، وهي حزينة جداً، متأملة جداً، مسكينة! أنا، ماتوتشكا فارينكا، لا أحب أن يكون الأطفال متأملين؛ إنه أمر غير سارّ أن أراه! وبجانبها على الأرض دمية في ثياب رثة - وهي لا تلعب، بل تقف ساكنة وأصبعها الصغير على شفتيها.

أعطتها صاحبة المنزل حلوى؛ أخذتها لكنها لم تأكلها. إنه لأمر محزن يا فارينكا، أليس كذلك؟

ماكار ديفوشكين.

25 يونيو

عزيزي ماكار أليكسييفيتش! سأعيد إليك كتابك، إنه كتاب صغير بغيض لا يساوي شيئًا على الإطلاق! - لا يسمح لك حتى بلمسه. من أين حصلت على مثل هذا الكنز؟ بجدية يا ماكار أليكسييفيتش هل من الممكن أن تحب كتباً كهذه؟ لقد وعدتني بأنك ستحضر لي شيئاً لأقرأه في أحد الأيام! إذا أحببت، سأتحمل نصيبي من النفقات. إلى اللقاء الآن ليس لدي وقت للكتابة بعد الآن.

ف.د.

26 يونيو

عزيزي فارينكا الحقيقة أنني لم أقرأ هذا الكتاب الصغير، ماتوتشكا. وفي الحقيقة، لقد ألقيت نظرة عليه، وأستطيع أن أرى أنه كله هراء، كتب فقط لإضحاك الناس، إضحاكهم وإسعادهم. حسناً، لقد قلت لنفسي، لا بد أنها مسلية بالفعل؛ ربما تعجب فارينكا؛ لقد أخذتها وأرسلتها لك، ولكن راتازايف وعدني أن يعطيني شيئاً أدبياً حقيقياً لأقرأه؛ حسناً، لن تنقصك الكتب يا ماتوتشكا. إن راتزاييف يعرف أشياءه - إنه رجل ماهر؛ وهو نفسه يكتب، أوه! كيف يكتب! إن له قلماً يقظاً وأسلوباً رائعاً؛ أي أنه في كل كلمة، في أتفه الكلمات وأكثرها تفاهة وأكثرها ابتذالاً وأشدها ابتذالاً، لنقل مثلاً في جملة كما قد أقول أحياناً لفالدوني أو تيريز، حسناً، إنه يضع أسلوباً! أذهب إلى حفلاته. ندخن التبغ ويقرأ لنا؛ يقرأ لنا خمس ساعات ونحن نستمع إليه طوال الوقت، إنه ليس أدباً، ولكنه متعة! إنه سحر، إنه زهور، إنه زهور، زهور بالتأكيد؛ كل صفحة هي باقة زهور! إنه لطيف جداً، كريم جداً! هيا، ماذا أنا بالنسبة له؟ ماذا؟ لا شيء. إنه رجل معروف، وماذا أكون أنا؟ أنا غير موجود، بالتأكيد لا: ومع ذلك فهو لطيف معي. أنا أنسخ له بعض المخطوطات. ولكن لا تظني يا فارينكا، أن هناك خدعة هنا، وأنه يعاملني بلطف لمجرد أنني ناسخته. لا تصدقي النميمة يا ماتوتشكا، لا تصدقي النميمة الرخيصة، لا، أنا أفعل ذلك من تلقاء نفسي، وبعفوية لأرضيه، وإذا أظهر لي اللطف، فذلك لإرضائي. أنا أتفهم حساسية العملية، ماتوتشكا. إنه رجل طيب، رجل طيب جداً، وأديب لا يضاهيه أحد، ولكن الأدب شيء جميل يا فارينكا، شيء جميل جداً، كما تعلمت منهم أول أمس. شيء عميق! إنه يقوي قلب الإنسان، ويثقف، و - هناك أفكار أخرى

مختلفة حول هذا الموضوع في الكتاب الذي قرأوه. أفكار مشروحة بشكل جيد للغاية! إن الأدب صورة، بل صورة ومرآة: عواطف، وتعبير، ونقد دقيق، ودرس تربوي، ووثيقة. ما تبقى من خطبهم. سأقول لك بصراحة، يا ماتوتشكا، إنني أتخذ مكاني بينهم وأستمع إليهم (أدخن الغليون اقتداء بهم)؛ - ولكن عندما يبدؤون في مناقشة موضوعات مختلفة، فإنني ببساطة أتنحى جانباً؛ ثم يتنحى بقيتنا يا ماتوتشكا. إنني أشعر بالخجل من نفسي، وأحاول طوال الأمسية أن أدس نصف كلمة على الأقل في المناقشة العامة؛ ولكن بعد ذلك، كما لو كان ذلك عن قصد، لا تأتيني نصف الكلمة تلك! وأنت تتذمرين من نصيبك يا فارينكا، وتتمنين أن تكوني هذا وذاك، وأنك كبرت دون أن تصبحي ذكية كما يقول المثل. ماذا أفعل الآن وأنا حر؟ - أنام أيها الأحمق! بدلًا من النوم بلا داعٍ، يمكنك أيضًا أن تشغل نفسك بشكل ممتع، تجلس إلى مكتبك وتكتب. انظر فقط يا ماتوتشكا، كم يكسبون من المال، عسى أن يغفر لهم الرب! خذ راتزاييف على سبيل المثال، كم يكسب من المال! ماذا تعني له كتابة صفحة واحدة؟ لقد كتب ما يصل إلى خمس صفحات في اليوم الواحد، وكل واحدة منها يتقاضى عنها - كما يقول - ثلاثمائة روبل. حكاية صغيرة، شيء غريب، - إنها خمسمائة روبل: "إذا لم تفعل، سنطالبك في المرة القادمة بألف روبل! ماذا تقولين يا فارفارا أليكسييفنا؟ ماذا بحق السماء! - إن راتازاييف يطلب سبعة آلاف روبل، ماتوتشكا، سبعة آلاف، تخيلوا ذلك، من أجل ديوان شعر رقيق لا يحتوي إلا على أبيات صغيرة. لكنها قطعة عقارية، عقار استثماري! يقول أنه عُرض عليه خمسة آلاف روبل، ولكن لن يتخلى عن مخطوطته مقابل هذا السعر. قلت له: "خذ الخمسة آلاف روبل التي يعرضونها عليك يا باتوشكا"، قلت له: "اضحك عليهم؛ ففي النهاية خمسة آلاف روبل هي نقود! - لا"، فأجابني: "لا،

سيعطونني سبعة آلاف، الأوغاد! - إنه يفهم حقًا في العمل! بما أنني جئت لأتحدث عن ذلك يا ماتوتشكا، سأقتبس لك مقطعًا صغيرًا من الآلام الإيطالية؛ إنه عنوان عمل لراتازاييف. اقرأ المقتطف أدناه، فارينكا، وانظر بنفسك. ... فارتجف فلاديمير، وبدأت العواطف الغاضبة تتحرك في داخله، وبدأ دمه يغلي... "- كونتيسة"، صرخ، "كونتيسة! هل تعرفين مدى فظاعة هذه العاطفة الرهيبة، ومدى هذا الجنون غير المحدود؟ لا، لم تخدعني أحلامي! أنا أحب، أنا أحب بشكل محموم، بشراسة، بجنون! إن كل دماء زوجك لن تهدئ من هيجان روحي! إن العوائق التافهة لن توقف النار الجهنمية التي تلتهم صدري المنهك يا زينايدي، يا زينايدي!" - تمتمت الكونتيسة وهي تميل على كتف الشاب، فقال سميلسكي في لهفة: "زينايدي، زينايدي!"

"تبخرت تنهيدة من صدره. فلاديمير!" قالت الكونتيسة المذهولة بصوت منخفض. كان صدرها ينفرج، وكانت وجنتاها قد تحولتا إلى اللون القرمزي، وعيناها تلمعان بنور الشمس.

"لقد اكتمل غشاء البكارة الجديد الرهيب!"

***

"وبعد نصف ساعة، دخل الكونت العجوز مخدع زوجته: ."ولكن، يا روحي، ماذا لو سخنا بعض الشاي لضيفنا العزيز؟" قال وهو يربت على كتف زوجته بخفة: "حسناً، أسألك يا ماتوتشكا، كيف تحبينه ؟ في الحقيقة، إنه مجاني بعض الشيء، لا جدال في ذلك، ولكن من ناحية أخرى، إنه جميل، أن يكون جميلاً، هذا جميل! اسمحوا لي أن أنقل لكم جزءًا آخر من القصة: إيرماك وزليخا، كما ترون يا

ماتوتشكا، القوقازي إيرماك، قاهر سيبيريا الشرس والرهيب، وقع في حب زليخا ابنة الملك السيبيري كوتشوم التي وقعت في قبضته. الموضوع، كما ترون، مستعار من زمن إيفان الرهيب. إليكم المحادثة بين إيرماك وزليخا:

ـ "أنتِ تحبيني يا زليخة! أوه! كرري، كرري!"

- "أنا أحبك يا إيرماك"، أجابت زليخة بصوت منخفض.

ـ"السماء والأرض، أشكرك! لقد أعطيتني كل شيء، كل ما كانت روحي المضطربة تتوق إليه منذ المراهقة. إذن هذا هو المكان الذي قدتني إليه يا نجمي الهادي؛ لهذا السبب أحضرتني إلى هنا، إلى ما وراء الحزام الحجري! سأعرض زليخة على العالم أجمع، ولن يجرؤ الرجال، أولئك الوحوش الغاضبون، على عتابي! آه، لو استطاعوا أن يفهموا سر معاناة روحها الرقيقة، لو استطاعوا أن يروا قصيدة كاملة في دمعة صغيرة واحدة من دموع زليخة! أوه، دعوني أضع هذه الدمعة بقبلاتي، دعوني أشربها، هذه الدمعة السماوية... لأكون فوق الأرض!

"قالت زليخة: ـ "يا إيرماك، "العالم شرير والرجال ظالمون! سوف يرفضوننا، سوف يدينوننا، عزيزي إيرماك! فتاة مسكينة تربت في وسط ثلوج سيبيريا، في خيمة والدها، ماذا ستفعل في عالمك البارد الجليدي الأناني الذي لا روح فيه؟ إن الرجال لن يفهموني يا حبيبي!"

- ثم يرتفع سيف القوقازي ويقع عليهم!" - صرخ إيرماك الذي لمعت عيناه ببريق شرير "ولكن ماذا يكون حال إيرماك، فارينكا، عندما يعلم أن زليخة قد قتلت! لقد استغل كوتشوم العجوز الأعمى ظلام الليل ليتسلل إلى خيمة إيرماك في غيابه ويذبح ابنته في محاولة لتوجيه ضربة قاضية إلى القوقازي الذي حرمه من العرش والتاج. أنا أستمتع بحك الحديد بالحجر!" صرخ إيرماك في غضب، وهو يشحذ سكينه

الدمشقي على حجر مكرس للعبادة. أحتاج إلى دمائهم! أحتاج إلى منشارهم، منشارهم! وبعد كل ذلك يرمي إيرماك بنفسه في نهر إرتيش بعد أن عجز عن النجاة من زليخاه، وهكذا ينتهي كل شيء. والآن إليكم نموذجاً صغيراً من الوصف بعض السطور المكتوبة خصيصًا لإضحاكك: "هل تعرف إيفان بروكوفييفيتش؟ حسناً، انظر، إنه الشخص الذي عضّ بروكوفيفي إيفانوفيتش في ساقه. كان إيفان بروكوفييفيتش رجلًا جامد الطباع، ولكنه كان موهوبًا بفضائل نادرة؛ وعلى العكس من ذلك، كان بروكوفيفي إيفانوفيتش مغرمًا بإفراط بالفجل الحار المخلوط مع العسل[5]. عندما ارتبطت بيلاجي أنتونوفنا به... ولكن هل تعرف بيلاجي أنتونوفنا؟ حسناً، إنها هي التي ترتدي تنورتها دائماً بالمقلوب إنها دعابة يا فارينكا، مجرد دعابة! لقد انفجرنا بالضحك عندما قرأها لنا. إنه مضحك جداً، فليغفر له الرب! أما البقية يا ماتوتشكا، فعلى الرغم من أنها خفيفة بعض الشيء، مضحكة جداً، إلا أنها على الأقل بريئة، ليس فيها أدنى ذرة من الفسق والتحرر. وتجدر الإشارة يا ماتوتشكا إلى أن راتزاييف رجل حسن السيرة والسلوك، وهو أيضاً كاتب ممتاز، وهو استثناء بين الأدباء. وبالمناسبة، هذه فكرة تخطر لي أحياناً... حسناً، إذا كنت سأكتب شيئاً، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ لنفترض، على سبيل المثال، أنه فجأة، وعلى حين غرة، ظهر كتاب بعنوان: أشعار لمكار ديفوشكين! كان إيفان بروكوفييفيتش رجلًا جامد الطباع، ولكنه كان موهوبًا بفضائل نادرة؛ وعلى العكس من ذلك، كان بروكوفيفي إيفانوفيتش مغرمًا بإفراطه خلط الفجل الحار مع العسل عندما ارتبطت بيلاجي أنتونوفنا به... ولكن هل تعرف بيلاجي أنتونوفنا؟ حسناً، إنها هي التي

5 سيخفى على القارئ الفرنسي القصد من هذه الجملة المزاحية تمامًا. ربما يكون المزاح أكثر ملوحة في اللغة الروسية، ولكننا لم نتمكن من إعادة إنتاج التورية التي تشكلت في النص من كلمتي ريدكيخ (نادر) وإريدكو (فجل)

ترتدي تنورتها دائماً بالمقلوب إنها دعابة يا فارينكا، مجرد دعابة! لقد انفجرنا بالضحك عندما قرأها لنا. إنه مضحك جداً، فليغفر له الرب! أما البقية يا ماتوتشكا، فعلى الرغم من أنها خفيفة بعض الشيء، مضحكة جداً، إلا أنها على الأقل بريئة، ليس فيها أدنى ذرة من الفسق والتحرر. وتجدر الإشارة يا ماتوتشكا إلى أن راتزاييف رجل حسن السيرة والسلوك، وهو أيضاً كاتب ممتاز، وهو استثناء بين الأدباء. وبالمناسبة، هذه فكرة تخطر لي أحياناً... حسناً، إذا كنت سأكتب شيئاً، ماذا سيحدث بعد ذلك؟ لنفترض، على سبيل المثال، أنه فجأة، وعلى حين غرة، ظهر كتاب بعنوان: أشعار لمكار ديفوشكين!

يلبس دائماً تقريباً حذاءً مرقعاً، وأصدقك القول أن النعلين ينخلعان أحياناً بطريقة غير لائقة. كيف سيكون الأمر لو عرف الجميع أن الكاتب ديفوشكين كان يرتدي حذاءً مرقعًا؟ إذا اكتشفت إحدى الكونتيسات أو الدوقات، ماذا ستقول يا روحي؟ ربما لن تلاحظ، لأني أفترض أن الكونتيسات لا يهتممن بالأحذية، وخاصة عندما تكون أحذية الموظفين (هناك في الواقع أحذية وأحذية)؛ ولكنهن سيخبرنها بكل شيء، وسيخونني أصدقائي. إن راتزاييف سيكون أول من يبيعني؛ فهو يتردد على منزل الكونتيسة ف. ... ويقول إنه يذهب لرؤيتها كثيراً وبصورة عرضية جداً. إنها، كما يقول، سيدة أديبة متميزة! !يا له من حبل مشنقة، ذلك الراتزاييف أكتب كل هذا، يا ملاكي الصغير، على سبيل المزاح، لتسلية نفسي وإلهاءك. وداعاً يا عزيزتي! لقد خربشت للتو الكثير من الهراء، ولكن ذلك لأنني في أسعد حالاتي الذهنية اليوم. لقد تناولنا جميعاً العشاء معاً في مطعم راتازايف و (إنهم أوغاد يا ماتوتشكا!) لقد مرروا حولنا مثل هذه الرواية..... هيا، ما الفائدة من إخبارك بكل هذا؟ لا تتخيلي أي شيء عني، فارينكا، كل هذا مجرد مزحة. سأرسل لك بعض الكتب، سأفعل... أعمال بول

دي كوك تنتقل من يد إلى يد، فقط يا ماتوتشكا، بول دي كوك لن يكون لك... ولا حتى بعد مليون سنة بول دي كوك ليس لك إنهم يقولون يا ماتوتشكا أنه يثير سخطاً نبيلاً بين جميع النقاد في بطرسبرج، إنني أرسل لك رطلاً من الحلوى - اشتريتها خصيصاً لك تناوليها يا ماتوتشكا، ولعل كل حلوى تجعلك تفكرين في، فقط، أما حلوى السكر فلا تقضميها، بل مصيها فقط، وإلا أصبت بألم في أسنانك. لكن ربما تحبين الحلوى أيضاً؟ اكتبي لي. حسنًا، الوداع، الوداع. ليكن المسيح معك يا عزيزي! أما بالنسبة لي، فسأبقى دائماً صديقك الأكثر ولاءً.

ماكار ديفوشكين.

27 يونيو

سيد ماكار ألكسيفيتش! يقول فيدورا إن بعض الناس سيهتمون بموقفي إذا أردت، وسيوفرون لي وظيفة جيدة جداً في أحد المنازل، كمعلم. ما رأيك يا صديقي؟ هل سأذهب أم لا؟ لا شك أني لن أكون عبئاً عليك بعد ذلك، ومن ثم يبدو المنصب مفيداً؛ ولكن، من ناحية أخرى، من المؤلم أن تذهب إلى بيت لا تعرفه. سوف يسألون عني، وسوف يطرحون أسئلة، ويريدون أن يعرفوا - حسناً، ماذا سأقول حينها؟ ما هو أكثر من ذلك، أنا غير مؤنسة، جامحة للغاية، لا أحب أن أغادر المكان الذي اعتدت عليه. أنت أفضل حالًا في المكان الذي اعتدت العيش فيه: قد تكون الحياة بائسة هناك، لكنك أفضل حالًا. وإلا سأضطر للذهاب إلى المقاطعات، والله وحده يعلم نوع العمل الذي سأحصل عليه؛ قد لا أكون أكثر أو أقل من مربية أطفال. بالإضافة إلى ذلك، هناك أيضًا شخصية الناس: لمدة عامين كان لديهم ثلاثة معلمين. انصحني يا ماكار أليكسييفيتش بالله عليك: هل سأفعل أم لا؟ - ولكن لماذا لا تأتي أبدا إلى منزلي؟ لا تأتي من وقت لآخر؟ أنت لا ترى إلا من بعيد. بالكاد نرى بعضنا البعض إلا في أيام الآحاد في القداس. كم أنت كاره للبشر! أنت مثلي تماماً! وأنا تقريبا قريبة لك. أنت لا تحبني يا ماكار أليكسييفيتش؛ فأنا أحيانًا أكون حزينة جدًا عندما أكون وحيدة. في بعض الأحيان، وخاصة عند حلول الظلام، أجد نفسي وحيدة في المنزل. فيدورا في مكان ما. أبقى هناك أفكر، أتذكر الماضي وأفراحه وأحزانه، - كل شيء يظهر أمام عيني، كل شيء يظهر كما لو كان من الضباب. تظهر لي شخصيات مألوفة (أبدأ في رؤية رؤى في حالة اليقظة تقريبًا)، - غالبًا ما تكون أمي التي أراها... ويا لها من أحلام تراودني! إنني أشعر أن صحتي مدمرة؛ إنني ضعيفة

جداً؛ وفي هذا الصباح، عندما استيقظت شعرت بالمرض؛ والأكثر من ذلك أنني أعاني من سعال شديد! أشعر، أعلم أنني سأموت قريبًا. من سيدفنني؟ من سيتبع نعشي؟ من سيشيعني؟ والآن قد أضطر إلى الموت في بيت شخص آخر، في بيت غريب، في زاوية غريبة! يا إلهي، كم هي حياة حزينة يا ماكار أليكسييفيتش! - لماذا يا صديقي، لماذا تجعلني دائمًا آكل الحلوى؟ أنا حقًا لا أعرف من أين تحصل على الكثير من المال! آه، يا صديقي، وفر المال، بحق الله، وفره. - فيدورا سيبيعون السجادة التي قمت بتطريزها، إنهم يعرضون خمسين روبل. إنه سعر جيد جدًا، لم أتوقع أن أحصل على هذا المبلغ. سأعطي فيدورا ثلاثة روبلات من الفضة، وسأشتري لنفسي ثوباً صغيراً بسيطاً ولكنه دافئ. سأصنع لكِ صدرية وسأصنعها بنفسي وسأختار لك قماشاً جيداً، وقد أحضرت لي فيدورا كتاباً هو أخبار بيلكين وسأرسله لكِ إذا أردت قراءته. كل ما أطلبه منك ألا تلوثه أو تحتفظ به طويلاً، فهو ليس كتابي - إنه من تأليف بوشكين. منذ عامين قرأت هذه القصص القصيرة مع أمي، والآن أحزنني جداً أن أقرأها مرة أخرى! إذا كان لديك أي كتب، فأرسلها لي، طالما أنها ليست من راتازاييف. سوف يعطيك بالتأكيد أعماله، إذا كان قد نشر أي شيء. كيف تعجبك كتاباته يا ماكار أليكسييفيتش؟ مثل هذا الهراء... - حسناً، وداعاً عندما أكون غير سعيدة، أحب أن أتحدث عن شيء ما. إنه علاج: تشعر بالراحة على الفور، خاصة إذا قلت كل ما يدور في ذهنك. الوداع، الوداع يا صديقي!

ف.د.

28 يونيو

ماتوتشكا، فارفارا أليكسييفنا

ضعي حداً لحزنك! كيف لا تخجلين! تعالي الآن، يا ملاكي الصغير، كيف يمكن أن يكون لديك مثل هذه الأفكار؟ أنتِ لستِ مريضة يا روحي الصغيرة، لستِ مريضة على الإطلاق؛ أنتِ في صحة جيدة؛ نعم، حقاً، في صحة جيدة؛ شاحبة قليلاً، ولكنك نضرة على كل حال. وماذا تتحدثين عن الأحلام والرؤى؟ إنه لأمر مخجل يا عزيزتي، كفى؛ ابصقي على هذه الأحلام، ابصقي عليها فحسب. لماذا أنام جيداً؟ لماذا لا يحدث لي أي شيء؟ انظري إليّ يا ماتوشكا أنا أقوم بواجبي، أنا أنام بسلام، أنا في صحة جيدة، من الجيد أن تراني. كفى، كفى، ماتوشكا، يجب أن تخجلي من نفسك! أصلحي نفسك أنا أعرف رأسك الصغير يا دوشيتشكا؛ أقل شيء يحدث فتصبحين كئيبة و ترين كل شيء أسود. من أجلي، توقفي عن ذلك يا دوشيتشكا. هل ستدخلين في حالة؟ - أبداً كلا، كلا! وكيف تظنين أن هذا يناسبك؟ ولكن لا يا ماتوتشكا، لن أسمح بحدوث ذلك، وأنا أعترض على مثل هذه الخطة بكل ما أوتيت من قوة. سأبيع بزتي القديمة وأخرج إلى الشارع بقميصي، ولكنك لن تشعري بالحرج في بيتنا. لا، فارينكا، لا، أنا أعرفك! هذا تبذير وجنون محض! ومن المؤكد أن هذا كله خطأ فيدورا، فمن الواضح أنها هي الحمقاء التي اقترحت عليك هذه الفكرة. لكن لا تصدقيها، ماتوتشكا! أنت بالتأكيد لا تعرفين كل شيء بعد، يا روحي... إنها امرأة سخيفة، متذمرة، مشاكسة، لقد عجلت بموت زوجها الرّاحل. أم أنها أغضبتك؟ لا، لا، يا ماتوتشكا، ليس لأي شيء في العالم! ماذا سيحدث لي بعد ذلك؟

ماذا سيتبقى لي لأفعله؟ لا يا فارينكا، يا روحي ، أخرجيها من عقلك ماذا ينقصك هنا؟ وجودك يبهجنا، أنت تحبيننا - حسنًا، عيشي هنا في هدوء، طرّزي أو اقرئي، لا تطرّزي حتى، إن أحببت، لا يهم، طالما أنك ستبقين معنا. وإلا فاحكمي بنفسك، كيف سيكون الأمر؟ سأحضر لكِ بعض الكتب، ثم سنخرج معاً في يوم آخر. ولكن دعي الأمر يا ماتوتشكا، دعي الأمر وشأنه، كوني عاقلة وتخلّي عن نزواتك الحمقاء! سآتي لرؤيتك، وليس قبل وقت طويل؛ ولكن، من ناحية أخرى، اسمحي لي أن أقول لك بصراحة ووضوح: هذا ليس صواباً يا دوشيتشكا، ليس صواباً على الإطلاق!

لا شك أنني غير متعلم، وأنا أعرف بنفسي أنني لست رجلاً متعلماً، وأنهم لم ينفقوا الكثير من المال على تعليمي؛ ولكن ليس هذا ما أريد أن أتحدث عنه، وليس الأمر هنا عني أنا، بل عن راتزاييف الذي أريد أن أدافع عنه، دون أن أرغب في إغضابك. إنه صديقي، ولهذا السبب أنا أدافع عنه. إنه يكتب بشكل جيد جدًا، أكرر. أنا لا أوافقك الرأي، ومن المستحيل أن أشاركك الرأي. إنه مكتوب بأسلوب منمّق، متشنّج، مليء بالأرقام، وفيه أفكار متنوّعة، إنه جيد جداً! ربما قرأته ببرود يا فارينكا، أو ربما كنت في مزاج سيئ في ذلك الوقت؛ وقد أعطاك فيدورا بعض أسباب السخط، وكان هناك شيء ما يزعجك. كلا، اقرأها بإحساس، عندما تكون سعيداً وراضياً، عندما تكون في مزاج طيب، على سبيل المثال، عندما يكون في فمك حلوى: هذا هو الوقت الذي يجب أن تقرأها فيه. أعترف (ومن يقول غير ذلك؟)، هناك كتّاب أفضل من راتزاييف، بل هناك من هم أفضل منه بكثير، ولكن جدارة هؤلاء لا تنتقص من جدارة راتزاييف؛ فهم يكتبون جيداً، وهو يكتب جيداً أيضاً. من وقت لآخر، ومن أجل تسليته الخاصة، يضع الأسود على الأبيض، وهو محق في ذلك. حسنًا، وداعًا يا ماتوشكا، لا يمكنني أن أستمر؛ يجب أن أسرع، لدي عمل. ولكن

كوني حذرة يا ماتوشكا يا ابن عرس الصغير الساحر، هدئي من روعك، وليحفظك الرب. سأظل صديقك المخلص ماكار ديفوشكين.
إضافة- شكراً لك على الكتاب يا عزيزتي، سنقرأ بوشكين أيضاً؛ هذا المساء سأزورك بالتأكيد في منزلك.

عزيزي ماكار ألكسيفيتش!

لا يا صديقي، لا، يا صديقي، لا، لا أستطيع البقاء معك. لقد فكرت في الأمر، وأعتقد أنه سيكون من الخطأ أن أرفض مثل هذا المنصب المفيد. هناك، على الأقل، سأحصل على قشرة خبز آمنة، وسأبذل كل ما في وسعي لأستحق حسن نية رؤسائي؛ بل سأحاول أن أغير من شخصيتي إذا اقتضى الأمر. لا شك أنه من المحزن والمؤلم أن أعيش بين الغرباء، وأن أسعى إلى حسن الظن بالآخرين، وأن أخفي نفسي وأضبطها؛ ولكن الله سيعينني. لا يمكنك أن تبقى كارهًا للبشر طوال حياتك. لقد مررت بحالة من هذا القبيل. أتذكر عندما كنت صغيرة بالمدرسة الداخلية. وفي أيام الآحاد، كنت ألهو وأقفز في البيت، وأحياناً كانت أمي توبخني قليلاً؛ ولكن مهما يكن من أمر، فقد كان قلبي سعيداً ونفسي مطمئنة. وعندما جاء المساء، غلبني حزن قاتل: كان علي أن أعود إلى المدرسة الداخلية في الساعة التاسعة، وهناك بدا كل شيء غريباً وبارداً وقاسياً. وفي يوم الاثنين كان المعلمون منزعجين جداً، وكان قلبي في حلقي! كانوا ينعتونني بالكسلانة، وإذا بكيت، لم يكن ذلك بسبب اضطراري للمذاكرة. - فماذا حدث؟ لقد اعتدت على ذلك، وفي وقت لاحق، عندما غادرت

المدرسة الداخلية، بكيت أيضًا عندما كنت أودع زملائي في الفصل. كما أنه من الخطأ أن أكون عبئاً عليكما. إنني أخبركما بكل هذا بصراحة، لأنني اعتدت أن أكون صريحة معكما. ألا يمكنني أن أرى فيدورا تستيقظ مبكراً كل يوم، تبدأ في الاغتسال وتعمل حتى الليل؟ - العظام العجوزة تحب الراحة. ألا أراك تهدر نفسك من أجلي، وتضحي بآخر كوبيك من أجلي؟ أنت تتجاوز إمكانياتك يا صديقي! لقد كتبت لي أنك ستبيع آخر ثوب عندك، ولكنك لن تتركني في حاجة إلى ذلك. أنا أؤمن بذلك يا صديقي، أؤمن بطيبة قلبك، ولكنك تتكلم هكذا الآن. لقد حصلت على ربح غير متوقع، لقد حصلت على مكافأة غير متوقعة، لقد حصلت على مكافأة أخيرا؛ ولكن ماذا بعد؟ أنت تعرف ذلك بنفسك - ما زلت مريضاً، لا يمكنني العمل مثلك، مهما كانت رغبتي في ذلك، و ليس لديّ عمل أقوم به دائمًا. فماذا بقي لي؟ لم يتبق لي شيء سوى أن يستهلكني الحزن وأنا أتأمل كلاكما بتفانٍ شديد. كيف يمكنني أن أكون ذا فائدة لكما؟ وما فائدتي لك يا صديقي؟ ما الفائدة التي قدمتها لك؟ أنا متعلقة بكما بكل جوارحي، ولديّ لكما عاطفة قوية راسخة، وأحبكما من كل قلبي، ولكن - قدري مرير! - إنني أعرف كيف أحب، وأستطيع أن أحب، ولا أستطيع أن أحب أكثر من ذلك؛ فأنا لا أستطيع أن أحسن إليك ولا أن أعترف لك بالجميل. لذا لا تبقيني أكثر من ذلك؛ فكر في الأمر وأخبرني برأيك النهائي. في هذه الأثناء، سأبقى في مودتك الحنونة.

ف.د.

1 يوليو

إنه جنون، جنون يا فارينكا، إنه ببساطة إسراف! إذا تركناها هكذا، ما الذي لن يتخيله رأسك الصغير؟ ليس ذلك! ليس ذلك! ليس ذلك! أستطيع أن أرى الآن أن هذا كله جنون. ولكن ما الذي تفتقده فينا يا ماتوتشكا؟ فقط قلها! نحن نحبك وأنت تحبيننا كلنا سعداء وراضون - ماذا نحتاج أكثر من ذلك؟ هيا، ماذا ستفعلين مع الغرباء؟ بالتأكيد أنت لا تعرفين حتى الآن ما هو الغريب؟ لا، اسأليني وسأخبرك ما هو الغريب. أنا أعرفه يا ماتوتشكا، أعرفه جيداً، لقد أكلت خبزه. إنه شرير يا فارينكا، شرير جداً لدرجة أن قلبك لا يحتمل ألم توبيخه وتوبيخه ونظراته الشريرة. أنت دافئ، أنت مرتاح، أنت في عش صغير مضياف، إذا جاز التعبير. ورحيلك سيتركنا بلا رأس. هيا، ماذا سنفعل بدونك؟ ماذا سأفعل إذن، رجل عجوز؟ ألسنا بحاجة إليك؟ ألست مفيداً لنا؟ كيف لا تكون كذلك؟ لا يا ماتوتشكا، احكم بنفسك كيف لا تكون مفيداً لنا؟ أنتِ ذات فائدة كبيرة بالنسبة لي يا فارينكا، أنتِ ذات تأثير مفيد جداً هاك، أنا أفكر بك الآن، وأنا مبتهج. وأحياناً أكتب لك رسالة أعبر لك فيها عن كل مشاعري، وأحصل منك على جواب مفصل. - وأحيانًا أشتري لكِ بعض الملابس، وأحيانًا أشتري لكِ بعض الملابس، وأحيانًا أشتري لكِ قبعة وأصنع لكِ قبعة؛ وأحيانًا يكون لكِ مهمة في الخارج فأقضيها لكِ... لا، كيف لا تكون مفيداً؟ عندما أتقدم في السن، ماذا سأفعل بمفردي؟ ما الفائدة التي سأكون عليها؟ ربما لم تفكري في ذلك يا فارينكا؛ لا، فكري في الأمر قليلاً؛ قولي لنفسك ما الفائدة التي ستجنيها عندما أرحل؟ لقد اعتدت عليك يا عزيزتي. - إذا رحلت، ماذا سيحدث؟ سألقي بنفسي في نهر نيفا، وستكون هذه هي النهاية. نعم، حقاً، سيحدث

شيء من هذا القبيل يا فارينكا، فبدونك ماذا سيتبقى لي لأفعله؟ آه، دوشيتشكا، فارينكا! بالطبع أنت تريدني أن يوصلني سائق عربة إلى فولكوفو، وأن ترافقني إلى نعشي امرأة عجوز شحاذة معتادة على الجنائز، وأن تغطى بالرمل، وأن تذهب وتتركني هناك وحدي. هذا خطأ، ماتوتشكا، هذا خطأ! حقاً، أؤكد لك، إنه خطيئة، خطيئة! إنني أعيد إليك كتابك يا صديقي الصغير فارينكا، وإذا سألتني يا صديقي الصغير عن رأيي فيه، فسأقول لك إنني لم أقرأ في حياتي شيئاً بهذا الجمال. إنني أتعجب الآن يا ماتوتشكا كيف استطعت أن أظل هكذا حتى الآن، فليسامحني الرب! ماذا فعلت؟ من أين أتيت؟ لا أعرف شيئًا يا ماتوتشكا، لا أعرف شيئًا على الإطلاق! أنا لا أعرف أي شيء عن أي شيء! سأقول لك بصراحة يا فارينكا - أنا رجل غير متعلم، لم أقرأ حتى الآن إلا القليل جداً، القليل جداً، لا شيء تقريباً؛ قرأت كتاب (مائدة الإنسان) وهو عمل ذكي؛ وقرأت كتاب (الطفل الذي يملأ الدنيا ضجيجاً) وكتاب (مرافع إيبيكوس)؛ ولكن هذا كل شيء، لم أقرأ شيئاً آخر. حسناً، أقول لك يا ماتوتشكا، يحدث أن تعيش وأنت لا تعرف أن هناك كتاباً بجانبك تقرأ فيه حياتك كلها. ما لم تكن أنت نفسك قد لاحظته من قبل، عندما تبدأ في قراءة هذا الكتاب، تتذكره تدريجياً، وتجده مرة أخرى، وتخمنه. وأخيرًا، هناك شيء آخر جعلني أحب كتابك الصغير: بعض الأعمال مهما قرأتها، ومهما قرأتها، تعذب عقلك، إنها جيدة جدًا لدرجة أنك لا تفهم شيئًا. أنا، على سبيل المثال، أنا بطبعي متبلد الذهن، وعقلي صعب، لذلك لا أستطيع قراءة الكتب الجادة جداً؛ لكن هذا الكتاب تقرأه فيبدو لك أنك أنت من كتبته بنفسك؛ وكأن المؤلف أخذ قلبك وقلبه رأساً على عقب وأظهر للناس الوجه الآخر منه، دون أن يهمل أدنى تفصيل! وهو بسيط، يا إلهي! ولكن ماذا! حقًا، كنت لأكتب ذلك أيضًا! ولماذا لا أكتبها، فأنا لدي مشاعر مماثلة

لتلك التي في الكتاب، وأنا بدوري وجدت نفسي أحياناً في مواقف مشابهة لمواقف شمشون فيرين المسكين مثلاً. وكم من قلوب مكسورة بيننا مثل قلب شمشون فيرين! وكم من قلوب مكسورة بيننا مثل قلب شمشون فيرين! لقد أصبح سكيراً، وقد أفقده الشراب حواسه، وهو ينام طوال النهار تحت معطف حمل؛ ويشرب الشراب ليصيب نفسه بالدوار، ويندب بألم ويمسح عينيه الغارقتين بالدموع برفرف من معطفه المتسخ عندما يتحدث عن نعجته الضائعة، ابنته دنياشكا! لا، هذا طبيعي! اقرأ هذا؛ إنه طبيعي! إنه حي! لقد رأيت ذلك بنفسي - كل شيء حولي؛ خذي تيريز، على سبيل المثال ... ولكن، من دون أن نبحث أكثر من ذلك، قد يكون موظفنا المسكين هو أيضاً شمشون فيرين، إلا أن اسمه شيء آخر، غورشكوف. - إنه أمر شائع، ماتوتشكا، يمكن أن يحدث لي ولك أيضاً. وبالنسبة للكونت الذي يعيش في شارع نيفسكي بروسبكت أو في كواي، سيكون الأمر نفسه أيضًا؛ فقط المظاهر ستختلف، لأن مع هؤلاء الناس، بالطبع، كل شيء من النوع الكبير، ولكن في الأساس سيكون نفس الشيء؛ يمكن أن يحدث أي شيء، ويمكن أن أكون أنا أيضًا في نفس الموقف. هذه هي الحقيقة يا ماتوتشكا، وأنت ما زلت تريدين أن تتركينا؛ ولكن سوء الحظ يا فارينكا يمكن أن يصيبني. أنت تخاطرين بالتسبب في خسارتك وخسارتي يا عزيزتي. آه، بحق الله يا ابن عرس الصغير، أخرجي كل هذه الأفكار المستقلة من رأسك الصغير ولا تزعجيني بلا داع. أنت عصفور صغير لا ريش لك، ولن تستطيعي أبداً أن تعولي نفسك، أو تنقذي نفسك من سوء الحظ، أو تدافعين عن نفسك ضد الأشرار! ضعي حداً لهذا يا فارينكا، وعُودي إلى رشدك؛ وبدلاً من أن تستمعي إلى النصائح السخيفة، اقرئي كتابك مرة أخرى، اقرئيه بعناية؛ فإنه سيفيدك. تحدثت مع راتزاييف عن ريلاييف. فأخبرني أن كل ذلك كان قديماً، وأن

كل ما ينشرونه الآن هو كتب ذات صور وأوصاف. ولكنه أضاف أن بوشكين كان شاعراً عظيماً وأنه كان يصور روسيا المقدسة؛ وأخبرني بأشياء أخرى كثيرة عنه. أجل، هذا جيد جداً يا فارينكا، فاقرئي الكتاب مرة أخرى بعناية، واتبعي نصيحتي وأسعِدي رجلاً عجوزاً بطاعتك له، وعندئذ سيكافئك الرب نفسه يا عزيزتي، سيكافئك دون تقصير صديقك المخلص.

ماكار ديفوشكين

السيد ماكار ألكسيفيتش!

أحضرت لي فيدورا اليوم خمسة عشر روبل من الفضة. كم كانت الفتاة المسكينة سعيدة عندما أعطيتها ثلاثة! أنا أكتب إليك على عجلة من أمري. أنا أضاعف صدريتك في الوقت الحالي - القماش جميل جداً! - مع زهور صغيرة على خلفية صفراء سأرسل لكِ كتابًا؛ إنه المزيد من الأخبار. لقد قرأتُ بعضاً منها؛ قرأتُ كتاباً بعنوان المعطف - أنت تحثني على الذهاب إلى المسرح معك، ولكن ألن يكون ذلك مكلفاً جداً؟ إلا إذا ذهبت إلى مكان ما في المعرض. لم أذهب إلى المسرح منذ فترة طويلة جداً، وفي الحقيقة لا أتذكر متى. ولكن مرة أخرى، أخشى أن تكون تلك المتعة مكلفة للغاية. فيدورا تومئ برأسها فقط. وهي تقول إنك الآن لم تعد تعيش في حدود إمكانياتك؛ كما أنني أستطيع أن أرى بنفسي كم أنفقت من المال عليَّ فقط! انتبه يا صديقي حتى لا يصيبك مكروه. وقد أخبرتني فيدورا أيضاً عن بعض الشائعات التي تدور حولك: يبدو أنك تشاجرت مع صاحبة المنزل لأنك لا تدفع لها؛ إنني خائف عليك جداً. هيا، إلى اللقاء، أنا في عجلة من أمري، إنها مسألة صغيرة: إنني أغير زخرفة القبعة.

إضافة - هل تعرف، إذا ذهبنا إلى المسرح، سأكون مرتدية قبعتي الجديدة وعباءة سوداء على كتفي. هل سأبدو جيدة؟

7 يوليو

الآنسة فارفارا أليكسييفنا

... دعيني أعود إلى ما كنت أقوله بالأمس. نعم يا ماتوتشكا، لقد ارتكبنا نحن أيضاً أخطاء حمقاء في عصرنا. لقد كنت مغرماً بتلك الممثلة الصغيرة، مغرماً بجنون، ولكن ذلك لن يكون شيئاً؛ والمضحك في الأمر أنني لم أرها قط، إذا جاز التعبير، وأنني لم أذهب إلى المسرح إلا مرة واحدة، وأنني مع ذلك قد وقعت في حبها. وفي الشقة المجاورة لشقتي كان هناك أربعة شبان وكلهم من المتهورين. وقد رأيتهم؛ ودون أن أرغب في ذلك، كنت قد كونت صداقات معهم، مع التزامي الدائم بحدود اللياقة. وحتى لا أكون بارزاً، كنت دائماً أتفق معهم. لقد تحدثوا معي كثيراً عن هذه الممثلة الصغيرة! وفي كل أمسية من أمسيات العرض، كانت العصابة بأكملها تذهب إلى المسرح، إلى صالة العرض، ويصفقون، ويتذكرون تلك الممثلة! - كانوا هائجين بشكل إيجابي! ثم لا يتركوني أنام؛ وطوال الليل لم يفعلوا شيئاً سوى الحديث عنها، وكان كل واحد منهم يناديها جلاشا، وكان أربعتهم مجانين بها، وكان في قلوبهم جميعاً نفس الشيء لها. كنت أنساق بسهولة على خطاهم، كنت لا أزال صغيرًا حينها. لا أعرف حتى كيف انتهى بي المطاف معهم في المسرح، في معرض الطابق الرابع. وفيما يتعلق بالرؤية، لم أتمكن من رؤية سوى جزء صغير من الستارة، لكنني كنت أسمع كل شيء. كان للممثلة صوت صغير جميل، رخيم وشجي كصوت العندليب! كنا نصفق ونهتف بصوت عالٍ لدرجة أننا كدنا أن ندخل في صدام مع الشرطة؛ فطُرد أحدنا. عندما عدت إلى المنزل، كنت أمشي كما لو كنت في دخان الفحم! لم يكن

لديّ سوى روبل واحد من المال في جيبي، وكان أمامي أيام قبل أن أحصل على أي رسوم. حسنًا، خمن ماذا فعلت يا ماتوتشكا! في اليوم التالي، قبل ذهابي إلى الخدمة، ذهبت إلى محل عطور فرنسي، حيث اشتريت عطورًا وصابونًا معطرًا؛ لقد أنفقت ثروتي كلها بهذه الطريقة - لا أعرف حتى لماذا ذهبت للتسوق. لم أتناول الطعام في المنزل وتمشيت لفترة طويلة أمام نوافذها. كانت تسكن في شارع نيفسكي بروسبكت، في الطابق الرابع. عندما عدت إلى البيت، استرحت لمدة ساعة ثم عدت إلى نيفسكي بروسبكت، وفي نيتي أن أستأنف المشي أمام منزلها. ولمدة ستة أسابيع، ظللت أتودد إليها بهذه الطريقة؛ وفي كل لحظة كنت أستقل السيارات، كنت أمر وأعيد المرور أمام نوافذها، توقفت عن حبه: لقد اكتفيت! هذا ما يمكن أن يفعله القليل من لحم الخنزير برجل محترم، ماتوتشكا! صحيح أنني كنت صغيراً آنذاك، صغيراً جداً!

م.د.

8 تموز / يوليو

الآنسة فارفارا ألكسيفنا! إنني أسارع إلى إعادة الكتاب الذي أرسلته إليّ في السادس من هذا الشهر، وفي الوقت نفسه أنا حريص على أن أشرح لك نفسي في هذه الرسالة. من الخطأ، ماتوتشكا، من الخطأ أن تضعني في مثل هذا الموقف من عدم الاحتياج اسمح لي يا ماتوتشكا، إن الله سبحانه وتعالى قد قدر للبشر أحوالاً مختلفة. فهذا قُدِّر له أن يلبس شارات الجنرال، وذاك قُدِّر له أن يكون مستشارًا فخريًا؛ هذا له نصيب من القيادة، وذاك له نصيب من الطاعة الخائفة والصامتة. هذا موزع بحسب قدرات الإنسان؛ هذا يناسبه شيء وذاك يناسبه شيء آخر، والقدرات التي يمنحها الله نفسه. - لقد كنت موظفًا منذ حوالي ثلاثين عامًا؛ وأنا أخدم بطريقة لا غبار عليها، وأنا حسن السلوك، ولم يسبق لي أن شوهدت أشارك في أي فوضى. وبصفتي مواطنًا، أعتبر نفسي مواطنًا له عيوبه، ولكن لي أيضًا فضائلي. إنني أحظى بتقدير رؤسائي، وفخامته نفسه راضٍ عني؛ وعلى الرغم من أنه لم يعطني حتى الآن أي علامة معينة على إحسانه، فإنني أعلم أنه راضٍ. إن خط يدي مقروء وأنيق بما فيه الكفاية، ليس غليظاً جداً ولا رقيقاً جداً، بل هو أقرب إلى الخط المتصل، ولكنه على أي حال مرضٍ؛ ففي موطني الأصلي لا يكتب هكذا إلا إيفان بروكوفييفيتش، وحتى في ذلك الحين! لقد أصبح شعري أبيض الآن؛ ولا أعرف نفسي مذنبا بأي ذنب كبير. أما بالنسبة للصغار، فمن المعفي؟ الجميع آثمون؛ أنت نفسك يا ماتوتشكا آثم! ولكنني لم أتهم قط بجريمة خطيرة، أو مخالفة جريئة للوائح، أو إخلال بالسلام العام؛ بل لقد مُنحت وساماً صغيراً - حسناً، هذا هو الأمر! كان يجب أن تكون على علم بكل ذلك يا ماتوتشكا، وكذلك كان يجب أن يكون

هو أيضاً؛ وما دام قد تعهد برسم صورة شخصية فلا ينبغي أن يجهل شيئاً من ذلك. لا، لم أتوقع ذلك منك، ماتوتشكا: لا، فارينكا! هذا شيء يجب أن يذهلني عندما يصدر منك على وجه الخصوص، كيف! إنك لن تستطيع بعد هذا أن تعيش هادئاً في ركنك الصغير - أياً كان هذا الركن - تعيش كما يقول المثل، دون أن تعكر صفو الماء، ودون أن تمس أحداً، وأنت تعرف خوف الله وتعرف نفسك! سيتعين على شخص ما أن يعتني بك، ويأتي إلى كوخك، ويتجسس على حياتك الخاصة، ويعرف، على سبيل المثال، ما إذا كان صدريتك جميلة، وما إذا كنت ترتدي بنطالاً لائقاً، وما إذا كان لديك حذاء وكيف يناسبك نعله؛ ماذا تأكل، ماذا تشرب، ماذا تقلد! ولكن حتى لو كان الرصيف سيئًا، أمشي أحيانًا على أطراف أصابع قدمي لأحافظ على حذائي، فما أهمية ذلك يا ماتوتشكا؟ لماذا تكتب على حساب شخص آخر أنه يشعر بالحرج أحيانًا، وأنه لا يشرب الشاي؟ كما لو كان على الجميع شرب الشاي! لكن هل سأنظر في أفواه الناس لأرى ماذا يأكلون؟ لمن فعلت هذا؟ لا يا ماتوتشكا، لماذا تسيء للآخرين عندما لا يفعلون لك شيئًا؟ إليك مثالًا آخر يا فارفارا أليكسييفنا: أنت تخدمين بضمير حيّ، وبحماس، - ماذا! - بل ويحترمك رؤساؤك في العمل (على أي حال، في نهاية المطاف، أنت محترمة من قبلهم)، - ثم يقوم شخص ما، تحت أنفك، وبدون أي سبب ملموس، ومن دون سبب، بإلقاء السخرية عليك. لا شك في أن هذا صحيح، فأحيانًا تُصنع لك أشياء جديدة - فتشعر براحة شديدة، ولا تستطيع النوم، وتشعر بسعادة غامرة؛ فالحذاء الجديد مثلًا يسعدك انتعاله! - هذا صحيح، لقد شعرت بذلك، لأنه من الجميل أن ترى حذاءً أنيقًا ورائعًا في قدميك - هذا تعليق منصف! ولكني على أي حال، إنني مندهش حقاً من أن يسمح فيدور فيدوروفيتش بأن يمر مثل هذا الكتاب مرور الكرام، وأن يتسامح في الهجوم

على نفسه. صحيح أن هذا المسؤول الرفيع لا يزال شاباً، وأنه يحب أحياناً أن يصرخ قليلاً؛ ولكن لماذا لا يصرخ؟ لماذا لا يوبخنا عندما يضطر إلى ذلك؟ حسنًا، لنفترض أنه يفعل ذلك من أجل الشكل، حسناً، هذا من حقه، عليك أن تعلم الناس كيف يعيشون، عليك أن تغسل رؤوسهم؛ لأننا - لنكن صادقين يا فارينكا - إذا كنا سنعمل، فعلينا أن نكون كراماً. كل منا يهتم فقط بالحضور، أما العمل فنتركه جانبًا. ولكن بما أن هناك مستويات مختلفة في التسلسل الهرمي البيروقراطي، وكل موظف يطالب بتوبيخه بطريقة تتناسب مع رتبته، فمن الطبيعي أن تختلف لهجة التوبيخ باختلاف الدرجات - هذا هو ترتيب الأمور! وإذا ما أريد للعالم أن يبقى، أيها الماتوتشكا، فلا بد أن يفرض كل منا على مرؤوسه، ولا بد أن نحيط جميعنا من القمة إلى القاع بالصفائح. فبدون هذا الاحتياط، لن يكون للعالم وجود، ولن يكون هناك نظام. في الحقيقة، أنا مندهش من أن فيدور فيدوروفيتش كان يجب أن يغض الطرف عن مثل هذه الجريمة! ولماذا تكتب هذه الأشياء؟ فيما يمكن استخدامها؟ هل سيصنع لي أحد قراء هذا الكتاب معطفاً؟ لا يا فارينكا، سيقرأ القصة حتى النهاية ويطلب الباقي. إنك تخجل أحياناً من كل إعادة، وتختبئ كأنك مذنب، وتخشى أن تظهر أنفك في أي مكان، لأنك تخشى القيل والقال، لأن الناس يستغلون أدنى ظرف للسخرية منك، والآن حياتك العامة والخاصة كلها موضوعة في كتاب؛ الآن كل شيء مطبوع ومقروء ومهزوء ومنتقد! لكنك لا تجرؤ على الخروج بعد الآن، لأن الصورة أصبحت متشابهة بشكل لافت للنظر، لدرجة أن الناس الآن سيتعرفون عليك بمجرد طريقة مشيك! كان من الأفضل لو أن المؤلف عاد إلى رشده في النهاية، لو أنه أضاف، على سبيل المثال، بعد أن قال إن قطعاً صغيرة من الورق أمطرت على رأس الموظف، أنه مع ذلك رجل فاضل، ومواطن صالح، وأنه لا

يستحق أن يعامله زملاؤه بهذه الطريقة، وأنه كان يطيع رؤسائه (إلى درجة يمكن الاستشهاد به كمثال)، وأنه لم يكن يتمنى أن يؤذي أحداً، وأنه كان يؤمن بالله، وأن موته (إذا أراده أن يموت بأي ثمن) - لكان أمراً جيداً. - قد تسبب في الندم! ولكن كان الأولى أن يترك المسكين على قيد الحياة ويحرص على أن يعثر على معطفه، وأن فيدور فيدوروفيتش (وأنا أتكلم كما لو كنت أنا) - أن هذا الجنرال الذي كان أدرى بفضائل الموظف، أراد أن يكون في مستشاريته وأن يرفعه إلى رتبة أعلى وأن يعطيه مرتباً لائقاً; وبهذه الطريقة - كما ترى - كان الشر يعاقب، والفضيلة تكافأ، وكان الكتبة الآخرون، رفاق الرجل المسكين، لا يلومون إلا أنفسهم. بالنسبة لي، على سبيل المثال، هذه هي النتيجة التي كنت أتخيلها. وإلا فما هو الشيء المميز في هذه القصة؟ ما هي ميزة هذه القصة؟ أي ميزة لها؟ إنها مجرد حقيقة عادية من حقائق الحياة اليومية. و كيف قررت أن ترسلي لي مثل هذا الكتاب يا عزيزتي؟ إنه كتاب سيئ النية يا فارينكا، إنه ببساطة غير معقول، لأنه لا يمكن أن يكون هناك موظف بهذا الشكل، لا، سأشتكي يا فارينكا، سأقدم شكوى رسمية.

خادمكم المتواضع ماكار ديفوشكين.

27 يوليو

ماكار أليكسييفيتش لقد أقلقتني الحوادث القليلة الماضية ورسائلك التي بعثت بها إليّ، وأقلقتني؛ لم أفهم شيئاً، ولكن قصص فيدورا أوضحت لي كل شيء. لماذا، يا ماكار أليكسييفيتش، هل أصبحت يائسًا للغاية وسقطت في هذه الهاوية فجأة؟ لم أكن راضية على الإطلاق عن تفسيراتك. حسنا، ألم أكن محقة في رغبتي في قبول الوظيفة المربحة التي عرضت علي؟ والأكثر من ذلك، أنا قلقة جدا بشأن مغامرتي الأخيرة. لقد قلت إن عاطفتك نحوي دفعتك إلى إخفاء الحقيقة عني. لقد رأيت بالفعل أنني كنت أرى نفسي مجبرة على أن أكون في غاية الامتنان لك في نفس الوقت الذي تظاهرت فيه بأنك لم تكن تنفق عليَّ إلا المال الذي كنت قد وضعته جانباً وأودعته في بنك لومبارد. والآن، وبعد أن علمت أنك لم تكن تملك مالاً على الإطلاق، وأنك تأثرت بموقفي المؤسف الذي علمت به بالصدفة فقررت أن تنفق عليَّ من التي كنت قد تلقيتها في انتظارها، وأنك حتى بعت ملابسك وقت مرضي - والآن، وبسبب هذا الاكتشاف، أجد نفسي في موقف مؤلم لا أعرف بعد كيف أهتم بنفسي. ماكار أليكسييفيتش بعد الفوائد الأولية من التعاطف والمشاعر العائلية، كان عليك أن تتوقف ولا تنفق أموالك على أشياء عديمة الفائدة. لقد خنتَ صداقتنا يا ماكار أليكسييفيتش لأنك لم تكن صادقًا معي، والآن، عندما أرى أنك ضحيت بآخر ما لديك من مواردك لتعطيني أدوات الزينة والحلوى والتنزه وتذاكر المسرح والكتب، - الآن! إنني أتأسف بمرارة على طيشي الذي لا يغتفر، لأنني قبلت كل هداياك دون أن أقلق عليك، وكل ما أردت أن تسعدني به انقلب الآن إلى حزن لي ولم يترك سوى الندم العقيم. لقد لاحظت قلقك في الآونة الأخيرة، وعلى الرغم من أنني كنت أنتظر

شيئًا ما بفارغ الصبر، إلا أنني لم أكن أتوقع ما حدث للتو. كيف يمكن أن تنخفض معنوياتك إلى هذا الحد يا ماكار أليكسييفيتش؟ ولكن ماذا سيظن كل من يعرفونك الآن، ماذا سيقولون عنك الآن؟ أنت الذي كنت أقدرك، والذي كان الجميع يحترمونك لطيبة روحك وضبط النفس وحكمتك، لقد ألقيت بنفسك الآن فجأة في رذيلة بشعة أعتقد أنك لم تتعرض لها من قبل! ما الذي حدث لي عندما أخبرتني فيدورا بأنك وجدت في الشارع في حالة سكر وأن الشرطة اقتادتك إلى البيت! لقد ذهلت من هول ما حدث، مع أني كنت أتوقع شيئاً غير عادي، نظراً لأنك كنت مفقوداً منذ أربعة أيام. ولكن هل فكرت يا ماكار أليكسييفيتش فيما سيقوله رؤساؤك في العمل إذا عرفوا السبب الحقيقي لغيابك؟ أنت تقول أن الجميع يضحكون عليك، وأن الجميع يعلم بعلاقتنا الغرامية، وأن جيرانك يربطون اسمي باسمك في نكاتهم. لا تعير ذلك أي اهتمام يا ماكار أليكسييفيتش ولا تقلق بحق الله. أنا قلقة أيضًا بشأن علاقتك مع هؤلاء الضباط، لقد سمعت إشاعة غامضة. اشرح لي ماذا يعني كل ذلك. لقد كتبتَ أنك لم تجرؤ على مصارحتي، وأنك كنت تخشى أن تخسر صداقتي إذا أخبرتني بالحقيقة، وأنك كنت في حالة يأس، ولا تعرف كيف تساعدني في مرضي، وأنك بعت كل شيء لتوفر لي ولعائلتي. وتمنعني من الذهاب إلى المستشفى؛ وأنك قد جعلت من الديون أكبر عدد ممكن، وأنك تعاني من مشاكل يومية مع صاحبة البيت؛ - ولكنك بإخفائك كل هذا عني قد اخترت أسوأ اختيار. والآن أنا أعرف كل شيء. بدافع من الحساسية، أردت أن تبقيني غير مدرك أنني كنت السبب في وضعك المؤسف، والآن سببت لي بتصرفك هذا حزنًا مضاعفًا. كل هذا قد أحزنني يا ماكار أليكسييفيتش. آه يا صديقي، إن سوء الحظ مرض معدٍ. على التعساء والمساكين أن يحترسوا من بعضهم البعض حتى لا تتفاقم مصائبهم. لقد

أحضرت لك من العلل ما لم تختبره بعد في حياتك المتواضعة والمنعزلة. كل هذا يعذبني ويقتلني. والآن اكتب لي بصراحة تامة عما حدث لك وكيف أصبحت تتصرف بهذه الطريقة. أرح بالي إن استطعت. ليس احترامي لنفسي هو الذي يطلب منك الآن هذه التوضيحات بل صداقتي وحبي لك، وهي مشاعر لن يمحوها شيء من قلبي. إلى اللقاء. إنني أنتظر ردك بفارغ الصبر، لقد أسأت الحكم علي يا ماكار أليكسييفيتش.
المخلصة فارفارا دوبروسيلوف.

28 يوليو

يا فارفارا أليكسييفنا التي لا تطاق، الآن وقد انتهى كل شيء وعادت الأمور إلى طبيعتها تدريجياً، سأخبرك يا ماتوتشكا: أنت قلقة مما سيظنه الناس فيّ، وأنا أسارع إلى الرد على ذلك يا فارفارا أليكسييفنا بأن سمعتي عزيزة جداً عليَّ. ولهذا فإنني إذ أبلغك بمصائبي واضطراباتي أضيف أن أحداً من رؤسائي لم يعرف شيئاً بعد ولن يعرف شيئاً أبداً، حتى يظلوا جميعاً يقدرونني كما كانوا يقدرونني في الماضي. أخشى شيئاً واحداً فقط: القيل والقال. فصاحبة البيت لا تملك في البيت إلا الصراخ؛ أما الآن وقد سددت لها جزءاً من ديني بفضل العشرة روبلات التي دفعتها لها، فهي تكتفي بالتذمر لا أكثر. . أما بالنسبة للآخرين، فهم لا يقولون شيئاً؛ فقط يجب ألا تحاول أن تقترض منهم المال، وإلا سكتوا. وأقول لك يا ماتوتشكا في ختام توضيحاتي: إنني أقدرك فوق كل تقدير، وإنه الآن عزائي في حيرتي المؤقتة. والحمد لله أن الصدمة الأولى والعاطفة قد زالت، والطريقة التي تقبلتها بها تدل على أنك لا تعتبريني صديقاً غادراً أنانياً، لأنني أبقيتك قريبة مني وخدعتك، ولم أكن أملك القوة لفراقك وأحبك كملاكي الصغير. والآن عدت إلى العمل بحماس، وعدت إلى أداء عملي بضمير حي. لم ينطق إيفستافي إيفانوفيتش بكلمة بالأمس عندما مررت به. لن أخفي عنك يا ماتوتشكا أن ديوني وسوء حالة خزانة ملابسي تقتلني؛ ولكن مرة أخرى لا شيء يذكر، وأرجو ألا تيأسي من ذلك يا ماتوتشكا. لقد أرسلت لي نصف روبل يا فارينكا، وقد اخترق نصف الروبل هذا قلبي. هذا ما أنا عليه الآن، هذا ما وصلت إليه الأمور! لست أنا، أيها الأحمق العجوز، من يساعد ملاكي الصغير، بل أنت أيها اليتيم المسكين من يساعدني! فيدورا كان محقاً في إحضار المال حتى الآن لا

أرى أي طريقة للحصول على المال، ماتوتشكا ; إذا كان هناك أي أمل بالنسبة لي، سأحرص على إعلامك. لكن القيل والقال، يقلقني إلى ما لا نهاية. وداعاً يا ملاكي الصغير أقبل قيدك وأتوسل إليك أن تتعافى. لن أخوض في مزيد من التفاصيل، لأنه ليس لدي وقت إلا للذهاب إلى مكتبي: أريد، بدافع الحماسة والالتزام بالمواعيد، أن أصلح كل ما أفسدته على نفسي بإهمالي لواجباتي؛ وسأؤجل السرد المفصل لكل الأحداث ومغامرتي مع الضباط إلى هذا المساء. صاحب الاحترام والمودة المخلصين ماكار ديفوشكين.

23 يوليو،

ماتوتشكا فارينكا

يا فارينكا، فارينكا! هذه المرة الخطأ من جانبك، وسيبقى الإثم على ضميرك. لقد حيرت برسالتك الصغيرة كل أفكاري، لقد حيرتني تماماً، والآن فقط، بعد أن تغلغلت في أعماق قلبي، رأيت أنني كنت على حق، على حق تماماً، أنا لا أتحدث عن فجوري (كفى منها يا ماتوتشكا، كفى منها!)، أنا أتحدث عن حبي لك، الذي لم يكن بأي حال من الأحوال غير معقول. إنك لا تعرفين شيئاً يا ماتوتشكا؛ ولكنك لو كنت تعرفين فقط من أين جاء كل هذا الحب الذي أحبك لما تكلمت بهذا الشكل. إن ما تقولينه عن ذلك، كل ما تقولينه عن كل هذا المنطق الذي تقدمينه لي، هو مجرد عرض؛ لكنني متأكد أنك في أعماقك لا تعتقدين ذلك على الإطلاق. ماتوتشكا، أنا لا أعرف نفسي، ولا أستطيع أن أتذكر كل ما حدث بيني وبين الضباط، ويجب أن أشير لك يا ملاكي الصغير أنني كنت قبل هذه القضية في اضطراب رهيب. فكّر فقط أنني كنت معلّقاً لمدة شهر، كما كنت، بخيط رفيع. كان وضعي فظيعاً. لقد أخفيت الأمر عنك وأبقيته سراً في المنزل أيضاً، لكن صاحبة المنزل كانت تصرخ وتثير ضجة رهيبة. وما كان ذلك لينفعني في شيء - فما بالك بإزعاج امرأة شقية! ولكنها كانت فضيحة؛ ثم اكتشفت، والله أعلم كيف، علاقتنا الغرامية، فأحدثت ضجة كبيرة في كل أرجاء المنزل حتى ذهلت وسددت أذني. لكن الحقيقة هي أن الآخرين لم يسدوا آذانهم؛ بل على العكس، فتحوها على مصراعيها. حتى الآن يا ماتوتشكا، لا أعرف إلى أين أهرب... وهكذا، يا ملاكي الصغير، كل هذا، كل هذه المحن المختلفة قد دفعتني إلى أقصى

حد. وفجأة سمعت أشياء غريبة من فيدورا: لقد جاء إلى بيتك مطارد لا يستحق، وأهانك باقتراح لا يليق؛ لقد أساء إليك هذا الرجل، أساء إليك إساءة بالغة؛ أستطيع أن أحكم بنفسي يا ملاكي، لأنني أنا أيضاً شعرت بإهانة بالغة. ثم، يا ملاكي الصغير، لقد تركني العقل، ثم فقدت صوابي، وانتهى أمري. أما أنا يا صديقتي فارينكا، فقد خرجت من البيت مسرعاً في جنون لأذهب لأرى هذا المغوي. لم أكن أعرف حتى ماذا أريد أن أفعل: كل ما في الأمر أنني لا أريد أن يسيء إليك أحد يا ملاكي الصغير! هيا، كان الأمر محزنًا! وفي ذلك الوقت كان الجو ممطرًا، وكان الطقس كئيبًا، وكنت أشعر بحزن شديد! أردت أن أعود أدراجي... ثم جاء سقوطي يا ماتوتشكا. قابلتُ إميليان إيليان، إميليان إيليتش؛ إنه موظف، أو بالأحرى كان موظفاً، لكنه الآن ليس كذلك، لأنهم أخذوا منه وظيفته معنا. لا أعرف حتى ماذا يفعل الآن؛ إنه بائس. والآن سنغادر معاً. وبعد ذلك... - ولكن ما الذي يهمك في ذلك يا فارينكا؟ وأي متعة تجدينها في القراءة عن مصائب صديقك وما عاناه من محن وإغراءات؟ - وفي مساء اليوم التالي، وبإلحاح من إميليان، ذهبت لرؤية الضابط. كنت قد طلبت من دفورنيك عنوانه. وبالمناسبة يا ماتوتشكا، لقد كنت أراقب هذا الشاب منذ وقت طويل؛ لقد كنت أراقبه بالفعل عندما كان يسكن في منزلنا. والآن أرى أنني ارتكبت خطأ ما، لأنني لم أكن في كامل قواي العقلية عندما زرته. حقاً يا فارينكا، أنا لا أتذكر شيئاً، أتذكر فقط أنه كان هناك الكثير من الضباط في منزله، أو أنني رأيت ضعفهم، الله أعلم. لا أتذكر ما قلته أيضًا، كل ما أعرفه هو أنني قلت الكثير في سخطي النبيل. حسناً، لقد ألقوا بي خارجاً، حتى أنهم جعلوني أسقط من على الدرج، أعني أنهم ألقوا بي خارجاً بقسوة، لأنهم لم يلقوا بي تماماً من على الدرج. أنت تعرف، فارينكا، كيف عدت؛ هذا كل شيء. لا شك أنني أهنت نفسي، وأهنت

كرامتي، ولكن لا أحد يعرف ذلك؛ لا أحد غريب يعرف ذلك، إلا أنت. حسناً، في هذه الحالة يبدو الأمر كما لو أنه لم يحدث. ربما حدث ذلك يا فارينكا، ما رأيك؟ ما أعرفه على وجه اليقين هو أن أكسينتي أوسيبوفيتش انتهك كرامة بيير بتروفيتش الشخصية في العام الماضي في منزلنا بنفس الطريقة، لكنه فعل ذلك سراً بالطبع. لقد دعاه إلى غرفة المظهر - وقد رأيت الأمر كله من خلال شق - وهناك عامله بألطف طريقة ممكنة؛ ولكنه فعل ذلك بنبل، لأنه لم يشهد أحد المشهد سواي، ولم أفعل شيئاً حيال ذلك؛ أعني أنني لم أخبر أحداً. حسناً، بعد ذلك لم يتغير شيء في العلاقة بين بيير بتروفيتش وأكسنتي أوسيبوفيتش. فبيير بتروفيتش، كما تعلمون، رجل لديه الكثير من احترام الذات: لم يثق بأحد، وحتى الآن يحيي كل منهما الآخر ويتصافحان. إنني لا أجادلك في شيء يا فارينكا، ولست أجادلك في شيء يا فارينكا، ولست أجادل في شيء؛ فأنا ساقط سقوطاً شديداً، والأسوأ من ذلك أنني فقدت تقديري الخاص؛ ولكن من المؤكد أنه كان مكتوباً أن يحدث لي هذا؛ لقد كان ذلك بالتأكيد من قدري، ولا تستطيع أن تهرب من قدرك، فأنت تعرف ذلك بنفسك. حسناً، إليك سرداً مفصلاً لمصائبي ومحنتي يا فارينكا. - أنا مريض بعض الشيء، ماتوتشكا، وقد فقدت كل ذكائي. لذلك أظل يا آنسة فارفارا أليكسييفنا خادمك الموقر .

ماكار ديفوشكين.

29 يوليو (تموز)

يا ماكار أليكسيفيتش! لقد قرأت رسالتيك، وقد تأوهت كثيراً عندما قرأتهما! اسمع يا صديقي، إما أنك تخفي عني شيئاً ولم تكتب لي إلا جزءاً من مشاكلك، أو... حقاً يا ماكار أليكسيفيتش، إن رسائلك لا تزال تظهر بعض الفوضى... تعال لرؤيتي، بالله عليك، تعال اليوم؛ ولكن اسمعني، تعال وتناول العشاء معنا. أنا لا أعرف حتى كيف تعيش هناك أو كيف حالك مع صاحبة المنزل. أنت لا تخبرني بأي من ذلك، ويبدو أنك تتعمد السكوت عن ذلك. لذا، إلى اللقاء يا صديقي، لا تنسى أن تزورنا اليوم؛ ولكن من الأفضل لك أن تأتي لتناول العشاء معنا كل يوم. فيدورا تطبخ جيدا. وداعا.

فارفارا دوبروسيلوف.

1 أغسطس

ماتوتشكا، فارفارا أليكسييفنا

أنت مسرورة جداً يا ماتوتشكا لأن الله قد أعطاك الفرصة لتفعلي الخير بالخير وترديني إليه. أنا أؤمن بذلك يا فارينكا، أنا أؤمن بطيبة قلبك الملائكي الصغير، ولكني لا ألومك - فقط لا تلوميني كما كنتِ تفعلين في السابق على أنني أصبحت مبذراً في أيامي القديمة. هيا، لقد ارتكبت هذا الخطأ، ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟ - إذا كنت تريد قطعاً أن يكون في ذلك إثم، فليكن ذلك: فقط هذه اللغة التي تصدر منك يا صديقي الصغير، يؤلمني سماعها. لا تغضب مما أقوله لك، فقلبي كله مرض، يا ماتوتشكا. الناس مساكين متقلبون - والطبيعة شاءت ذلك. لقد أدركت ذلك من قبل. إن المسكين شكاك؛ بل إن له طريقة خاصة في النظر إلى العالم، فهو يراقب كل عابر سبيل من زاوية عينيه وينظر حوله بقلق، ويصغي إلى كل كلمة، ويظن دائماً أنهم يتحدثون عنه، وأنهم ينتقدون مظهره الخارجي الرث. والجميع يعلم يا فارينكا أن هذا المسكين أسوأ من الخرقة، وأنه لا يمكن أن يحظى بأي اعتبار مهما كتبوا! نعم، بغض النظر عما يكتبه هؤلاء الذين يكتبون على الورق لن يتغير وضع الرجل المسكين. ولماذا يجب أن يبقى على حاله؟ لأنه، حسب رأيهم، يجب أن يخرج كل شيء عن الرجل الفقير إلى العلن، لأنه ممنوع عليه أن تكون له حياته الخاصة، وكرامته الشخصية. وقد أخبرني إميليان منذ أيام أنه كان هناك في مكان ما اكتتاب له، وأنه كان عليه أن يخضع لنوع من التفتيش الرسمي مقابل كل عشرة كوبيك. وكان الناس يظنون أنهم كانوا يعطونه أموالهم مجاناً، ولكنهم لم يكونوا كذلك: كانوا يستخدمون

المال لدفع ثمن منظر رجل فقير. الآن، يا ماتوتشكا، الصدقة نفسها تتم بطريقة غريبة... لكن ربما كان الأمر هكذا دائمًا، من يدري؟ إما أنكم لا تعرفون كيف تفعلونها، أو أنكم أذكياء جداً - إما أنكم لا تعرفون كيف تفعلونها، أو أنكم أذكياء جداً - ربما لم تعرفوا ذلك، حسناً، أنا أعلمكم! في جوانب أخرى جهلنا كبير ولكن على هذا السؤال ليس لدينا إجابة! وكيف يعرف المسكين كل هذا؟ لماذا يفكر في مثل هذه الأفكار؟ لماذا يجب عليه ذلك؟ - حسناً، لأن لديه خبرة! لأنه يعلم مثلاً أنه عندما يدخل إلى أي مطعم، هناك رجل محترم بجانبه يقول في نفسه: "ذلك الموظف البائس، ماذا سيأكل اليوم؟ أنا سأتناول طبق لحم مقلي، وهو ربما سيتناول حساء حنطة بدون زبدة". - ولكن ما الذي يهمه إذا أكلت كاتشا بدون زبدة؟ بعض الناس، فارينكا، هذا كل ما يفكرون فيه. وسينظر هؤلاء المغتابون غير اللائقين ليروا إن كنت تضع نعل قدمك كله على الرصيف أم أنك تمشي على أصابع قدميك فقط؛ ويلاحظون أن موظف كذا وكذا في قسم كذا وكذا، وأن مستشار كذا وكذا لديه حذاء ترى من خلاله أصابع قدميه، وأنه يلبس بدلة ذات ثقوب في المرفقين؛ ثم يكتبون كل هذا ويطبعون هذه الأشياء الحقيرة ... وماذا يهمك إذا كانت بدلتي بها ثقوب في المرفقين؟ أجل، إذا سمحت لي يا فارينكا، وهي مقارنة فجة، فسأقول لك إن الرجل المسكين يشعر في هذا الصدد بشيء يشبه حياءك العذري مثلاً. فأنت لا تريدين - واعذريني على فظاظة الكلمة - أن تتجردي من ملابسك أمام الجميع؛ وبنفس الطريقة لا يحب المسكين أن تتسلل نظرة طائشة إلى بيت كلبه وتتفحص كيف يعيش فيه: هذا هو الأمر. فلماذا أسأت إليّ يا فارينكا مع أعدائي الذين يهاجمون شرف وكرامة الرجل الشريف، لقد بدوت اليوم في المكتب أشبه بدب بلا شعر أو عصفور بلا ريش حتى لقد كنت أحمر خجلاً من الخجل نفسه حين أنظر

إلى نفسي. كنت مرتبكًا يا فارينكا! نعم، تشعرين بالحرج بطبيعة الحال عندما يظهر مرفقاك من خلال ملابسك وأزرارك معلقة بخيط. هكذا كانت ملابسي فوضوية! رغمًا عن نفسك، أنتِ خائفة. أعني... وبدأ ستيفان كارلوفيتش نفسه يحدثني اليوم عن العمل؛ وتكلم وتكلم ثم أضاف، كما لو كان ذلك مصادفة: (أنت يا باتوشكا ماكار أليكسييفيتش! لم يكمل فكرته، ولكنني فهمت كل شيء وتحولت إلى اللون الأرجواني، لدرجة أن الجزء الأصلع من رأسي تحول إلى اللون الأحمر. في الأساس، إنه لا شيء، لكنه مقلق على الرغم من ذلك. إنه يوحي ببعض الأفكار الخطيرة. ألم يتعلموا شيئًا بالفعل؟ لا سمح الله! هيا، كيف يمكن أن يكونوا قد علموا؟ أعترف أن لدي شكوكي، هناك رجل واحد صغير أشك فيه بقوة. هؤلاء الأوغاد قادرون على فعل أي شيء! !قد يخونونك قد يبيعون حياتك الخاصة بأكملها بأقل من قرش! لا شيء مقدس بالنسبة لهم! أنا أعرف الآن من الذي خدعني بهذه الخدعة: لقد كان راتزاييف. إنه يعرف شخصاً في فرقتنا، ولا شك أنه أخبره بالقصة بتفاصيل من اختراعه، أو أنه تحدث عنها في فرقته، وشيئاً فشيئاً انتشرت القصة إلى فرقتنا. أما في البيت، فالكل يعرف كل شيء، ويشيرون إلى نافذتك، وأنا أعلم أنهم يعرفون كل شيء. بالأمس، عندما ذهبت لتناول العشاء في منزلك، كانت رؤوس الجميع تشير إلى النافذة. قالت صاحبة المنزل: "إنه اتحاد شيطان مع طفل"، ثم أطلقت عليك تعبيرًا غير لائق. ولكن هذا كله لا يعد شيئاً بالقياس إلى مشروع راتزاييف المشؤوم: إنه يريد أن يضعني وإياك في أدبه، وأن يكتب عنا هجاءً جميلاً؛ وقد قال ذلك بنفسه، وأخبرني بذلك أناس صالحون من موظفي قسمنا. لا أستطيع التفكير في أي شيء، ماتوتشكا، ولا أعرف ماذا أفعل. لا يوجد ما يخفيه، لقد أغضبنا الرب الإله يا ملاكي الصغير! لقد أردت يا ماتوتشكا أن ترسلي لي كتاباً ليشغلني عن التفكير في الأمور لا

تهتمي بهذا الكتاب يا ماتوتشكا! ما هو الكتاب؟ !إنها قصة ما قبل النوم إن الرواية عبث كتبت لغرض سخيف، لتمضية وقت البطالة، صدقيني يا ماتوتشكا، صدقيني يا ماتوتشكا، صدقي خبرتي الطويلة. في اجتماعاتهم، يرددون عن شكسبير معين: "كما ترون"، يقولون: "في الأدب هناك شكسبير..." حسناً، شكسبير أيضاً سخيف، كل هذا هراء، كل هذا من أجل أن يبدو الناس سخفاء! حسناً، شكسبير أيضاً سخيف، كل هذا هراء، كل هذا من أجل أن يبدو الناس سخفاء!

مخلصك

ماكار ديفوشكين .

2 أغسطس.

سيد ماكار ألكسيفيتش لا تقلق بشأن أي شيء؛ فبمساعدة الرب الإله سيكون كل شيء على ما يرام. لقد وجدت فيدورا الكثير من الأعمال التي يجب أن نقوم بها أنا وفيدورا، وقد شرعنا في العمل بسعادة؛ لعلنا نتمكن من تصحيح الأمور. إنها تشتبه في أن آنا فيدوروفنا لها علاقة بما حدث لي مؤخراً، لكنني لا أهتم الآن. اليوم أنا أكثر سعادة من المعتاد. تريد اقتراض المال - لا سمح الله! في وقت لاحق، ستقعين في ورطة عندما تضطرين إلى تسديده. تعال لزيارتنا في كثير من الأحيان، ولا تقلق بشأن صاحبة المنزل. أما بالنسبة لأعدائك الآخرين، أي الأشخاص الآخرين الذين يسيئون النية تجاهك، فأنا متأكد من أنك تختلق مخاوف لا أساس لها من الصحة، يا ماكار أليكسييفيتش! كن حذرًا، لقد أخبرتك في المرة السابقة أن أسلوبك يظهر اضطرابًا غير عادي. حسنًا، وداعًا، وداعًا. أنا بالتأكيد أعتمد على زيارتك .

ف.د.

3 آب (أغسطس)

ملاكي الصغير، فارفارا ألكسيفنا! أسارع إلى إبلاغك يا حياتي العزيزة بأنني قد حملت بعض الآمال. ولكن اسمحي لي يا ابنتي الصغيرة - أنتِ تكتبين لي يا ملاكي الصغير، لا أن تستعيري. إن أموري في حالة سيئة، وأخشى أن تسوء أمورك فجأة أيضاً! أنتِ لستِ قوية؛ هذا لأقول لكِ أن القرض ضروري للغاية. حسناً، سأواصل الآن يا فارفارا أليكسييفنا، وأشير إلى أنني أجلس بجانب إميليان إيفانوفيتش في المكتب. إنه ليس إميليان الذي تعرفينه. فالرجل الذي أتحدث عنه هو، مثلي، مستشار كامل، وربما نكون نحن الموظفان الأطول خدمة في قسمنا بأكمله. إنه روح طيبة، وروح غير مهتمة؛ لكنه ليس متحدثاً بارعاً، ويبدو دائماً كالدب الحقيقي. ومن ناحية أخرى، فهو يعرف أشياءه جيداً، وخطه إنجليزي نقي، وإذا كان الحق يقال، فهو لا يكتب أسوأ مما أكتب، فهو رجل جدير بذلك! ولم أكن على علاقة حميمة معه قط، ولم نكن نتبادل التحية والوداع كما جرت العادة، وأحياناً إذا احتجت إلى مطواة كنت أطلبها منه: قال لي: "يا إميليان إيفانوفيتش، أعرني سكينك"؛ وباختصار، لم يكن بيننا إلا العلاقات التي تتطلبها الحياة معاً. والآن يقول لي: "يا ماكار أليكسييفيتش، لماذا أصبحت قلقًا للغاية؟ أرى أن هذا الرجل يريد أن يحسن إليّ، فأفتح له قلبي: "بسبب هذا وذاك يا إميليان إيفانوفيتش...". بالطبع، لم أخبره بكل شيء، ولا سمح الله أن أخبره بكل شيء، فأنا لا أملك القوة، فقط أسررت له بعبارات عامة بأنني محرجة وما إلى ذلك. قال إميليان إيفانوفيتش: "ولكن، يا باتوشكا، عليك أن تقترض المال"، "يمكنك أن تذهب إلى بيير بتروفيتش، إنه يقرض بفائدة؛ لقد اقترضت منه المال، وشروطه معقولة؛ إنه لا يتقاضى فائدة باهظة".

عند هذه الكلمات يا فارينكا، قفز قلبي في صدري. ربما، كما ظننت، أن الرب سيُلهم فكرة طيبة في بيير بتروفيتش، فيوافق على إقراضي المال. لقد قررت بالفعل كيف سأستعمل المال: سأدفع لصاحبة البيت، وسأساعدك، وسأعيد ترتيب خزانة ملابسي، لأنه من العار أن أرتدي مثل هذه الملابس؛ فجلوسي في مكاني هذا يجعلني أشعر أنني على شوك، ناهيك عن أن السماعين يضحكون عليّ، كان الله في عونهم! ثم إن سعادتها تمر أحياناً من أمام مائدتنا؛ فإذا وقعت عيناها - لا قدر الله - عليَّ ولاحظت عدم لياقة ملابسي! إن أهم شيء بالنسبة لها هو النظافة وصحة الملبس. قد لا تقول شيئًا، لكنني كنت سأموت من الخجل - هذا ما كان سيحدث. كنت مفعماً بالأمل، ولكنني في الوقت نفسه كنت في عذاب مميت وأنا أنتظر. حسنًا يا فارينكا، لقد انتهى كل شيء بغباء! كان مشغولاً بالحديث مع فيدوسي إيفانوفيتش. اقتربت منه من الجانب وجذبته من كمه وقلت له: "بيير بتروفيتش، إيه، بيير بتروفيتش! فاستدار. أخبرته أنني في وضع كذا وكذا، وأنني بحاجة إلى ثلاثين روبل وما إلى ذلك. في البداية لم يفهمني، ثم عندما شرحت له كل شيء، ضحك، لكنه لم ينبس ببنت شفة. سألته مرة أخرى. ثم سألني: "هل لديك تعهد؟ ثم غرق في أوراقه، وبدأ في الكتابة ولم ينظر إليّ مرة أخرى. أجبته وأنا مرتبك قليلاً: "لا، يا بيير بيتروفيتش"، أجبته وأنا مرتبك قليلاً: "ليس لديّ أي ضمانات؛ ولكن بمجرد أن أتلقى راتبي سأدفع لك، يمكنك الاعتماد على ذلك؛ سأجعل من واجبي أن أدفع لك فوراً. وفي هذه الأثناء، ناداه أحدهم، فانتظرت عودته؛ وما إن دخل حتى بدأ يقص ريشة ويبدو أنه لم يكترث لي. عدت إليه: "بيير بتروفيتش، ألا يمكنك أن تقرضني بعض المال؟ ظل صامتاً وبدا أنه لم يسمعني. قلت في نفسي: "هيا، سأقوم بمحاولة أخيرة وأجذبه من كمه. ولم يرخ شفتيه، ثم أخرج ريشة وبدأ يكتب، وانسحبت

أخيراً، أترى يا ماتوتشكا قد يكونون جميعاً أناساً جديرين بالثناء، ولكنهم متكبرون، متكبرون جداً! ماذا علينا أن نفعل معهم يا فارينكا؟ هذا ما كنت أقصده عندما كتبت كل هذا. - ضحك إميليان إيفانوفيتش أيضاً وهز رأسه، ولكنه واساني بكلمات ودية. لقد وعدني يا فارينكا أن يوصيني بشخص يسكن في شارع دي فيبورغ ويقرض المال بفائدة أيضاً، وهو موظف من الدرجة الرابعة عشرة. يقول إميليان إيفانوفيتش أن هذا الشخص سيقرضني المال بالتأكيد. غداً سأذهب لرؤيته، أليس كذلك يا ملاكي الصغير؟ ما رأيك؟ من المؤسف ألا أستطيع الحصول على المال! مالكة منزلي على وشك أن تطردني وترفض إعطائي العشاء ثم إن حذائي في حالة سيئة، يا ماتوتشكا؛ ثم إنني لا أملك أي أزرار، ثم لا يزال هناك الكثير من الأشياء التي لا أملكها! ليت أحد رؤسائي يلاحظ مدى سوء ملابسي! إنها مصيبة، يا فارينكا، مصيبة، مصيبة حقيقية!

ماكار ديفوشكين

4 آب (أغسطس)

عزيزي ماكار ألكسييفيتش!

بالله عليك يا ماكار ألكسييفيتش، أرجوك أن تقترض بعض المال في أقرب وقت ممكن، ما كنت لأطلب منك مساعدتي في مأزقي الحالي من أجل العالم، ولكن لو كنت تعلم فقط ما هو وضعي! من المستحيل تمامًا أن نبقى في هذا المنزل. لقد حدثت لي أشياء فظيعة، ولو تعلم فقط ما أنا فيه الآن من اضطراب وهياج! فقط تخيل يا صديقي: في هذا الصباح جاء إلى بيتنا رجل غريب، رجل في سن معينة، رجل عجوز تقريباً، مزين بعدة أوامر. استغربت كثيراً، ولم أفهم ماذا يريد. كان فيدورا قد خرج لقضاء حاجة. وبعد أن سألني كيف أعيش وماذا أفعل، أعلن دون أن ينتظر جوابي أنه عم هذا الضابط؛ وأنه غاضب جداً من ابن أخيه بسبب سوء سلوكه ولأنه جلب لنا السمعة السيئة في كل البيت; ونعت ابن أخيه بالطفل والأحمق، وقال إنه مستعد أن يأخذني تحت حمايته؛ وقال لي ألا أصغي إلى الصغار؛ وأضاف أنه مهتم بي كأب، وأنه يكن لي مشاعر الأبوة، وأنه مستعد لمساعدتي بأي طريقة يستطيعها. كنت متحمسة، ولم أعرف بماذا أفكر، ولكني لم أتسرع في شكره. أمسك بيدي رغمًا عني، وربت على خدي، وقال إنني جميلة جدًا وإنه أحب غمازاتي الصغيرة كثيرًا (الله أعلم ماذا قال لي!)؛ وفي النهاية، أراد أن يقبلني قائلاً إنه رجل عجوز بالفعل (كان قبيحًا جدًا!). - ثم دخلت فيدورا. فأزعج وصولها الزائر قليلاً، ولكنه عاد فتكلم مرة أخرى وقال إنه كان يقدّرني كثيراً بسبب تواضعي وأخلاقي، وإنه حريص على ألا أتجنبه. ثم أخذ فيدورا جانباً، وبذريعة غريبة أراد أن يعطيها بعض المال. وبالطبع،

لم تقبل فيدورا ذلك. وأخيراً أعلن انسحابه، وجدد كل تأكيداته السابقة، وقال إنه سيأتي لرؤيتي مرة أخرى ويحضر لي بعض الأقراط (وكان يبدو عليه الانزعاج الشديد)؛ ودعاني إلى الانتقال وأوصاني بشقة جميلة في ذهنه لن تكلفني الكثير، وقال إنه أحبني كثيراً لأني شابة صادقة وحكيمة؛ ونصحني بالحذر من الشبان الفاسقين، وأخيراً قال إنه يعرف آنا فيدوروفنا، وإن آنا فيدوروفنا طلبت منه أن يخبرني أنها هي نفسها ستزورني. ثم فهمت كل شيء. ولا أدري ماذا حدث لي، فقد كانت المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها نفسي في مثل هذا الموقف؛ ولم أستطع أن أتمالك نفسي؛ فانهلت عليه بأشد عبارات التوبيخ المهينة. وانضمت فيدورا إليّ وكادت تطرده من البيت، وكنا نظن أن هذا كله من فعل آنا فيدوروفنا؛ فمن غيرها كان يمكن أن يخبره عنا؟ الآن يجب أن ألجأ إليك يا ماكار أليكسييفيتش وأناشدك مساعدتك. بالله عليك، لا تتركني في موقف كهذا! خذ قرضاً، أرجوك، احصل على أقل قدر ممكن من المال، فنحن لا نملك وسيلة للانتقال، ومن المستحيل تماماً أن نبقى هنا أكثر من ذلك: فيدورا توافق. نحن بحاجة إلى خمسة وعشرين روبل على الأقل؛ سأرد لك المال؛ سأكسبه من خلال عملي؛ لا يزال يتعين على فيدورا أن تحصل لي على عمل في القريب العاجل؛ لذلك إذا طلبوا منك الكثير من الفائدة، فلا تدع ذلك يمنعك، وافق على جميع الشروط التي يقترحونها. سأسدد لك المبلغ كاملاً، ولكن بالله عليك لا تتركني بدون مساعدة. إن إضافة إحراجات جديدة إلى تلك التي تعاني منها في الوقت الحالي تكلفني الكثير، ولكن كل أملي فيك وحدك! الوداع يا ماكار أليكسييفيتش، فكر فيّ، وعسى الله أن يوفقك!

4 أغسطس.

عزيزتي فارفارا ألكسيفنا!

كل هذه الضربات غير المتوقعة تهزني أنا أيضًا! هذه المصائب الرهيبة تحطم روحي أيضًا! ليس أنت وحدك، يا ملاكي الصّغير، ما يريده هؤلاء الحمقى العجزة الذين يعبثون بالأطباق والعجائز، بل ما يريده هؤلاء المستغلون هو سقوطي أنا أيضاً. وسيقتلونني، أقسم أنهم سيقتلونني! أفضل أن أموت الآن على أن لا آتي لمساعدتك! - إذا لم أساعدك فسيكون موتي يا فارينكا، موتي، أقول لك بكل تأكيد، وإذا ساعدتك فستفلت مني، وسيطير الطائر الصغير من العش الذي يهدد به أولئك البوم، تلك الطيور الجارحة. هذا هو عذابي، ماتوتشكا. ولكن أنت أيضاً يا فارينكا، كم أنت قاسية! كيف يمكنك أن تكوني بهذه القسوة؟ أنت معذبة، أنت مهانة، أنت تعانين يا عصفورتي الصغيرة، وما زلتِ معذبة وأنتِ لا تزالين في ضيق من الحرج الذي تضطريني إليه، وأنتِ تعدينني أن تسددي لي من خلال عملك الذي يعني أنك مع سوء صحتك ستقتلين نفسك لتتمكني من الدفع في الموعد المحدد ولكن بربك يا فارينكا، فكري فيما تقولين! لماذا تخيطين، ولماذا تعملين فتتعبين رأسك الصغير المسكين بالهموم، وتتعبين عينيك الجميلتين وتدمرين صحتك؟ آه يا فارينكا، فارينكا، أترين يا عزيزتي أنني لا أصلح لشيء، وأنا أعرف نفسي أنني لا أصلح لشيء، لكني سأحرص على أن أكون بارعا في شيء ما سأفعل كل شيء، سأحصل لنفسي على عمل خارج القسم الذي أعمل فيه، سأقوم بعمل نسخ للكتّاب، سأذهب إليهم، سأطلب منهم العمل بنفسي، لأنهم يا ماتوتشكا يبحثون عن ناسخين جيدين، أعرف

أنهم كذلك. لكني لن أدعك تدمرين نفسك؛ لن أدعك تنفذين مثل هذه الخطة الكارثية. سأستعير يا ملاكي الصّغير، يمكنك أن تكوني متأكدة من ذلك؛ أفضل الموت على ألا أستعير. لا تخافي، يا ملاكي، من دفع الكثير من الفوائد. لن أخاف، ماتوشكا، لن أخاف، لن أخاف؛ لست خائفة من أي شيء الآن. إنني أنوي يا ماتوتشكا أن أطلب أربعين روبل من الورق؛ أليس هذا كثير يا فارينكا؟ ما رأيك يا فارينكا؟ أيمكنك أن تقرضني أربعين روبلًا بناء على حسن مظهري؟ أعني، هل تعتقد أنني قادر على أن أوحي لك بالثقة من النظرة الأولى في جدارتي الائتمانية؟ هل يمكنك الحكم عليّ بشكل إيجابي من النظرة الأولى؟ هل تتذكرين ملامحي يا ملاكي الصّغير، هل لديّ وجه يطمئن أي مرابٍ؟ ما رأيك في ذلك؟ من هذه الأربعين روبل، خمسة وعشرون روبل ستكون لك يا فارينكا؛ وسأعطي روبلين لصاحبة البيت، والباقي سأنفقه على نفسي. كما ترين، سيكون من المناسب أن أعطي أكثر قليلاً لصاحبتي، بل سيكون ذلك ضرورياً؛ ولكن تخيلي حالتي يا ماتوتشكا، وانظري إلى كل احتياجاتي، وسترين أنه من المستحيل تماماً أن أعطي أكثر من ذلك؛ ولذلك فلا داعي للحديث عن ذلك، ولا حتى التفكير فيه. سأنفق روبل على الأحذية، ولا أعرف حتى ما إذا كنت سأتمكن من الذهاب إلى المكتب غدًا بحذائي القديم. سأحتاج أيضاً إلى ربطة عنق لأن ربطة العنق التي أرتديها لم تدم طويلاً إذ أن التي أرتديها قد استغرقت مني ما يقرب من عام، ولكن بما أنك وعدتني بأن تقصي لي ليس فقط ربطة عنق بل قميصاً من مئزرك القديم، فلا داعي للقلق بشأن ذلك أيضاً. إذاً هذا يحسم الأمر فيما يتعلق بالحذاء وربطة العنق. ستوافقينني الرأي يا عزيزتي الصغيرة بأنني لا أستطيع الاستغناء عن الأزرار، كما أن حافة مئزري مهترئة في أماكن كثيرة! إنني أرتجف من التفكير في أن سعادته قد يلاحظ مثل هذه الفوضى

ويقول - ولكن ماذا يهم ما يقول؟ إنني لن أسمع حتى كلماتها يا ماتوتشكا، لأنني سأموت، سأموت على الفور، سأموت من الخجل دون أن أسمعها، إن مجرد التفكير في لومها سيجعلني أموت! - أوه، ماتوتشكا! - عندما أقضي كل حاجاتي الملحة سيتبقى معي ثلاثة روبلات تكفي للعيش وشراء نصف رطل من التبغ، لأنني يا ملاكي الصّغير لا أستطيع الاستغناء عن التبغ، وأنا لم أدخن غليوناً واحداً منذ تسعة أيام. كنت أود أن أشتريه دون أن أخبرك، لكنني لا أريد ذلك. أنت تعيسة هناك، وقد اختزلت إلى أقسى أنواع الحرمان وها أنا ذا أستمتع بمختلف الملذات؛ حسناً، إنني أخبرك بكل هذا لأعفي نفسي من الندم. سأقول لك بصراحة يا فارينكا، إنني الآن في موقف صعب للغاية، وهو أنني لم يحدث لي مثل هذا الموقف من قبل. فصاحبة منزلي تحتقرني، ولا أحد يعيرني أي اعتبار، وأنا معدم ومديون؛ وفي القسم الذي اعتاد رفاقي أن يضايقوني فيه لا يجب أن تتعجبي إذا ما كانوا يجعلون الحياة سهلة بالنسبة لي الآن يا ماتوتشكا! أنا أخفي وضعي عن الجميع بحذر، أخفي نفسي، وأتسلل إلى المكتب، بعيدًا عن الأنظار. أنتِ الوحيدة التي أملك الشجاعة للاعتراف لها بحالتي... ماذا لو رفض الإقراض؟ كلا يا فارينكا، من الأفضل ألا تفكري في ذلك، وألا تنزعجي مسبقاً بمثل هذه الأفكار، وأنا أكتب لك هذا من باب الاحتياط، حتى لا تفكري في ذلك بنفسك ولا يخطر لك ذلك في بالك. يا إلهي، ماذا سيحدث لك حينها! صحيح أنه في هذه الحالة لن تتحركي في هذه الحالة وسأبقى جارتك - ولكن لا، لأنني لن أعود إلى هنا عندئذ، سأذهب وأختبئ في مكان ما، سأختفي. بدلاً من أن أكتب لك رسالة طويلة كهذه، كان يجب أن أحلق لحيتي؛ فعندما تكون حليق الذقن تبدو أكثر لياقةً، والمظهر اللائق هو دائماً توصية.

حسناً، فليوفقني الله في ذلك! سأتلو صلاة صغيرة ثم سنمضي في طريقنا!

السيد ديفوكين.

5 آب/أغسطس

عزيزي ماكار أليكسييفيتش

يا ليتك لم تيأس! الأمر سيء بما فيه الكفاية بدون ذلك. - سأرسل لك ثلاثين كوبيك من المال، هذا كل ما أستطيع أن أرسله لك، اشتر لنفسك ما تحتاج إليه أكثر من غيره، ما يكفيك ليوم غد. نحن أنفسنا لم يتبق لدينا شيء تقريبًا، وغدًا لا أعرف كيف سنتدبر أمرنا. كم هو محزن، ماكار أليكسييفيتش! على أي حال، لا تقلق؛ فأنت لم تنجح، فماذا يمكنك أن تفعل؟ تقول فيدورا أن هذه ليست مصيبة بعد، وأننا نستطيع البقاء هنا مؤقتاً، وأننا حتى لو انتقلنا لن نفقد أثرنا، وأنهم إذا أرادوا ذلك فسيجدوننا في كل مكان. نعم، لكن هذا لا يهم، لم أعد أشعر بالراحة هنا بعد الآن. لو لم يكن الأمر محزنًا لكتبت لك شيئًا. يا لك من شخصية غريبة، يا ماكار أليكسييفيتش! أنت تأخذ كل شيء على محمل الجد، لذلك ستظل دائماً رجلاً تعيساً جداً. لقد قرأت جميع رسائلك باهتمام، وأرى أنك في كل واحدة منها تعذب نفسك بشأني وتقلق عليَّ كما لم تقلق على نفسك قط. ولا شك أن هناك صوتاً واحداً سيقول لك إن قلبك طيب، ولكني أقول لك إن قلبك طيب أكثر من اللازم. دعني أقدم لك نصيحة ودية يا ماكار أليكسييفيتش. إنني ممتنة لك، ممتنة جداً لكل ما فعلته من أجلي؛ إنني أشعر بذلك كله شعوراً طيباً؛ فاحكم على شعوري عندما أرى أنك حتى الآن - بعد كل المصائب التي كنت سبباً فيها عن غير قصد بالنسبة لك - حتى الآن لا تعيش إلا على حياتي: على أفراحي، وأحزاني، وقلبي! إن اهتمامك الشديد بالآخرين، واهتمامك الشديد بالأشياء الغريبة عنك، هو في

الحقيقة الطريق الذي يجعلك تعيسًا للغاية. اليوم، عندما جئت إلى منزلي عند عودتك من المكتب، كنت خائفة عندما نظرت إليك. لقد كنت شاحباً جداً، خائفاً جداً، يائساً جداً! كان وجهك لا يمكن التعرف عليه، - وكل ذلك لأنك كنت خائفاً من أن تخبرني عن فشلك، لأنك كنت تخشى أن تحزنني، أن تفزعني؛ ولكنك عندما رأيتني أبدو مبتهجة إلى حد ما، استعدت كل صفاءك تقريباً، يا ماكار أليكسييفيتش! لا تحزن، لا تيأس، كن أكثر تعقلاً، - أتوسل إليك، أتوسل إليك. تعال الآن، سترى أن كل شيء سيكون على ما يرام، وأن الأمور ستسير نحو الأفضل. لا تكن حزينًا إلى الأبد بسبب أحزان الآخرين. وداعًا يا صديقي؛ أتوسل إليك ألا تقلق كثيرًا بشأني.

ف. د.

5 أغسطس

عزيزتي فارينكا!

حسناً، هذا جيد يا ملاكي الصّغير، هذا جيد! أنت ترين أنه ليس من سوء الحظ بعد أن لم أجد شيئًا لأستعيره. هيا، لا بأس، لا بأس، أنا في سلام، أنا سعيد بقدر ما أنتِ سعيدة. بل إنني مسرور لأنك لن تتخلى عني، وأنا رجل عجوز، وأنك ستبقين في هذا البيت. وإذا كان لا بد لي أن أقول كل شيء، حسناً، فإن قلبي قد فاض فرحاً عندما رأيتك تتحدثين عني في رسالتك الصغيرة حديثاً طيباً وأنك أنصفت مشاعري تماماً. أنا لا أقول هذا من باب الفخر، بل لأني أرى مدى حبك لي عندما تقلقين على قلبي بهذه الطريقة. هيا، لا بأس، لا بأس؛ لماذا الحديث عن قلبي الآن؟ دعنا نترك القلب؛ ولكنك تأمرينني يا ماتوتشكا أن أنفي عنك الشفقة. أجل، يا ملاكي الصغير، أنا أيضاً أقول لنفسي أن المرء لا ينبغي أن يكون شهماً؛ ولكن مع كل ذلك، احكم بنفسك يا ماتوتشكا، كيف سأكون غداً في الخدمة؟ هذه هي الحقيقة يا ماتوتشكا، وفكرة كهذه يمكن أن تدمر الرجل، تدمره تماماً. وفوق كل شيء، يا عزيزتي، ليس من أجلي أحزن، وليس من أجلي أتألم؛ شخصياً لا أبالي؛ عندما أضطر إلى الخروج بدون معطف وحذاء في برد قارس، فسأحتمل ذلك على ما يرام، لا أبالي؛ أنا رجل عادي، رجل صغير؛ - ولكن ماذا سيقول الناس؟ أعدائي، كل أولئك الأعداء، كل تلك الألسن الشريرة، ماذا سيقولون عندما يروني خارجاً بدون معطف؟ في هذه الحالة، يا ماتوتشكا، يا روحي الصغيرة، أحتاج إلى حذاء يدعم شرفي وسمعتي الطيبة؛ والحذاء الذي فيه ثقوب هو خراب الاثنين معاً. - صدقيني يا ماتوتشكا،

صدقيني يا ماتوتشكا، صدقي خبرتي الطويلة؛ أنا رجل عجوز، أعرف العالم والناس، اسمعيني بدلاً من الاستماع إلى الأغبياء والأوغاد. ولكن، ماتوتشكا، لم أخبرك بعد بالتفصيل عن خيبة أملي اليوم. لقد تحملت في صباح واحد معاناة معنوية أكثر مما يتحمله معظم الناس في عام كامل. أولاً، غادرت مبكرًا لأتأكد من العثور عليه في المنزل والوصول إلى المكتب في الوقت المحدد. كانت السماء تمطر بغزارة، كان الطقس سيئًا للغاية اليوم! تدثّرت بمعطفي يا ابن عرس الصغير، وفي الطريق ظللت أردد في ذهني: "يا رب اغفر لي ذنوبي، وامنحني أمنياتي! - وعندما مررتُ بالكنيسة في *** وقَّعتُ على نفسي وقمتُ بالتوبة والندم، ولكنني أدركتُ أن هذا سيكون إهانةً لي أن أتعامل مع الرب الإله. استغرقتُ في نفسي، ولم أشأ أن أنظر إلى أي شيء، ولم أنتبه إلى الطريق الذي كنت أتبعه. كانت الشوارع مهجورة، والمارة القلائل الذين قابلتهم كانوا جميعاً مشغولين، ولا عجب في ذلك: فمن ذا الذي يذهب للتنزه في مثل هذه الساعة المبكرة وفي مثل هذا الطقس؟ مررتُ بمجموعة من العمال الذين يرتدون ملابس عمّال جمعية[6]، وكان هؤلاء العمال يتدافعون! فشعرت بالرهبة، وشعرت بعدم الارتياح، ولم أعد أريد أن أفكر في المال بعد الآن. - مهما كان الأمر! وقبالة جسر القيامة سقط أحد نعليَّ، فلم أعد أعرف على ماذا أسير. وفي هذه الأثناء قابلت كاتبنا إرمولاييف؛ فتوقف ووقف مستقيماً كجندي أمام رئيسه، وتبعني بعينيه، وبدا لي أنه يطلب إكرامية. قلت في نفسي يا صديقي: " أنت تأخذ وقتك في طلب ذلك! كنت متعباً جداً، فتوقفت عن السير للحظة، وبعد أن استرحت قليلاً، انطلقت مرة أخرى. كنت أريد أن ألهي نفسي، وأن أرفع معنوياتي قليلاً، ولكن لا؛ لم أستطع أن أركز أفكاري في أي شيء، ومما زاد الطين بلة أنني كنت خجلاً جداً

6 رابطة العمال الذين يجمعون أرباحهم

من نفسي. وفي نهاية الطريق رأيت بيتاً خشبياً مطلياً باللون الأصفر من بعيد، مع طابق ميزانين على شكل بلفيدير. - قلت في نفسي: "لا بد أن يكون هذا هو، هكذا وصف لي إميليان إيفانوفيتش منزل ماركوف" (وهذا، ماتوتشكا، هو اسم الرجل الذي يقرض بالفائدة). ولم أعد أعرف نفسي، وعلى الرغم من أنه لم يكن لدي أي شك في ذلك، فقد سألت رقيب البلدة: (لمن هذا المنزل يا صديقي؟ فأجابني رقيب البلدة، وهو شخص فظ، بفظاظة وقحة وتعبير غاضب: "هذا منزل ماركوف"، وهو يتذمر من بين أسنانه. كل رقباء البلدة هؤلاء وحشيون جدًا! على كل حال، ما الذي يهمني برقيب البلدة! ولكنه كان انطباعاً سيئاً وغير سار على الرغم من ذلك؛ وباختصار، كل تفصيل يضاف إلى آخر؛ ومن كل شيء تحصل على شيء يتماشى مع وضعك، وهكذا هو الحال دائماً. وكلما اقتربت من المنزل، زاد شعوري بعدم الارتياح. - قلت في نفسي: "لا، لن يقرضني المال، لن يقرضني المال أبدًا! أنا غريب عنه، وأعمالي حساسة، ولا أبدو له غريبًا... هيا، سيكون الأمر ما شاء الله؛ على الأقل لا أريد أن ألام بعد ذلك؛ لن أؤكل من أجله! - وبهذا فتحت الباب برفق. ثم كانت مصيبة أخرى: كلب شقي غبي من كلاب البلاط بدأ ينبح في وجهي محدثاً ضجة شيطانية! وها هي ذي هذه المصائب يا ماتوتشكا، هذه الحوادث الصغيرة التي تهيج الإنسان دائماً، والتي ترهبه وتسلبه كل عزيمة تسلح بها قبل ذلك. ودخلت البيت ميتاً أكثر مما كنت حياً، وكانت حادثة جديدة من الحوادث التي ميزت دخولي: ففي الظلام لم أنتبه إلى ما كان أمامي على العتبة؛ فتقدمت وتعثرت بامرأة كانت تفرغ دلواً من اللبن في إبريق؛ فانسكب اللبن كله على الأرض. وبدأت الأنثى السخيفة بالصراخ: "إلى أين أنت ذاهب يا باتوشكا؟ ماذا تريد؟ ثم تندب الحادث. لقد لاحظت يا ماتوتشكا أن نفس الشيء يحدث لي دائماً كلما وجدت نفسي في مثل هذه الظروف، وأعتقد أن هذا من قدري؛

فأنا أواجه دائماً بعض المصائب. عندما سمعت الضجيج، ظهرت لي ساحرة عجوز، فنلندية. سألتها على الفور: "هل هذا هو المكان الذي يعيش فيه ماركوف؟ - فأجابتني في البداية بالنفي، وبعد أن تفحصتني بعناية سألتني: (ماذا تريد منه؟) فشرحت لها، وذكرت لها إميليان إيفانوفيتش، وقلت لها إنني جئت في عمل صغير، وهكذا. نادت العجوز ابنتها؛ وصلت فتاة صغيرة حافية القدمين. "اذهبي وأحضري والدك، إنه في الطابق العلوي مع المستأجرين. - تحمّل عناء الدخول. ودخلت إلى غرفة لم يكن فيها شيء ملفت للنظر؛ وعلى الجدران علقت لوحات كلها صور جنرالات؛ وكانت هناك أريكة، ومائدة مستديرة، وخزام، وبلسم. تساءلت عما إذا كان من الأفضل لي أن أغادر لتجنب أي إزعاج. نعم، أؤكد لك يا ماتوتشكا، لقد أردت أن أهرب! من الأفضل أن أعود غداً، فقلت في نفسي: (سيكون الجو أفضل، وسأترك العاصفة تمر، فاليوم قد سكب اللبن، ويبدو أن الجنرالات في مزاج سيئ! وكنت متجهاً إلى الباب عندما ظهر ماركوف وهو رجل كما كان، بشعره الأبيض وعينيه الصغيرتين الماكرتين؛ وكان يرتدي ثوباً قذراً وحبل حزام. تلعثمت قائلاً أنني جئت نيابة عن إميليان إيفانوفيتش، وأنني بحاجة إلى أربعين روبل... لم أكمل، كنت أرى في عينيه أنها فرصة ضائعة. فأجابني: "كلا، ليس لديّ مال، ولكن هل لديك تعهد؟ فشرحت لماركوف أنه ليس معي تعهد، ولكن أرسلني إليه إميليان إيفانوفيتش؛ وباختصار قلت ما كان يجب أن يقال. فأجابني بعد أن أصغى إليّ كل الإصغاء: كلا، وما الذي يهمني من إميليان إيفانوفيتش؟ لم أحصل على المال ". - "هيا،" فكرت، "هكذا هو الحال، هكذا هو الحال دائماً؛ لقد شككت في ذلك، لقد أحسست به. بالتأكيد يا فارينكا، كنت أود لو أن الأرض انفتحت تحت قدمي؛ كنت أتجمد من البرد، كانت ساقاي مخدرتين، وشعرت بوخز على طول عمودي الفقري. نظرت إلى ماركوف الذي

كان يحدق في وجهي: وبدا لي أنه يقول: (انصرف يا صديقي، لا شيء لك هنا)؛ لقد فهمت هذه النظرة جيداً لدرجة أنني كنت سأتردد في أي ظروف أخرى في إطالة زيارتي. - " (هذا ما سألني إياه يا ماتوتشكا!) ففتحت فمي حتى لا أقف مكتوف اليدين ولا أقول شيئاً، ولكنه رفض أن يسمعني: (لا) قاطعني قائلاً: (لا) ليس لدي مال؛ ولو كان لدي مال لكان ذلك من دواعي سروري. أصررت بكل ما أوتيت من قوة: "كما ترى، أنا لا أطلب منك مبلغاً كبيراً، سأسدد لك المبلغ، ستدفع لي في الموعد المحدد، أو حتى قبله، خذ أي فائدة تريد، تأكد من أنني سأدفع لك...". في تلك اللحظة، يا ماتوتشكا، كنت أفكر فيك، أتذكر كل مصائبك وكل احتياجاتك، أفكر في نصف الراتب الذي عليك. وتابع ماركوف قائلاً: "ما الذي يهمني من الفائدة!" وتابع ماركوف: "لو أنك فقط أحضرت لي تعهداً! ولكن، إلى جانب ذلك، ليس لدي أي مال، أقسم بالله؛ وإلا لكان من دواعي سروري. لقد تجرأ على أخذ الله كشاهد له مرة أخرى، قاطع الطريق! بعد ذلك يا عزيزي، لا أتذكر حتى كيف خرجت من المكتب، وكيف عبرت منطقة فيبورغ، وكيف وصلت إلى جسر القيامة. كنت متعباً جداً ومتجمداً من البرد، ولم أصل إلى المكتب حتى الساعة العاشرة. وبما أنني كنت مغطى بالوحل فقد أردت أن أرخي شعري قليلاً، لكن سنيجريف، الموظف، لم يسمح لي: "هذا غير ممكن يا بارين"، قال لي: ستلحق الضرر بالفرشاة، التي هي جزء من أثاث الدولة. هكذا هم الآن يا ماتوتشكا، أي أنني بالنسبة لهؤلاء السادة أقل من ممسحة يمسحون عليها أقدامهم، أتعرف ما الذي يقتلني يا فارينكا؟ - إنه ليس المال، بل كل متاعب الحياة، وكل الهمسات، والابتسامات الخفيفة، والكلمات الصغيرة اللاذعة. قد يصادف أن يلاحظني فخامته - يا ماتوتشكا، لقد انتهت أيامي الجميلة! اليوم

أعيد قراءة كل رسائلك؛ إنه لأمر محزن يا ماتوتشكا! الوداع يا عزيزي؛ ليحفظك الرب!

السيد ديفوشكين.

إضافة - فارينكا، أردت أن أستخدم نبرة تراجيدية لأخبرك عن سوء حظي، لكن من الواضح أنني لست في مزاج يسمح لي بالمزاح. أردت أن أسعدك. - سآتي لرؤيتك يا ماتوشكا، سأفعل، سآتي لرؤيتك غداً .

11 أغسطس

فارفارا أليكسييفنا!

عزيزتي ماتوشكا أنا تائه، كلانا تائهان، كلانا معاً، تائهان إلى الأبد. لقد فقدت سمعتي، كرامتي - كل شيء! أنا ضائع، وأنتِ ضائعة أيضًا يا ماتوتشكا؛ أنا وأنتِ ضائعان إلى الأبد! إنهم يضطهدونني يا ماتوشكا، ويحتقرونني، ويسخرون مني، وصاحبة المنزل تقذفني بالشتائم. كم صرخت وصرخت في وجهي اليوم! إنها لا تعاملني باحترام أبدا. في المساء، في الاجتماع الذي عقد في راتزاييف، قرأ أحدهم بصوت عالٍ رسالة كتبتها لك، سقطت مسودتها من جيبي بالصدفة. ماتوتشكا، يا له من كلام مضحك! لقد مزحوا ومزحوا معنا؛ لقد ضحكوا بشدة، الخونة! ذهبت إليهم وأقنعت راتزاييف بالغدر؛ قلت له إنه خائن! فأجابني راتزاييف بأنني أنا الخائن، وأنني كنت مشغولاً بفتوحات مختلفة. قال: أنت كنت تختبئ منا، قال: "أنت لوفليس"؛ والآن الجميع يناديني لوفليس، ليس لي اسم آخر! هل تسمعين يا ملاكي الصغير، هل تسمعين؟ الآن يعرفون كل شيء يعرفونك يا عزيزتي، لا يعرفون شيئاً، لا يعرفون شيئاً على الإطلاق! لكن ماذا! فالدوني نفسه متواطئ معهم. طلبت منه اليوم أن يحضر لي شيئاً من عند الجزار؛ فلم يذهب واكتفى بالإجابة بأنه مشغول. قلت له: "عندما أطلب منك أن تفعل شيئًا، عليك أن تفعله".- فأجابني: "لا، لست مضطرًا إلى ذلك، فأنت لا تدفع لرئيسي في العمل، لذلك لست مضطرًا لإعطائي الأوامر". أغضبتني وقاحة هذا المزهق سيئ الخلق، فوصفته بالأحمق، فأجابني: "أنت أحمق آخر"، فظننت أنه لا بد أنه كان ثملاً حتى يخاطبني بهذه

الوقاحة، فقلت له: "لا بد أنك كنت ثملاً أيها الفلاح! ثم قال: "هل اشتريت لي شرابًا ربما؟ هل لديك أنت نفسك الوسائل لتثمل؟ أنت تطلب صدقة من امرأة، وتتسول عشرة كوبيك... وبارين آخر". هذا كل شيء يا ماتوتشكا، هذا ما وصل إليه الأمر! أنت واعِية للعيش يا فارينكا! أنا أشبه بالمطرود؛ إن حالتي أسوأ من حال متشرد بلا جواز سفر. هذه مآسي فظيعة. - أنا ضائع، ضائع بالتأكيد! ضائع بلا عودة!

م. د.

13 أغسطس.

عزيزي ماكار أليكسييفيتش!

نحن نعاني المصائب تلو المصائب، ولا أعرف ماذا أفعل! ماذا سيحدث لك الآن؟ لقد أحرقت نفسي اليوم بمكواة: لقد أوقعتها على يدي اليسرى، لذلك أصبت بكدمة وحرق في آن واحد. من المستحيل تمامًا بالنسبة لي أن أعمل، وفيدورا مريضة منذ أول أمس. أنا قلقة للغاية. سأرسل لك ثلاثين كوبيك من المال؛ هذا كل ما تبقى لنا، ولكن الله يعلم كم أود أن أساعدك في حاجاتك الحاضرة، إنني حزينة جداً لدرجة أنني أكاد أبكي! الوداع يا صديقي! لو أنك أتيت لزيارتنا اليوم، لكانت زيارتك عزاءً كبيرًا لي.

14 أغسطس.

ماكار أليكسييفيتش!

ما خطبك؟ أنت بالتأكيد لا تخاف الله! ستقودني إلى الجنون بالتأكيد. ألا تخجل من نفسك؟ أنت تخسر نفسك؛ فقط فكر في سمعتك! أنت رجل شريف، ونبيل، ومليء باحترام الذات؛ حسناً، عندما يعرف الجميع الحياة التي تعيشها! ولكنك ستموت من العار! أو لا تشفق على شعرك الأبيض؟ هيا، هل تخاف الله؟ لقد قالت فيدورا إنها لن تساعدك بعد الآن، ولن أعطيك أي مال أيضاً. ما الذي أنزلتني إليه يا ماكار أليكسييفيتش؟ لا بد أنك تظن أنني لا أهتم بسلوكك السيئ! أنت لا تعرف حتى ما أعانيه بسببك! لم أعد أجرؤ حتى على النزول من على السلالم: الجميع يحدق بي ويشيرون إليّ ويقولون أشياء غريبة! - نعم، حتى أنهم يقولون إنني متورطة مع سكير! كم هو مؤلم سماع ذلك! عندما يتم إعادتك إلى العمل، ينظر إليك جميع المستأجرين بازدراء: "ها قد أعدنا هذا الموظف". وأشعر بإهانتك إلى درجة لا تطاق. أقسم أنني سأخرج من هنا. سأحصل على وظيفة في مكان ما كخادمة في مكان ما، سأصبح خادمة في مغسلة، لكنني لن أبقى في هذه الشقة. لقد راسلتك لتأتي لرؤيتي ولم تأتِ. إذن أنت لا تهتم بدموعي ولا بصلواتي يا ماكار أليكسييفيتش! ومن أين حصلت على المال؟ حبًا بالخالق، احذر! أنت تضيع طريقك، أنت تضيع طريقك بإرادتك! و يا له من عار، و يا له من جهل! بالأمس، عندما عدت إلى البيت، رفضت حتى صاحبة البيت أن تفتح لك الباب: لقد قضيت الليلة في الردهة؛ أنا أعرف كل شيء عن ذلك. لو تعلمين فقط كم تألمت عندما سمعت بكل هذا! تعالي لرؤيتي،

ستستمتعين في منزلنا: سنقرأ معاً، وسنتحدث عن الماضي، وستخبرك فيدورا عن رحلاتها. من أجلي يا عزيزتي، لا تدمري نفسك وأنا. أنا أعيش من أجلك أنت فقط، ومن أجلك أنتِ أعيش هنا. وهذا ما أنت عليه الآن! كن رجلاً نبيلاً، حازمًا في الشدائد، وتذكر أن الفقر ليس رذيلة، ثم لماذا اليأس؟ كل هذا سيستمر لفترة من الوقت فقط! بعون الله كل شيء سيصبح كل شيء على ما يرام؛ لكن الآن اكبح جماح نفسك. سأرسل لك عشرين كوبيكًا، اشترِ لنفسك بعض التبغ أو أي شيء تريده؛ لكن، بالله عليك، لا تسيء استخدام المال. تعال لرؤيتنا، يجب عليك ذلك بالتأكيد. قد تشعر بالخجل كما في السابق، لكن تجاوز الأمر؛ إنه خجل زائف. كل ما عليك فعله هو أن تأتي بتوبة صادقة. ضع رجاءك في الله. سوف يرتب كل شيء للأفضل.

ف.د.

19 أغسطس.

فارفارا ألكسيفنا،

ماتوتشكا! أنا خجلان، يا ابن عرس الصغير، فارفارا ألكسيفنا، أنا خجلان تمامًا. إلى جانب ذلك، ما المميز في هذا المكان، ماتوتشكا؟ لماذا لا تبتهج قليلاً؟ أنا لم أعد أفكر حتى في نعلي بعد الآن، لأن النعال لا تعني شيئًا؛ فهي دائمًا مجرد نعال بسيطة وحقيرة وقذرة. والأحذية نفسها لا تعني شيئًا أيضًا! - لقد كان الفلاسفة اليونانيون يستغنون عنها؛ فلماذا يجب على بقيتنا أن نولي كل هذه الأهمية لشيء لا يستحقها؟ لماذا يؤذيني، لماذا يحتقرني في هذه الحالة؟ مهلاً يا ماتوشكا، ماتوشكا، لقد كتبتِ بعض الأشياء الجميلة! ولكن قل لفيدورا إنها امرأة مزعجة متذمرة، مضطربة، وقحة، وفوق ذلك غبية غباء لا يوصف! أما بالنسبة لشعري الأبيض، فأنت هنا مرة أخرى مخطئة يا عزيزتي، فأنا لست عجوزاً كما تظنين. إميليان يرسل تحياته. لقد كتبت لي أنك آسفة وبكيت؛ وأنا أيضاً كتبت لك أنني آسف وبكيت. وأخيراً، أتمنى لكِ الصحة والسعادة التامة؛ وأنا، أتمنى لكِ الصحة والسعادة أيضاً، سأبقى، يا ملاكي الصغير.

صديقك ماكار ديفوكين.

21 أغسطس

آنستي وصديقتي العزيزة فارفارا أليكسيفنا

يا ماتوتشكا! أشعر بالذنب، أشعر أنني مخطئ في حقك؛ نعم، وفي رأيي أنه لا فائدة يا ماتوتشكا من شعوري بكل ذلك مهما قلت، فقد كنت أشعر بكل ذلك قبل خطئي؛ ولكنني هنا استسلمت للإحباط، واستسلمت رغم علمي بأنني مخطئ. ماتوتشكا، أنا لست شريراً أو قاسياً؛ ولكي أمزق قلبك الصغير يا حمامتي يجب أن تكوني أكثر ولا أقل من نمر متعطش للدماء؛ ولكنني كما تعلمين قلب خروف، وكما تعلمين لست متعطشاً للدماء بطبيعتي؛ ولذلك يا ملاكي الصغير، لست مذنباً في خطئي بأي حال من الأحوال، أكثر مما هو مذنب قلبي وأفكاري؛ لذلك لا أعرف ما هو المذنب. هذا شيء غامض جدا، ماتوتشكا! لقد أرسلت إليّ ثلاثين كوبيك من المال ثم جريفناس، فجزعت حين رأيت المال يأتي من يتيم. حسناً، كيف تصرفت حينها؟ بدون تأنيب ضمير، مثل قاطع طريق، كنت أسرقك أنت، أيها اليتيمة! ثم كنت محطمة المعنويات، ماتوتشكا، أي أنني في البداية، كنت أشعر رغمًا عن نفسي بأنني لا أصلح لشيء، وأنني لست أفضل من نعل، فاعتقدت أنه من غير اللائق أن أنسب أدنى قيمة لنفسي، وبدأت، على العكس، أفكر في نفسي كشيء غير لائق، وإلى حد ما، غير لائق.

حسناً، بمجرد أن فقدت احترامي لذاتي، وبمجرد أن لم أعد أعترف بأي خصال حميدة، بأي ميزة، كان لا بد لي من الاستسلام، كان السقوط حتمياً! شاء القدر أن

يكون الأمر على هذا النحو، ولم يكن ذلك خطئي. في البداية خرجت لاستنشاق بعض الهواء النقي. ثم حدثت مجموعة من الظروف: كانت الطبيعة كئيبة جداً، وكان الجو بارداً، وكانت السماء تمطر؛ ثم اعترض طريقي إميليان. لقد رهن كل ما يملكه يا فارينكا، ورهن كل ما يملك، ورهن كل ما يملك، وعندما قابلته لم يكن قد أكل منذ يومين، فأراد أن يرهن شيئاً يستحيل رهنه لأنه لا يمكن أن ترهنه لأنك لا تستطيع أن تقرضه. حسنًا يا فارينكا، لقد استسلمت بدافع الشفقة أكثر من أي شيء آخر. لقد أحرقت يدك، ستجوع قريباً، وستجوع بعد قليل، وتكتب لي لتشتري تبغاً. هذا هو المكان الذي أخطأت فيه يا ماتوتشكا أنا وهو، كم بكينا معاً تحدثنا عنك. إنه رجل جيد جدًا، رجل ممتاز، ورجل حساس جدًا. أنا عن نفسي يا ماتوتشكا أشعر بكل ذلك، ولأنني أشعر به جيداً فإن مثل هذه الأشياء تحدث لي دائماً. أنا أعرف ما أدين لك به يا عزيزتي! بمعرفتي لك، تعلمت أن أعرف نفسي بشكل أفضل، وبدأت أحبك. قبلَكِ، يا ملاكي الصغير، كنتُ وحيدا ونائما؛ وبمعنى أدقّ، لم أكن أعيش. كان أعدائي يقولون إن مظهري الخارجي غير لائق؛ كانوا يحتقرونني، فصرت أحتقر نفسي؛ قالوا إنني غبي، فصرت أصدق ذلك. لكن بمجرد ظهورك لي، أضاءت حياتي. طوال حياتي المظلمة؛ لقد استنار قلبي وروحي، ووجدت السلام الداخلي، وأدركت أنني لست أقل من الآخرين، وأنني وإن لم يكن لي شيء مميز، وإن كان ينقصني البريق والتألق والوجاهة، فأنا مع ذلك رجل، رجل في القلب والأفكار. حسناً، والآن، وقد شعرت بالاضطهاد، وأذلني القدر، فقد توقفت عن الإيمان بكرامتي الشخصية، وضعفت معنوياتي تحت وطأة المحنة. والآن بعد أن عرفت كل شيء يا ماتوتشكا، أتوسل إليك بدموعي أن لا تسأليني المزيد من الأسئلة في هذا

الموضوع، لأن قلبي ممزق، وأنا أتألم ألماً مريراً. أؤكد لك احترامي يا ماتوتشكا، وسأظل.
المخلص لك.

ماكار ديفوكين

3 سبتمبر:

تركت رسالتي الأخيرة غير مكتملة، يا ماكار أليكسييفيتش، لأنني وجدت صعوبة في الكتابة. هناك أوقات يسعدني فيها أن أكون وحيدة تماماً، وأن أحزن في أوقات فراغي، وأن أسلم نفسي للحزن، وهذه الأوقات أصبحت أكثر فأكثر تواتراً. هناك شيء لا يمكن تفسيره بالنسبة لي في ذكرياتي، شيء يستحوذ عليَّ بقوة لدرجة أنني أظل لعدة ساعات غير مبالية بكل ما حولي، غافلة عن كل الأشياء الحاضرة. ولا يوجد في حياتي الحاضرة أي انطباع - سار أو مؤلم أو محزن - لا أجد له نظيراً في ماضيَّ، وخاصة في طفولتي، طفولتي السعيدة! لكن مثل هذه اللحظات تترك في نفسي دائمًا شعورًا بعدم الارتياح. أشعر بالضعف، وأحلام اليقظة تتعبني، وبصرف النظر عن ذلك تمامًا، فإن صحتي تزداد سوءًا. لكن هذا الصباح، أنعشني الطقس الصافي والمشرق الذي نادراً ما نحظى به هنا في الخريف، وأنا أتطلع إلى اليوم. إنه الخريف هنا بالفعل! كم كنت أحب هذا الفصل في الريف! على الرغم من أنني كنت طفلة فقط في ذلك الوقت، إلا أنني شعرت بالفعل بأشياء كثيرة. أتذكر أنه كانت هناك بحيرة على مرمى حجر من منزلنا، عند سفح جبل. كانت هذه البحيرة - وأعتقد أنني ما زلت أستطيع رؤيتها - واسعة جدًا، ناعمة جدًا، وكان لها صفاء وشفافية البلور. إذا كان المساء هادئاً، كانت البحيرة هادئة؛ لم يكن هناك أي حركة في أوراق الأشجار التي تنمو على شواطئها؛ كانت المياه ساكنة كالمرآة. باردة، باردة. ويسقط الندى على العشب، وتبدأ النيران تتوهج في البساتين على الشاطئ، وتعود الماشية إلى الحظائر؛ - ثم أخرج من البيت دون صوت لأذهب لأرى بحيرتي، وأنسى نفسي وأنا أتأملها. على الشاطئ، أشعل الصيادون حزمة من الحطب، ويسلط الضوء بعيداً

فوق الماء. يرتفع القمر، ويطير طائر خائف، أو تهتز قصبة في النسيم، أو تغرغر سمكة في الماء، ويعلو الهواء رنيناً بحيث يمكنك سماع كل شيء. فوق البحيرة الزرقاء السوداء يرتفع بخار أبيض خفيف وشفاف. تزداد المسافة قتامة؛ هناك يبدو كل شيء غارقاً في الضباب، ولكن هنا يبرز كل شيء بوضوح ووضوح غير عادي - الزورق والشاطئ والجزر؛ - برميل مهجور منسي بالقرب من الشاطئ يطفو برفق على الماء؛ غصن صغير من شجرة وارفة بأوراقه الصفراء يتشابك في قصبة؛ - نورس متأخر يقلع ويغرق في الماء البارد، ثم يطير بعيداً ويضيع في الضباب. - لم أكن أتعب أبدًا من النظر والاستماع - كنت أشعر بسعادة كبيرة! وكنت لا أزال طفلة، طفلة!... كنت أحب الخريف كثيراً - في أواخر الفصل، عندما يكون القمح قد بدأ حصاده وانتهت كل الأعمال، عندما تبدأ اليقظة في الريف ويتطلع الجميع إلى الشتاء. عندئذ يتخذ كل شيء لوناً أكثر قتامة؛ فالسماء مغطاة بالغيوم، والأوراق الصفراء تتراكم لتشكل مسارات على حافة الغابة العارية؛ وهذه الأخيرة تأخذ لوناً أزرق مائلاً إلى السواد، خاصة في المساء، عندما يتساقط الضباب الرطب الذي تبدو الأشجار من خلاله كالعمالقة، كأشباح وحشية مخيفة. في بعض الأحيان، عندما كنت أذهب في نزهة، كنت أسمح لنفسي أن أتجاوز الآخرين؛ ثم أدركت أنني قد تُركت خلفي، وأنه لم يعد هناك أحد بجانبي، فأسرع في السير مع شعور بالقلق. كنت أرتجف مثل ورقة الشجر: "ماذا لو كان هناك كائن رهيب يراقبني مختبئاً في جوف هذه الشجرة؟ وفي هذه الأثناء هبت الريح في الغابة تملأها بأنينها وآهاتها، وتنتزع سحابة من الأوراق من الأغصان الذابلة وتلفها في الهواء؛ وتبعها سرب من الطيور طويل عريض حتى أظلمت السماء كلها بصراخها الوحشي الثاقب. ففزعت، ثم خيل إليّ أني سمعت أحداً - صوتاً بشرياً - يهمس إليّ: (اركضي، اركضي يا طفلة، لا تتريثي؛ سيكون الأمر

فظيعاً هنا فيما بعد، اركضي يا طفلة! - استولى عليّ الخوف، وركضت بأسرع ما يمكنني لالتقاط أنفاسي. وصلت إلى المنزل وأنا ألهث. كان هناك صخب صاخب مبهج في البيت، وكان كل الأطفال قد أوكلت إليهم مهامهم: لقد أجبرنا على تقشير البازلاء أو الخشخاش. كان الحطب الرطب يفور في الموقد؛ وكانت أمي تنظر إلينا بمرح ونحن نعمل؛ وكانت خادمتي العجوز أوليانا تتحدث عن الأيام الخوالي أو تروي قصصًا مخيفة عن الساحرات والأشباح. تجمّعنا نحن الفتيات الصغيرات معًا، وكانت الابتسامة تعلو وجوهنا جميعًا، وفجأة ساد الصمت بيننا... اسمعوا، كان الصوت كأن أحدا يطرق الباب - لم يكن شيئًا من هذا القبيل؛ ما أحدث الضجيج هو عجلة فرولوفنا العجوز التي كانت تغزل. كنا نضحك! ولكن بعد ذلك، في الليل، أبقانا الخوف مستيقظين؛ كانت تراودنا أحلام رهيبة. أحيانًا كنت أستيقظ خائفة من الحركة وأرتجف تحت البطانية حتى الفجر. في الصباح كنت أستيقظ منتعشة كالزهرة. كنت أنظر من النافذة؛ كان الريف كله متجمداً؛ وكان الصقيع الخريفي الرقيق يتدلى من الأغصان العارية؛ وكان الجليد الرقيق كغطاء الورق يغطي البحيرة التي يتصاعد فوقها بخار أبيض؛ وكانت الطيور تنادي بفرح. كانت الشمس مشرقة، وكانت أشعتها الساطعة تحطم طبقة الجليد الرقيقة كالزجاج. طقس صافٍ ومبهج وهادئ! نجلس جميعًا أمام السماور؛ يأتي كلبنا الأسود بولكان الذي كان يتجمد من البرد خلال الليل وينظر من النافذة ويحيينا وهو يهز ذيله. يمر مزهيك على حصان قوي أمام نوافذنا وهو في طريقه إلى الحطب لتخزين الوقود. يسود الارتياح والبهجة العامة. لقد حصدنا الكثير من القمح، والشمس تزيّن أحجار الطاحونة الكبيرة المغطاة بالحشائش؛ إنه منظر يبعث في النفس البهجة! والجميع هادئون، والجميع سعداء؛ لقد كانت سنة جيدة للجميع؛ الجميع يعلمون أنهم سيحصلون على الخبز

في الشتاء؛ والمزارع متأكد من أن زوجته وأولاده لن يجوعوا؛ وأيضًا، في المساء، لا تتوقف الفتيات الصغيرات عن الغناء والرقص؛ وأيضًا، في يوم الرب، الجميع يصلون بدموع الشكر في بيت الله! آه، كم كانت طفولتي سعيدة! لقد حملتني ذكرياتي الآن بعيدًا وأنا أبكي كالأطفال. كل أشياء الأمس حية جداً في ذاكرتي، كل الماضي مشرق جداً، بينما الحاضر مضطرب جداً، غامض جداً! كيف سينتهي كل شيء؟ ماذا ستكون نهاية كل شيء؟ أتعلم، أنا مقتنعة، متأكدة من أنني سأموت هذا الخريف. أنا مريضة، مريضة جداً. كثيرًا ما أفكر أنني سأموت، لكنني لا أريد أن أموت هكذا - أن أدفن هنا. ربما سأضطر إلى الذهاب إلى الفراش مرة أخرى، كما فعلت في الربيع الماضي؛ فأنا ما زلت أشعر بآثار المرض الذي أصابني آنذاك. على سبيل المثال، أنا مريضة جدًا في الوقت الحالي. خرجت فيدورا طوال اليوم وأنا في المنزل بمفردي. يبدو لي دائمًا أن شخصًا آخر في الغرفة معي، أن شخصًا ما يتحدث معي؛ خاصة عندما أغرق في بعض التأملات أستيقظ فجأة خائفة. هذا هو السبب في أنني كتبت لك رسالة طويلة كهذه؛ عندما أكتب، تحدث أشياء. وداعًا؛ لا أستطيع أن أستمر لأن الوقت والورق ينفدان مني أيضًا. لم يتبق لي سوى روبل واحد من المال الذي كسبته من ثيابي وقبعتي. لقد أعطيتِ لصاحبة المنزل ما يساوي روبلين من المال؛ هذا جيد جداً؛. وداعاً، لم أعد أطيق أكثر من ذلك؛ لا أفهم كيف أصبحت ضعيفة إلى هذا الحد؛ إن أقل شغل يتعبني؛ دع العمل يأتيني - كيف يمكنني أن أعمل؟ هذا ما يقتلني.

ف.د.

5 سبتمبر.

عزيزتي فارينكا!، يا ملاكي الصغير، لقد كان لدي اليوم عدة انطباعات. أولاً وقبل كل شيء، كنت أشعر بالصداع طوال اليوم. ولكي أستنشق بعض الهواء النقي، ذهبت في نزهة على طول نهر الفونتانكا. كانت أمسية مظلمة ورطبة! وبحلول الساعة الخامسة كان الجو قد بدأ يضيء - تمامًا مثل الآن! لم تكن السماء تمطر، لكنها كانت ضبابية مثل المطر الجيد. شكلت الغيوم بقعًا طويلة وعريضة في السماء. كان هناك الكثير من الناس يتجولون على رصيف الميناء، وكما لو كان ذلك مقصوداً، كانوا جميعاً يبدون في حالة مزرية وحزينة، موجيكيون سكارى، ونساء فنلنديات معسكرات بأحذية طويلة ورؤوس عارية، وعمال، وسائقو عربات، وموظفون في مكان ما من العمل، وأطفال، وصانع أقفال نحيف مريض، ووجهه كالح، يرتدي ثوباً مخططاً وفي يده قفل، وجندي متقاعد، ورجل طوله ستة أقدام، ينتظر أن يمر به تاجر ليبيعه سكيناً أو خاتماً برونزياً صغيراً: -- كان هذا هو الجمهور. في هذه الساعة، من الواضح أنه لا يمكن أن يكون هناك أي شخص آخر. فونتانكا قناة صالحة للملاحة! هناك العديد من القوارب لدرجة أنه من الصعب فهم مكان تواجدهم جميعًا. على الجسور هناك نساء يبعن خبز الزنجبيل الفاسد والتفاح الفاسد - إنهن مبللات جدًا، وقذرات جدًا! من الممل السير على طول نهر الفونتانكا! لديك جرانيت مبلل تحت قدميك، ومنازل طويلة سوداء مليئة بالدخان بجانبك، وضباب أسفل منك، وضباب فوقك مرة أخرى. عندما انعطفتُ إلى شارع البازلاء، كان الظلام قد حلّ بالفعل وبدأ الغاز يضيء. لم أكن قد ذهبت إلى شارع "رو أوكس بوا" منذ فترة طويلة - لم تتح لي الفرصة. إنه شارع صاخب! هناك بوتيكات جميلة

ومتاجر فاخرة؛ الكثير من البضائع الرائعة معروضة خلف النوافذ، أقمشة باهظة الثمن، زهور، كل أنواع القبعات ذات الأشرطة. تظن أن كل شيء هناك للعرض، للزينة، - لكنها ليست كذلك! - حسنًا، لا: هناك أشخاص يشترون كل هذه الأشياء ويقدمونها كهدايا لزوجاتهم. شارع غني! يعيش الكثير من الخبازين الألمان في شارع "رو أوكس بوا"، ولا بد أنهم أناس مرتاحون للغاية. الكثير من السيارات تمر كل دقيقة! كيف يمكن للرصيف أن يتحمل كل هذا؟ عربات فخمة ونوافذ عاكسة وديكورات داخلية مخملية وحريرية وخدم أرستقراطيون بكتافهم وسيوفهم على جوانبهم. نظرت إلى جميع العربات ورأيت دائماً سيدات في كامل أناقتهم، ربما أميرات وكونتيسات. لا شك أنهم جميعاً في تلك الساعة كانوا جميعاً ذاهبين إلى حفلات راقصة أو حفلات. كنت أشعر بالفضول لرؤية أميرة عن قرب، وبصفة عامة سيدة من سيدات المجتمع الراقي؛ لا بد أن تكون جميلة جداً؛ لم أر واحدة منهن قط، إلا كما هو الحال الآن، من خلال نوافذ عرباتهن. فكرت فيك حينها. -- آه، يا عزيزتي! الآن عندما أفكر فيكِ، فإنني أفكر فيك بحزن شديد! لماذا يا فارينكا، هل أنتِ تعيسة جداً؟ !يا ملاكي الصغير ولكن ما الذي يجعلك أقل قيمة منهم جميعاً؟ أنتِ طيبة وجميلة ومثقفة؛ لماذا هذا المصير المحزن الذي حل بكِ؟ كيف يمكن لرجل صالح أن يجد نفسه في شقاء، وآخر يجد السعادة من تلقاء نفسه؟ أعرف، أعرف يا ماتوتشكا أنه من الخطأ أن تفكر في مثل هذه الأفكار، وأن هذا من سوء الأدب؛ ولكن، بصراحة، لماذا يكون هذا مقدرًا له السعادة من رحم أمه، بينما يأتي الآخر إلى الدنيا في تكية؟ غالبًا ما يحدث أن يكون إيفانوشكا الأحمق مفضلًا من قبل القدر. تقول: (أنت يا إيفانوشكا الأحمق تنبش في خزائن جدك وتشرب وتأكل وتتلذذ، وأنت يا هذا تنظف بطنك، هذا نصيبك يا صديقي! إنها خطيئة يا ماتوتشكا

أن تظن ذلك، ولكن دون أن تقصد، فالخطيئة تتسلل إلى النفس. يجب أن تركبي أنت أيضًا في عربة يا عزيزتي ابن عرس الصغير. ليس أمثالنا نحن، بل الجنرالات الذين يجب أن يتوسلوا إليك بنظرة لطيفة منك. بدلًا من ثوب جينجان القديم، يجب أن ترتدي الحرير والذهب. لا يجب أن تكوني نحيفة وهزيلة كما أنتِ الآن، بل يجب أن تكوني نضرة وممتلئة كقوام قصب السكر الصغير. وعندئذ كنت سأكون سعيداً، لمجرد أنني أستطيع أن أراك من الشارع من خلال النوافذ المضيئة الساطعة، لمجرد أنني أستطيع أن أرى ظلك؛ وكان مجرد التفكير في أنك سعيدة ومبتهجة هناك، يا عصفورتي الصغيرة الجميلة، سيجعلني سعيداً أيضاً. أما الآن! إنه لأمر هين أن يفقدك الأشرار الذين أضاعوكِ، وأن يهينك بعض الأوغاد والفاجرين. ولأنه يلبس لباس سيد تافه، ولأنه يرمقك بزمام من ذهب في وجهك، ذلك الزميل الوقح، فكل شيء مباح له، وعلينا أن نستمع في تعال إلى كلماته غير اللائقة! ولكن لماذا كل هذا؟ حسناً، لأنك يتيمة، لأنك يتيمة لا حول لك ولا قوة، لأنك لا تملكين صديقاً قوياً يحميك. وأي نوع من الناس هؤلاء الذين يتلاعبون بإهانة يتيم؟ إنهم ليسوا رجالاً، إنهم مخدرات، إنهم مجرد مخدرات، كائنات كما هم، يبدو أنهم موجودون، ولكنهم في الواقع غير موجودين، هذا هو رأيي فيهم! وفي رأيي يا عزيزي، أن عازف الأرغن الذي التقيته اليوم في شارع "رو أو بويس" يستحق احتراماً أكثر منهم. إنه يمشي طوال النهار، ويتعب نفسه حتى التعب، وينتظر من جهة أخرى أن يتكسب قوت يومه، ولكنه من جهة أخرى سيد نفسه، فهو يكسب رزقه بنفسه. إنه لا يريد أن يتسول الصدقات، إنه يكدح من أجل إرضاء الناس، مثل آلة مركبة: - هناك يقول: إنني أبذل قصارى جهدي لأشبع. صحيح أنه شحاذ، لكنه شحاذ نبيل؛ متعب، بارد، لا يتوقف عن العمل لأنه يعمل بطريقته. وهناك

الكثير من الناس الشرفاء، ماتوتشكا، الذين رغم أنهم لا يتقاضون الكثير من المال مقابل جهودهم وخدماتهم، إلا أنهم لا ينحنون لأحد ولا يطلبون خبزهم من أحد. أنا نفسي بالضبط مثل عازف الأرغن هذا، أي أنني لست مثله على الإطلاق؛ ولكنني أشبهه من وجهة نظر أعلى، لأنني مثله أعمل بقدر ما أستطيع، وأبذل ما أستطيع. إنه ليس بالكثير، لكن لا يمكنك أن تتوقع المستحيل. إذا كنت قد بدأت الحديث عن هذا الموسيقي المتجول، ماتوتشكا، فلأنني اليوم أتيحت لي الفرصة لأختبر فقري مرتين. توقفت أمام عازف الأرغن. خطرت لي أفكار أردت أن أصرف نفسي عنها. كان بجانبي بعض الحوذيين، وفتاة صغيرة قذرة. ولاحظت صبيا صغيرا ربما كان في العاشرة من عمره؛ وكان من الممكن أن يكون جميلا لولا تعابير وجهه المريضة المتألمة؛ ولم يكن عليه سوى قميص رديء ولا أدري ما هو الثوب الآخر، وأظنه كان في عرسه؛ وكان يصغي وفمه مفتوحا على مصراعيه مأخوذا بالموسيقى كما هو حال من هم في مثل سنه. وبينما كان يراقب رقص الدمى الألمانية كانت ذراعاه وساقاه مخدرتين، وكان يرتجف ويقضم طرف كمه. لاحظت أنه كان يحمل ورقة صغيرة في يده. ومر رجل محترم فألقى قطعة نقدية صغيرة إلى عازف الأرغن، فسقطت القطعة النقدية مباشرة في صندوق الآلة، حيث رأينا رجلاً فرنسياً يرقص مع بعض السيدات. وعند قعقعة العملة المعدنية جفل الطفل فجأة، ونظر حوله بخجل، ولا شك أنه ظن أنني أنا الذي أعطيت النقود. وجاءني مهرولاً وقال: سأعطيك النقود. ركض نحوي وبيد مرتعشة ناولني ورقته وهو يتلعثم: "رسالة! ففتحت الورقة وقرأت الدعاء المعروف: (أيها المحسنون، أنا أحتضر، أطفالي الثلاثة جائعون، تعالوا وساعدونا الآن، وعندما أموت أيها المحسنون، لن أنساكم في العالم الآخر، أنتم الذين لم تنسوا صغاري الأعزاء هنا في الدنيا. لقد كان الأمر واضحاً، وأنا أراه كل

يوم، ولكن ما الذي يمكنني أن أفعله لهم؟ باختصار، لم أعط الطفل شيئاً. . ومع ذلك شعرت بالأسف الشديد عليه! كان طفلاً صغيراً مسكيناً مصاباً بكدمات من البرد، وربما كان يموت من الجوع، لم يكن يكذب، أنا متأكد من أنه لم يكن كذلك: أنا أعرف كل شيء عن ذلك. ولكن هناك شيء واحد يثير اشمئزازي: لماذا ترسل هذه الأمهات السيئات، اللاتي لا يبالين بصحة أطفالهن، أطفالهن في مثل هذا الطقس شبه عراة ليتسولوا الصدقة في الطريق العام؟ ربما هي امرأة غبية ضعيفة الشخصية؛ أو ربما هي مريضة حقًا ولا يوجد من يعتني بها. على أي حال، ربما هي مجرد وغدة ترسل طفلاً جائعاً يعاني من الجوع عمداً لكي تخدع الناس وتخدعهم وتبعث به إلى الناس في خطر أن يمرض. وما هو نوع التعليم الذي يتلقاه الطفل الصغير المسكين الذي يُعطى هذا العمل؟ إنه يتعلم فقط أن يكره؛ يذهب ويركض ويلتمس. الناس يمضون في طريقهم، ليس لديهم وقت. قلوبهم من حجر وكلماتهم قاسية. ! تراجعوا أنقذ نفسك! ارحل أيها الوغد! - هذا ما يسمع الجميع يقولونه، فتغدو روحه مريرة، وعبثاً يرتجف في البرد، الطفل المسكين الخائف، مثل طائر صغير سقط من عشه. يداه وقدماه متجمدتان، لا يستطيع التنفس. انظروا، إنه يسعل، لقد اقتربت النهاية، والمرض مثل زاحف كريه يزحف نحو صدره: لقد تم تحديده بالفعل للموت في زاوية قذرة، دون رعاية، دون مساعدة - هذه هي حياته كلها! آه يا فارينكا، إنه لأمر مؤلم أن تسمع تلك الكلمات "من أجل المسيح" وأن تمضي دون أن تعطي شيئًا، قائلاً: "الله سيعطيك". بعض كلمات "من أجل المسيح" لا تفعل شيئًا (وهناك أنواع مختلفة يا ماتوتشكا)، وبعضها يرددها البعض بصوت بطيء متثاقل بنبرات متعلمة، تكشف عن عادة التسول الطويلة؛ وفي هذه الحالة لا يزال عدم العطاء مؤلمًا: فأنت تظن أنك تتعامل مع متسول محترف قد درّبته

الخبرة منذ زمن طويل ضد الرفض. ولكن هذا النداء من أجل الإحسان يصدر أحياناً بلهجة غير معتادة وقاسية ورهيبة. فاليوم، على سبيل المثال، عندما أخذت الورقة من الصبي الصغير، قال لي شخص كان واقفًا إلى الحائط ولم يكن يطلب صدقة من الجميع: "أعطني جروشًا يا بارين حبًا بالمسيح! والأغنياء لا يعجبهم أن يشكو الفقراء الشياطين بصوت عالٍ من سوء حظهم: "إنهم يزعجوننا، إنهم مصدر إزعاج"، كما يقولون. نعم، الفقر دائمًا ما يكون مصدر إزعاج: أنين الجائعين يبقي الجائعين مستيقظين! والحق أقول لك يا عزيزي، لقد تعهدت أن أصف لك كل هذا لأخفف عنك بعض الشيء، ولكنني تعهدت أن أعطيك عينة من الأسلوب الجميل لأعمالي. ستوافقينني بالتأكيد يا ماتوتشكا على أن أسلوبي يتطور منذ بعض الوقت. ولكنني الآن قد عانيت كثيراً من الحزن لدرجة أنني بدأت أتعاطف مع أفكاري من أعماق نفسي، وعلى الرغم من أنني أعرف نفسي أن هذا التعاطف لن يفيدني بشيء، إلا أنه لا يزال وسيلة لي لإنصاف نفسي. والحقيقة يا عزيزي أنني في كثير من الأحيان، وبدون سبب على الإطلاق، أقلل من قيمة نفسي، ولا أقدر نفسي كغرور، وأحكم على نفسي بأنها دون مستوى ما أنا عليه، وبعبارة أخرى قد يكون ذلك لأنني أنا نفسي أتعرض للمضايقة والتحرش مثل ذلك الصبي الصغير المسكين الذي طلب مني صدقة. والآن سأتحدث إليك بالأرقام، على سبيل المجاز، يا ماتوتشكا؛ اسمعني: في الصباح، وأنا في طريقي إلى مكتبي، أتأمل المدينة أحياناً، يا عزيزتي، وهي تستيقظ، وترتفع، وتدخن، وتفور، وتصدر ضجيجها،- وأومأتُ بإيماءة من الاستسلام ومضيت في طريقي، أهدأ من الماء، وأخفض من العشب. ولكن انظر الآن إلى ما يدور في تلك البيوت الكبيرة السوداء المدخنة في العاصمة، انظر إليها ثم احكم بنفسك ما إذا كنت على حق في أن أحط من قدر نفسي أكثر من اللازم وأستسلم للإحباط

الذي لا يستحق. لاحظ، يا فارينكا، أنني أتكلم مجازاً، ولا تأخذ كلامي حرفياً. حسنًا، لنرى ماذا يوجد في هذه البيوت. هناك، في زاوية من زوايا الدخان، في بيت رطب لا يقيم فيه إلا فقير، استيقظ عامل من النوم؛ ولكنه ظل طوال الليل يحلم بالأحذية، ورأى في منامه ذلك الجرح الذي أحدثه سهواً في جلده بالأمس، وكأن مثل هذا الهراء يخطر ببال رجل وهو نائم! حسناً، إنه عامل، صانع أحذية: إنه معذور لأنه لا يفكر في شيء سوى عمله. إن أطفاله يصرخون، وزوجته جائعة، وحتى صانعو الأحذية يستيقظون أحياناً هكذا يا عزيزتي. سيظل ذلك لا شيء، ولا يستحق الذكر، ولكن انظر إلى الظروف هنا يا ماتوتشكا: في نفس البيت، في الطابق الأعلى أو الأسفل، في شقة مذهبة في الطابق الأعلى أو الأسفل، ربما حلم شخص ثري جداً بحذاء في الليل أيضاً، لا أقصد نفس الحذاء؛ فالذي رآه في حلمه كان من نوع مختلف، وبطريقة مختلفة، ولكنه كان لا يزال حذاءً، لأنه، بالمعنى الذي أعنيه هنا يا ماتوتشكا، كلنا صناع أحذية. الشيء السيئ هو أنه لا يوجد أحد حول هذا الرجل الغني ليقول في أذنه: "توقف عن التفكير في أشياء كهذه، توقف عن التفكير في نفسك فقط، توقف عن العيش لنفسك فقط! أنت لست صانع أحذية، وأولادك بخير، وزوجتك لا تسأل عن الطعام، انظر حولك، ألا ترى لهمومك شيئاً أنبل من حذائك". هذا ما أردت أن أقوله لك على شكل قصة رمزية يا فارينكا. لعلها فكرة جريئة جداً يا عزيزتي، ولكنها فكرة تخطر لي أحياناً، وتزورني من حين إلى حين، ثم تنفجر من قلبي بكلمات متحمسة رغماً عني، ولذلك لم يكن لي من سبب لأعتبر نفسي غروشاً وأكون خجولاً جداً. وختاماً يا ماتوتشكا، لعلك تظنين أني أفتري عليك أبداً، أو أني أكتب تحت تأثير الوسواس، أو أني أخذت هذا من كتاب؟ لا يا ماتوتشكا، لا تنخدعي - ليس الأمر كذلك: فأنا أمقت الافتراء، ولست من المهووسين بالوسواس ولم أقرأ

شيئاً في أي كتاب - هذه هي الحقيقة! عدت إلى البيت في مزاج حزين جداً، وجلست أمام طاولتي وسخنت إبريق الشاي، واستعددت لشرب كوب أو كوبين صغيرين من الشاي. وفجأة رأيت جورتشكوف، الرجل المسكين الذي يعيش معنا، يدخل غرفتي. كنت قد لاحظت في الصباح أنه كان يحوم دائماً حول المستأجرين وأنه كان يريد أن يضايقني. بالمناسبة يا ماتوتشكا، إن وضعه أسوأ بكثير من وضعي. يجب أن أعتقد ذلك! زوجة وأطفال! - بمعنى آخر، لو كنت مكانه، لا أعرف ماذا كنت سأفعل! حسنا، ها هو ذا جورتشكوف يدخل بيتي؛ فيستقبلني ودمعة صغيرة تتدلى من أهدابه كالعادة؛ وينحني متثاقلاً ولكنه لا يستطيع أن ينطق بكلمة. عرضت عليه كرسياً؛ كان مكسوراً، هذا صحيح، لكن لم يكن هناك غيره. دعوته لتناول الشاي. كان رسميًا جدًا، لكنه في النهاية قبل كوبًا. وأراد أن يشرب الشاي بدون سكر، فطلبت إليه أن يحليه؛ وبعد كثير من المراسم وضع أخيراً أصغر قطعة من السكر في كوبه وأكد لي أن الشاي كان حلواً جداً. آه كم يقلل الفقر من الناس! -"سألته: "حسنًا، ما الأمر يا باتوشكا؟ - "، فأجابتني: "يا ماكار أليكسييفيتش، أشفق عليّ، ساعد عائلة بائسة؛ فزوجتي وأولادي ليس لديهم ما يأكلونه، إنه أمر فظيع بالنسبة لأب!". أردت أن أتكلم، ولكنه قاطعني: "أنا خائف من الجميع هنا يا ماكار أليكسييفيتش"، وتابع: "ليس الأمر أنني خائف، ولكنك تعلم أنني لست مرتاحًا، فكلهم أناس متكبرون ومتغطرسون. وأنا لا أريد أن أزعجك أنت أيضاً يا باتوشكا يا سيدي المحسن، فأنا أعلم أنك أنت أيضاً تعاني من مشاكل، وأعلم أنك لا تستطيع أن تعطي الكثير، ولكن أقرضني ما استطعت. لقد سمحت لنفسي بمخاطبتك لأني أعرف قلبك الطيب، وأعرف أنك أنت نفسك كنت محتاجًا، وأنك حتى الآن تمتحنك الشدائد، وأن قلبك نتيجة لذلك مفتوح للشفقة. اعذرني على جرأتي وعدم لياقتي

في مخاطبتك يا ماكار أليكسييفيتش". -- فأجبته بأنني كنت سأكون سعيداً بمساعدته، ولكنني لا أملك شيئاً، لا شيء على الإطلاق. - قال الزائر: (باتوشكا، يا ماكار أليكسييفيتش) قال الزائر: (أنا لا أطلب منك الكثير، ولكن كما ترى (وقد احمر وجهه) فإن زوجتي وأولادي يتضورون جوعاً؛ فلو أعطيتني فقط ما قل ودلّ! حسناً، لقد استحوذت هذه الكلمات على قلبي. فقلت في نفسي: "ها هو ذا شخص أسوأ حالاً مني! ولكن لم يكن قد بقي معي سوى عشرين كوبيكاً، وقد وجدت ما أحتاج إليه من هذا المال، وكنت أنوي أن أستخدمه غداً في تلبية حاجاتي الملحة - قلت له: (لا يا عزيزي، لا أستطيع) وأخبرته بالسبب. - باتوشكا، ماكار أليكسييفيتش"، أصر غورتشكوف، "أعطني ما تشاء من المال، حتى لو كان عشرة كوبيك فقط. "حسناً، لقد أخرجت قروشاً من درجي وأعطيتها له يا ماتوتشكا؛ إنه عمل جيد دائماً! إنه غير سعيد للغاية! وبدأت أتحدث معه: "ولكن كيف يا باتوتشكا"، سألته: "كيف يا باتوتشكا أن تكون محرجاً إلى هذا الحد، وأنك في مثل هذه الحالة من العوز تشغل غرفة تساوي خمسة روبلات فضية؟ فشرح لي أنه استأجر هذه الغرفة قبل ستة أشهر ودفع ربعها مقدماً؛ ولكن ظروفاً طرأت بعد ذلك أوصلت المسكين إلى آخر المطاف. وكان يأمل أن تكون هذه هي نهاية الأمر. لقد كانت لديه قضية غير سارة، فأنت ترى يا فارينكا أن القانون يستدعيه للمساءلة، فهو يحاكم مع تاجر سرق من الدولة في مشروع تجاري؛ وقد اكتشف الاحتيال، وأقيمت الدعوى على التاجر الذي اتهم بالنصب على جورشكوف في قضيته السيئة، والذي تصادف أن يكون هو الآخر متورطاً في المسألة.

غير أن غورتشكوف في الواقع لم يكن مذنباً إلا بالإهمال والإهمال فقط، وكان ذنبه الوحيد أنه لم يرعَ مصالح الخزانة. لا تزال القضية معلقة منذ عدة سنوات حتى

الآن: لا تزال هناك تهم مختلفة موجهة ضد غورتشكوف. - "قال لي: "أنا بريء، بريء كل البراءة من العار الذي اتهمت به"، وقال لي: "أنا لم أرتكب أي احتيال أو نصب". وقد شوهت هذه القضية سمعته بعض الشيء؛ وقد استبعد من الخدمة، وعلى الرغم من أنه لم يثبت عليه شيء جنائي جوهرياً، إلا أنه ما دام لم يبرئ نفسه تماماً فلا يستطيع أن يستولي على مبلغ كبير من المال يدين به التاجر ويطعن فيه القانون. أنا أعتبر ما يقوله لي صحيحًا، ولكن المحكمة لا تأخذ بقوله. إن القضية معقدة جداً لدرجة أنك لن تستطيع حلها في مائة عام. وما إن يتم حلها حتى تتشابك خيوطها من جديد. أنا مهتمة حقاً بـ"جورشكوف" يا عزيزتي أنا أتعاطف معه فقد أكلت مدخراته كلها، وهو في نهاية المطاف، ومع ذلك فهو مضطر إلى أن يعيش، والآن، في الوقت غير المناسب، لديه طفل - حسناً، هذه نفقات؛ ويمرض ابنه - نفقات أكثر؛ ويموت - نفقات أكثر؛ وزوجته عاجزة، وهو نفسه في حالة صحية سيئة منذ زمن طويل: باختصار، لقد عانى وعانى كثيراً. والأدهى من ذلك أنه يتوقع أن تحال قضيته إلى المحاكمة بعد أيام قليلة ويحكم فيها لصالحه، ويقول إنه لا مجال للشك في ذلك. أنا أشفق عليه، أشفق عليه بشدة، ماتوتشكا! لقد عاملته باحترام إنه رجل خائف، قد أخافه سوء الحظ؛ إنه يبحث عن الحماية! حسناً، لقد أظهرت له بعض الاهتمام حسنًا، وداعًا يا ماتوتشكا، ليكن المسيح معك، وكن بخير. عزيزتي! حين أفكر فيك، تكون ذكراك كالعلاج الذي أضعه على روحي المريضة؛ إنني أتألم من أجلك، ولكن هذا الألم أتحمله بسهولة صديقك المخلص ماكار ديفوكين.

9 أيلول/سبتمبر.

ماتوتشكا، فارفارا ألكسيفنا!

أكتب إليكم وأنا في حالة من الذهول. أنا غارقة تمامًا في حدث فظيع. أشعر بالدوار، أشعر أن كل شيء يدور حولي. يا عزيزتي، ما الذي سأخبرك به الآن! لم أكن أعرف حتى أنه قادم. نعم، أعتقد أنني توقعت ذلك بالفعل؛ لقد كان لدي هاجس بكل هذا؛ لقد أخبرني صوت سري بكل شيء مسبقًا! حتى أنني رأيت مؤخرًا شيئًا مشابهًا في المنام، وهذا ما حدث! - سأخبركم عنه بدون أي أسلوب، لأن الرب سيلهمني. ذهبت إلى المكتب اليوم. جلست وبدأت في الكتابة. لكن يجب أن أخبرك يا ماتوتشكا أنني كنت أكتب بالأمس أيضًا. قال لي ماكار أليكسييفيتش: "هذه ورقة عاجلة؛ انسخيها بدقة وعناية وسرعة؛ سوف يتم توقيعها اليوم. يجب أن أشير إليك يا ملاكي الصغير، أنني لم أكن بالأمس في أحسن حالاتي، ولم يكن ذهني مشغولاً بشيء؛ كنت كئيباً جداً، حزيناً جداً! لقد كانت هناك برودة في قلبي، وظلمة في نفسي؛ لقد كنت دائماً في أفكاري يا ابن عرس الصغير المسكين. ولكني لا أعرف كيف أفسر لك ذلك، هل كانت الروح الشريرة نفسها هي التي أضلتني، أم أن قدراً غامضاً قضى عليَّ بذلك، أم أن الأمر ببساطة كان لابد أن يحدث؟ - تبقى الحقيقة أنني أسقطت سطراً كاملاً؛ والمعنى الذي نتج عن هذا الحذف يعلمه الله، أو بعبارة أفضل، لم يعد للجملة معنى. وقد تأخرت الورقة بالأمس، ولم تعرض على معاليه لتوقيعها إلا اليوم فقط. كما لو أن شيئاً لم يحدث، وصلت إلى المكتب في الوقت المعتاد اليوم وأخذت مكاني بجانب إميليان إيفانوفيتش. ولا بد لي أن أشير لك يا عزيزتي إلى أنني أصبحت

في الآونة الأخيرة أكثر خجلاً وأقل ارتباكاً من ذي قبل. في الآونة الأخيرة لم أعد أجرؤ حتى على النظر إلى أي شخص. وأقل ضجيج يصدره أحدهم بمقعده يصيبني بالقشعريرة. واليوم، وأنا جالس في مكاني بتواضع، ووجهي منحني على أوراقي، بدوت كالقنفذ، لدرجة أن يفيم أكيموفيتش (أعظم الساخرين الذين عاشوا على الإطلاق) قال، بحيث يسمعه الجميع: "لماذا تقف هكذا يا ماكار أليكسييفيتش؟ ثم قام بتكشيرته التي جعلت الجميع من حولنا ينفجرون في الضحك - على حسابي، وغني عن القول. واستمرت النكات! سددت أذنيّ وأغلقت عينيّ ووقفت ساكنًا. إنها عادتي؛ وبهذه الطريقة يتركونني وشأني بسرعة أكبر. فجأة سمعت ضجيجًا: أناس يركضون، أناس يتحركون، أسمع... هل تخدعني أذناي؟ شخص ما يناديني، شخص ما يسأل عني، شخص ما ينادي ديفوشكين. بدأ قلبي يرتجف في صدري، ولا أعرف حتى مما كنت خائفًا: كل ما أعرفه هو أنني كنت خائفًا كما لم أكن خائفًا في حياتي. قررت أن أتظاهر بالموت وبقيت في مقعدي. ولكن بعد ذلك بدأ الضجيج مرة أخرى واقترب أكثر فأكثر. صرخوا فوق أذني: "ديفوشكين! ديفوشكين! أين ديفوشكين؟ نظرتُ إلى الأعلى فإذا بي أجد إيفستافي إيفانوفيتش أمامي: "ماكار أليكسييفيتش، اذهب بسرعة إلى سعادتها! لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء في نسختك. لم يقل المزيد، لكن ذلك كان كافياً، أليس كذلك يا ماتوتشكا، كان ذلك كافياً؟ وبقيت متحجراً، وتجمد دمي في عروقي، وفقدت عقلي؛ وباختصار غادرت الغرفة ميتاً أكثر مما كنت حياً، وتم اقتيادي إلى غرفة ثم أخرى ثم ثالثة، وأخيراً أدخلوني إلى غرفة المكتب! لا أستطيع أن أقول لك بالضبط ما الذي كنت أفكر فيه في ذلك الوقت. هناك رأيت سعادتها، وكان الجميع حولها. لا أعتقد أنني ألقيت التحية؛ لقد نسيت. لقد كنت مضطرباً جداً لدرجة أن رعشة متشنجة حركت شفتي كما حركت ساقي.

أولاً، شعرت بالارتباك، فقد نظرت إلى يميني في المرآة، وما رأيته هناك كان كافيًا ليجعلني أفقد صوابي. ثانيًا، حاولت دائمًا أن ألفت الانتباه إلى نفسي بأقل قدر ممكن. لدرجة أن سعادتها كانت بالكاد تعرف بوجودي. وربما كانت قد سمعت بشكل مبهم أن أحد مرؤوسيها هو ديفوشكين معين، ولكنها لم تكن قد اتصلت بي شخصياً قط، فبدأت بغضب: "كيف فعلت ذلك يا سيدي؟ ماذا يدور في ذهنك؟ ورقة عاجلة، مطلوبة على الفور، وأنت تفسدها. كيف أمكنك أن تفعل ذلك؟ ثم خاطبت فخامتها إيفستافي إيفانوفيتش، ولم يصل إلى أذني إلا بضع كلمات: "إهمال! إهمال!... إهمال!... يوقعني في ورطة!..." . فتحت فمي لأقول شيئاً. أردت أن أطلب المغفرة، لكن ذلك كان مستحيلاً. أن أهرب - لم أجرؤ على المحاولة، ثم... ثم... ثم يا ماتوتشكا، حدثت مغامرة بحيث أنني حتى الآن، عندما أفكر فيها لا أكاد أمسك قلمي خجلاً من ذلك. ! زري - خذه أيها الشيطان - زري الذي كان معلقاً بخيط، انفصل فجأة وقفز (من الواضح أنني كنت قد اصطدمت به عن طريق الخطأ)، وتدحرج بصخب، ثم استوى على قدمي سعادتها. وكل هذا وسط صمت عام! كان هذا تبريري واعتذاري وجوابي وكل ما أردت أن أقوله لسعادتها! كانت العواقب وخيمة! اتجهت أنظار سعادتها على الفور إلى وجهي وزيي. تذكرت ما رأيته في المرآة فأسرعتُ لألتقط زري! كنت في حالة ذعر! وانحنيت وحاولت أن أمسك الزر، ولكنه ظل يتدحرج ويتدحرج، بحيث استحال عليَّ أن أفعل ذلك؛ وباختصار، برزت لمهارتي. وشعرت عندئذ أن آخر قوتي قد خارت قواي، وأن كل شيء، كل شيء قد ضاع! لقد انتهى كل شيء بالنسبة لسمعتي، لقد كنت رجلاً محترقاً! وفجأة رن في أذني كلتا أذنيّ تيريز وفالدوني. وأخيراً أمسكت بأزراري، ووقفت، واعتدلت، وكان ينبغي أن أظل ساكناً، وأنا الأحمق الذي كنت، وأضع يدي على خياطة بنطالي! ولكن لا! لقد شرعت في

تعديل الزر بالخيط الممزق، كما لو كان من الممكن أن يتماسك؛ والأكثر من ذلك أنني كنت مبتسماً، نعم، كنت لا أزال مبتسماً! أشاحت سعادتها بوجهها في البداية، ثم نظرت إليّ مرة أخرى. سمعتها تقول لإفستافي إيفانوفيتش: "ماذا؟ انظروا إليه! كيف يبدو! ما خطبه؟ آه، يا عزيزتي، يا له من تأثير لتلك الكلمات في نفسي! لقد ميزت نفسي! فأجابها إيفستافي إيفانوفيتش: "ليس لديه علامة، ليس لديه علامة سيئة، سلوكه مثالي، إنه يعامل معاملة حسنة بما فيه الكفاية...". -حسناً، ساعده قليلاً"، وتابعت سعادتها: "يجب أن تعطيه سلفة..." قال إيفستافي إيفانوفيتش: "لكن "لقد حصل بالفعل على عدة. - "لقد أُعطي بالفعل العديد، لقد حصل بالفعل على جزء كبير من أتعابه مقدماً. لا شك أن لديه مشاكل مالية، ولكن سلوكه حسن، ولم يكن هناك ما يقال عنه أبداً. يا ملاكي الصغير، لقد كنت في أتون، وكانت نار الجحيم تلتهمني! كنت أفشل! "ثم قالت معاليها رافعة صوتها: "حسناً، يجب أن ننسخ نسخة جديدة في أسرع وقت ممكن، تعال يا ديفوشكين وانسخ هذه الوثيقة دون أن تخطئ؛ ولكن اسمع..." ثم خاطبت معاليها الحضور. خاطبت سعادتها الآخرين وأعطتهم أوامر مختلفة، وانسحبوا جميعًا. وبمجرد انصرافهم أخرجت سعادتها محفظتها على عجل وأخرجت ورقة نقدية من فئة المائة روبل. قالت: "هاك"، قالت: "أنا أفعل ما أستطيع، اعتبرها كما تشاء، خذها"، ووضعت الورقة النقدية في يدي. فارتجفت يا ملاكي، وارتجفت رعشة عنيفة هزت روحي كلها، ولا أدري ماذا كان يدور في داخلي، لقد أردت أن آخذ بيدها، فاحمر وجهي، يا حمامتي، و - وهنا لا أبتعد عن الحقيقة يا عزيزتي - أخذت يدي التي لا تستحق وصافحتني، نعم، أخذتها وصافحتني كما كان يفعل من يماثله في الرتبة، لجنرال مثله، قال: (هيا، إنني أفعل ما أستطيع. . .) والآن يا ماتوتشكا، لقد قررت:

إنني أطلب منك ومن فيدورا، وأود أن آمر أولادي لو كان لي أولاد أن يصلوا لله، أي هاك الطريقة: لا أن يصلوا لوالدهم، بل أن يصلوا لسعادته كل يوم، وإلى الأبد! سأقول شيئاً آخر يا ماتوتشكا، وسأقولها بكل جدية - اسمعيني جيداً يا ماتوتشكا - أقسم لكِ أنني مهما كنتُ تائهاً في الحزن في أيام مصائبنا القاسية، بالنظر إلى محنتك من جهة، ومن جهة أخرى هواني وعجزي، على الرغم من ذلك كله، أقسم لك أن المائة روبل تساوي عندي أقل من المصافحة التي تكرمت بها فخامتها فأكرمت بها رجلا لا يستحق، رجل ضال شارد، سكير! وبذلك، جعلتني كاملاً. وبهذه العملية أنعشتني معنويًا، وجعلت حياتي أحلى من الآن فصاعدًا، ومهما كنت آثمًا، فإن لديّ يقينًا راسخًا بأن صلاتي من أجل سعادة سعادتها ورخائها ستصل إلى عرش الله تعالى. ! ماتوتشكا أنا الآن في اضطراب أخلاقي رهيب، في اضطراب غير عادي! قلبي ينبض كما لو كان يريد أن ينفجر من صدري. وأنا نفسي ضعيف جداً. سأرسل لك خمسة وأربعين روبل على ورقة، وسأعطي عشرين روبل لصاحبة البيت، وسأحتفظ بخمسة وثلاثين روبل، وسأنفق عشرين منها على الملابس، وسيتبقى لي خمسة عشر روبل لضروريات الحياة العادية. سأذهب إلى الفراش لفترة من الوقت. إلى جانب ذلك، أنا هادئ، هادئ جدًا. والشيء الوحيد هو أن روحي محطمة؛ أستطيع أن أسمعها في أعماقي ترتجف وترتعش وتضطرب. - سأذهب إلى مكانك، ولكن الآن كل هذه الأحاسيس قد أسكرتني حقًا... الله يرى كل شيء يا ماتوشكا يا صديقي الصغير الذي لا يقدر بثمن صديقك الكريم ماكار ديفوكين

10 سبتمبر

عزيزي ماكار ألكسيفيتش لقد علمت بسعادتك بارتياح لا يوصف، وعرفت كيف أقدر فضائل قائدك يا صديقي. وَالْآنَ قَدْ كَفَّ الْبَلاَءُ عَنْ مُضَايَقَتِكَ! فقط، حباً بالله، لا تنفق المزيد على أشياء لا فائدة منها. عش بهدوء، بتواضع قدر الإمكان، ابدأ من الآن فصاعدًا في وضع شيء جانبًا كل يوم حتى لا تجد نفسك فجأة في صعوبة. بالنسبة لنا، أرجوك لا تقلق. أنا وفيدورا نتدبر أمورنا. لماذا أرسلت لنا الكثير من المال، ماكار أليكسييفيتش؟ لم يكن ضرورياً على الإطلاق. ما لدينا يكفينا. والحقيقة أننا سنحتاج إلى المال قريبًا للانتقال من هنا، لكن فيدورا تتوقع أن يدفع لها شخص مدين لها لفترة طويلة. بالمناسبة، سأحتفظ بعشرين روبل للطوارئ. سأرسل لك الباقي. أرجوك كن حذرا مع المال، ماكار أليكسييفيتش. الوداع، ماكار أليكسييفيتش. عش في سلام الآن، كن بخير وبصحة جيدة. أنا أود أن أكتب لك بإسهاب أكبر، لكنني متعبة للغاية. لقد أحسنتَ صنعًا عندما وعدتني بزيارتي. من فضلك تعال لزيارتي يا ماكار أليكسييفيتش.

ف. د.

11 سبتمبر.

عزيزتي فارفارا ألكسيفنا! أتوسل إليك يا عزيزتي لا تتركيني الآن، بعد أن أصبحت سعيدة وراضية بكل شيء. عزيزتي! لا تستمعي إلى فيدورا، وسأفعل ما يحلو لكِ؛ سأتصرف بشكل جيد؛ سأحسن التصرف؛ فقط مراعاة لسعادته، سأتصرف بشكل جيد، سأكون نموذجاً للدقة؛ سنكتب رسائل سعيدة لبعضنا البعض مرة أخرى! سنبوح لبعضنا البعض بأفكارنا وأفراحنا وهمومنا إن كان لدينا أي منها؛ سنعيش معاً في وئام وسعادة. سنشغل أنفسنا بالأدب... ! ملاكي الصغير لقد تغير كل شيء للأفضل في حياتي. فصاحبتي أصبحت أكثر قابلية للعلاج، وتيريز أكثر ذكاءً، وفالدوني نفسه أكثر سرعة. لقد تصالحت مع راتزاييف. من فرحتي، ذهبت لرؤيته بنفسي. إنه حقاً فتى طيب، ماتوتشكا، ولا صحة لما نسبوه إليه من تدبير شرير. لقد اكتشفت الآن أن الأمر كله كان افتراءً حقيرًا. لم يفكر أبدًا في القيام بهجاء علينا، لقد أخبرني بذلك بنفسه. لقد قرأ لي كتاباً جديداً أما اسم (لوفليس) الذي أطلقه عليَّ في ذلك اليوم، فليس بأي حال من الأحوال إهانة ولا لقباً غير لائق: لقد شرح لي ذلك. إنها كلمة مأخوذة حرفيًا من الخارج، وتستخدم لوصف شخص وقح، أو بعبارة أكثر حرفية، شخص يترك انطباعًا جيدًا. لقد كانت نكتة بريئة يا ملاكي الصغير، وأنا الأحمق الأخرق كنت غبيًا بما فيه الكفاية لأشعر بالإهانة، لكنني الآن اعتذرت لراتازاييف... والطقس رائع جدًا اليوم يا فارينكا، إنه جميل جدًا! في الحقيقة، لقد كان هناك القليل من الصقيع في الصباح، كان ناعماً جداً لدرجة أنه بدا وكأنه منخول. لكن هذا لا شيء! من ناحية أخرى، انتعش الهواء قليلاً. ذهبت للتسوق لشراء الأحذية واشتريت بعض الأحذية الرائعة. أخذت جولة على طول

شارع نيفسكي بروسبكت. قرأت النحلة الصغيرة من الغلاف إلى الغلاف. لكني نسيت أن أخبرك بالشيء الرئيسي، وهو هذا:

لقد تحدثت هذا الصباح مع إميليان إيفانوفيتش وأكسنتي ميخائيلوفيتش عن سعادتها. لست أنا الوحيد يا فارينكا الذي عاملتني بسخاء. لست أنا فقط من أحسنت إليه، والجميع يعرف طيبة قلبها. الناس في كل مكان يتغنون بمدحها ويذرفون دموع الامتنان. لقد ربت يتيمة في بيتها. واستقرت بها وزوّجتها لرجلٍ حسن النية، موظف حكومي كان ملحقاً لسعادته للمهمات الخاصة. ووضعت ابن أرملة في دار للمحاماة وقمت بأشياء أخرى كثيرة - علَّمت كل من أراد أن يسمع عن إجراءات فخامته؛ أخبرتهم بكل شيء دون أن أخفي شيئًا. لقد داست كل الاحترام الإنساني تحت الأقدام. لمَ الخجل في مثل هذه الظروف، وما علاقة احترام الذات بذلك، كلا، بل كان عليك أن ترفع صوتك لتمجيد تصرفات سعادته! لقد تحدثت بحرارة وحماس؛ وبعيدًا عن الخجل، كنت فخورًا بأنني مضطر إلى سرد مثل هذه القصة. ولم أترك شيئاً (لم أترك شيئاً (فقط عنك، من باب الحذر، فقد سكت يا ماتوتشكا)، ولكني تكلمت عن صاحبة البيت، وعن فالدوني، وعن راتازايف، وعن الحذاء، وعن ماركوف، قلت كل شيء. ضحك بعضهم، نعم، هذا صحيح، بل إنني أعترف بأنهم جميعاً ضحكوا. ولكن ذلك كان بالتأكيد لأنهم وجدوا شيئاً مضحكاً في وجهي، أو عن الحذاء، -- عن الأحذية أما عن الدافع الخفي الخبيث، فمن المستحيل أن يكون لديهم أي دافع خبيث. فالشباب يضحكون بسهولة، وقد يكونون قد ضحكوا لأنهم من الأغنياء، ولكنهم لا يمكن أن يكونوا قد ضحكوا بخبث على كلامي، أعني أنهم لم يضحكوا على سعادته - لا يمكن أن يكونوا قد فعلوا ذلك. أليس هذا صحيحاً يا فارينكا؟ لم أعد إلى صوابي بعد يا ماتوتشكا. كل هذه الأحداث

جعلتني في حيرة من أمري هل لديك أي حطب؟ لا تصاب بالبرد يا فارينكا، من السهل جداً أن تصاب به أوه ماتوتشكا، أنت تقتلينني بأفكارك الكئيبة أدعو الله كما أدعوه لك، ماتوتشكا! بالمناسبة، هل لديك أي جوارب صوفية أو ملابس دافئة بشكل عام؟ تأكدي من ذلك يا عزيزتي. إذا كنت بحاجة إلى شيء ما، من أجل الخالق، لا تعصي رجلاً عجوزًا. فقط اسأليني الآن انتهت الأوقات العصيبة لا تقلقي بشأني لكني مررت بأوقات عصيبة يا فارينكا هيا، لا يهم، لقد انتهت! في وقت لاحق، سننظر إلى تلك الأيام بحسرة وندم. أتذكر أيام شبابي كنت أجد نفسي أحيانًا بدون كوبيك. كنت أشعر بالبرد والجوع، لكن ذلك لم يمنعني من أن أكون مبتهجًا. في الصباح، كنت أذهب في نزهة على طول شارع نيفسكي بروسبكت، وألتقي بوجه جميل صغير، وأكون سعيدًا طوال اليوم. لقد كان وقتًا رائعًا، ماتوتشكا، رائع! من الجيد أن تكون على قيد الحياة، فارينكا! خاصة في بطرسبورغ. بالأمس، والدموع في عيني، ذهبتُ إلى الاعتراف أمام الرب الإله طالباً منه أن يغفر لي كل خطاياي في هذا الوقت الحزين: التذمر، الأفكار المتحررة، الفجور، الغضب. أنت وحدك، يا ملاكي الصغير، قوّيتني وحدك، أنت وحدك عزّيتني، نصيحتك الصالحة كانت فاكهةً لي. لن أستطيع أن أنسى هذا أبداً يا ماتوشكا لقد قبلت كل رسائلك اليوم واحدة تلو الأخرى يا عزيزتي! الوداع يا ماتوشكا يقولون أن هناك ملابس للبيع ليست بعيدة من هنا لذا سأذهب لألقي نظرة وداعاً يا ملاكي الصغير، وداعاً! مخلصك.

المخلص ماكار ديفوشكين.

15 سبتمبر

السيد ماكار ألكسيفيتش!

أنا في اضطراب رهيب. استمع إلى ما حدث لنا. أشعر بشيء قاتل. احكم بنفسك يا صديقي العزيز: السيد بويكوف في بطرسبورغ. فيدورا قابلته لقد كان في مزلجة فتوقف، واقترب من فيدورا بنفسه وسألها أين تقيم. فلما رفضت الإجابة ضحك وقال إنه يعرف من يسكن معها (ومن الواضح أن آنا فيدوروفنا أخبرته بكل شيء.) ثم لم تستطع فيدورا أن تتمالك نفسها، وفي وسط الشارع بدأت توبخه قائلة له إنه رجل عديم الأخلاق، وإنه سبب كل مصائبي. فأجابها أنه عندما لا يكون لديك المال، بالطبع أنت تعيسة. فأجابته فيدورا بأنني كنت أستطيع أن أكسب رزقي من عملي، وأنه كان بإمكاني أن أتزوج، أو على الأقل أن أجد عملاً من نوع ما، أما الآن فقد ضاعت سعادتي إلى الأبد، وعلاوة على ذلك فقد كنت مريضة وسأموت قريباً. كان يقول إنني ما زلت صغيراً جداً، وأن رأسي ما زال يتخمر، وأن فضائلنا مشوهة (هكذا قال)، وظننت أنا وفيدورا أنه لا يعرف عنواننا، عندما خرجنا البارحة وأنا خارجة للتو للتسوق في غوستيني دفور، دخل علينا فجأة إلى غرفتنا؛ ويبدو أنه لم يكن يريد أن يجدني في البيت.

وسأل فيدورا مطولاً عن طريقة حياتنا؛ وتفحص كل شيء في منزلنا، ونظر إلى عملي؛ وأخيراً سألني: (من هو الموظف الذي يتعامل معك؟ في تلك اللحظة التي كنت تعبرين فيها الفناء، أطلعه فيدورا عليك، فنظر إليك وابتسم. وحثه فيدورا على الانصراف، وقال له إن صحتي قد تأثرت بشدة من الحزن وإنه سيكون من غير اللائق أن أراه في

منزلنا. . وبعد لحظة من الصمت، قال إنه جاء لأنه لم يكن لديه ما يفعله، وأراد أن يعطي فيدورا خمسة وعشرين روبل. - ماذا يعني ذلك؟ لماذا جاء إلينا؟ لا أستطيع أن أفهم كيف عرف كل شيء عنا. أنا ضائع في التخمين. يقول فيدورا أن أكسينيا، زوجة أخيه التي تأتي إلى بيتنا، تعرف المغسلة ناستازيا، وأن ابن عم ناستازيا هو ابن عمها الأول يعمل موظفاً في الوزارة التي يعمل فيها ابن أخ آنا فيدوروفنا الصديق. هكذا وصلت النميمة إلى السيد بويكوف! إلى جانب ذلك، من المحتمل جداً أن يكون فيدورا مخطئاً، لا يمكننا إلا أن نتخيل. هل يمكن أن يكون قد عاد إلينا! الفكرة ذاتها ترعبني! عندما أخبرنا فيدورا بكل هذا بالأمس عندما أخبرني فيدورا بكل ذلك بالأمس، كنت خائفاً جداً لدرجة أنني كدت أن يغمى عليّ. ماذا يحتاجون غير ذلك؟ لا أريد أن أعرفهم بعد الآن! ما علاقتهم بي أيها البائس! آه، يا لها من غيبوبة أعيشها الآن! ما زلت أتوقع قدوم بيكوف. ماذا سيحدث لي؟ ماذا يخبئ لي القدر غير ذلك؟ بحق المسيح، تعال لرؤيتي في الحال، ماكار أليكسييفيتش. تعال، حباً بالله، تعال.

18 سبتمبر.

ماتوتشكا، فارفارا ألكسيفنا!

لقد حدث اليوم أمر محزن للغاية وغير قابل للتفسير وغير متوقع. فقد تمت تبرئة المسكين غورتشكوف (لاحظوا هذا يا ماتوتشكا) تمامًا. كان قد تم البت في قضيته منذ فترة طويلة، لكنه ذهب اليوم لسماع الحكم النهائي. انتهت القضية بسعادة بالغة بالنسبة له. فقد اتهم بالإهمال، وتمت تبرئته من جميع التهم الموجهة إليه. وأقرت المحكمة بشرعية دعواه، وأمرت التاجر بأن يدفع له المبلغ الكبير الذي كان قد رفع عليه الدعوى بشأنه؛ وهكذا، وفي نفس الوقت الذي استعاد فيه شرفه تحسنت حالته المادية تحسناً ملحوظاً - وباختصار، فقد حققت نتيجة القضية كل أمانيه. عاد إلى منزله اليوم في الساعة الثالثة. وكان وجهه شاحباً كالملاءة، وكانت شفتاه ترتعشان، ولكنه كان مبتسماً - وقبل زوجته وأولاده. ذهبنا جميعًا معًا لتهنئته. كان متأثراً جداً باقترابنا منه، ولوح لنا من كل جانب وصافح كل واحد منا عدة مرات. حتى أنه بدا لي أنه قد نضج واستقام ولم يعد باكيًا. كان مضطربًا جدًا، المسكين! لم يستطع البقاء في مكان واحد لدقيقتين، كان يمسك بكل شيء في متناول يده، ثم يسقطها، ظل يبتسم ويلوّح، يجلس، ثم يقف، ثم يجلس مرة أخرى، ويقول والله أعلم: "شرفي... شرف... سمعة طيبة... أولادي" - وكيف قال ذلك! حتى أنه بدأ بالبكاء. كان معظمنا يبكي أيضًا. قال له راتزاييف، ومن الواضح أنه أراد أن يبهجه: "ما هو الشرف يا باتوشكا عندما لا يكون لديك طعام؟ المال يا باتوشكا، المال، المال، هذا هو الشيء الرئيسي، هذا ما يجب أن تشكر الله عليه! - وفي الوقت نفسه ضربها

على كتفها. ولاحظت أن جورتشكوف كان متأثراً؛ ولم يظهر عليه أي استياء واضح، ولكنه نظر إلى راتازايف بغرابة ورفع يده عن كتفه، وهو أمر لم يكن ليفعله من قبل يا ماتوتشكا! كما أن الشخصيات مختلفة. -أترين يا عزيزتي أن المرء يظهر أحياناً من التواضع والخشوع أكثر مما ينبغي أن يكون، وما هي إلا نوبة من نوبات طيب النفس التي تسبب ذلك، ولا تأتي إلا من فرط الإحساس ... ولكن، إلى جانب ذلك، فإن الأمر لا يعنيني هنا! نعم"، قال: "نعم"، "المال أيضًا شيء جيد؛ والحمد لله! الحمد لله! ثم ظل طوال الوقت الذي كنا فيه عنده يردد: "الحمد لله! الحمد لله! وطلبت زوجته عشاءً كان أرقى وأفخم من المعتاد. أخذت صاحبة المنزل على عاتقها أن تطبخ لهم. إنها امرأة طيبة، مالكة المنزل. لكن غورشكوف لم يستطع البقاء ساكناً حتى العشاء. فقد زار جميع المستأجرين، دون أن يعبأ بما إذا كانوا قد أبدوا رغبة في استقبال زيارته أم لا. كان يدخل ويبتسم ويأخذ كرسياً ويجلس عليه ويقول كلمة، وأحياناً لا يقول شيئاً على الإطلاق، -وغادر، أخذ بعض الأوراق في يده؛ ودعي إلى لعبة لأربعة أشخاص؛ وبدأ اللعب، وارتكب كل أنواع الأخطاء الفادحة، وبعد ثلاث أو أربع تمريرات، غادر الطاولة فجأة. قال: "لا"، "لا... أردت فقط..." وغادر. وقابلني في الممر وأخذ بيدي الاثنتين ونظر في عينيّ، ولكن بنظرة واحدة؛ وبعد أن صافحني ابتعد عني وهو لا يزال مبتسماً، إلا أن ابتسامته كانت مؤلمة، غريبة، كابتسامة رجل ميت. وكانت زوجته تبكي من شدة الفرح، وكانا مبتهجين كما لو كانا في يوم عيد. تناولا الطعام بسرعة. ثم قال لزوجته بعد العشاء: "اسمعي يا دوشينكا، سأذهب لأستريح قليلاً"، وذهب إلى فراشه. نادى ابنته الصغيرة، ووضع يده على رأسها وداعب شعرها لفترة طويلة. ثم التفت إلى زوجته مرة أخرى: "حسنًا، ماذا عن بيتينكا؟ "بيتينكا؟ رسمت المرأة إشارة الصليب وأجابت بأنه مات. - نعم، نعم، أعرف، أعرف

كل شيء. بيتينكا الآن في ملكوت السماوات. - وترى زوجته أنه ليس على ما يرام، وأن الحدث قد أزعجه تمامًا، فتقول له- يجب أن تكون نائمًا يا دوشينكا. - "نعم، لا بأس، في الحال... سآخذ قيلولة صغيرة". ثم التفت إلى الجانب الآخر وبقي ساكنًا لفترة من الوقت، وبعد ذلك غيّر وضعه وأراد أن يقول شيئًا. - لم يجب. انتظرت لحظة. - قالت لنفسها: "هيا بنا" ثم قالت لنفسها: "لقد نام"، وذهبت لتقضي ساعة مع صاحبة البيت. ولما عادت رأت أن زوجها لم يستيقظ بعد: كان لا يزال مستلقياً على السرير لا يتحرك على الإطلاق، فظنت أنه نائم وجلست وبدأت تعمل، وكانت مستغرقة في أفكارها لمدة نصف ساعة حتى أنها لم تستطع أن تتذكر ما كانت تفكر فيه، واكتفت بالقول إنها نسيت كل شيء عن زوجها. ولكن فجأة انتابها شعور بالقلق أخرجها من تأملاتها؛ وفوق كل شيء صدمها الصمت الموحش الذي ساد الغرفة. نظرت إلى السرير ورأت أن زوجها لا يزال مستلقياً في نفس الوضعية. فذهبت إليه وسحبت البطانية جانباً ونظرت: "إنه بارد جداً! لقد مات يا ماتوتشكا؛ لقد مات جورشكوف، مات فجأة، كما لو كان قد قتلته صاعقة. لكن الله وحده يعلم سبب موته. لقد صعقني الأمر بشدة، فارينكا، لدرجة أنني لم أفق بعد من ذهولي. من الصعب أن أصدق أن رجلاً يمكن أن ينتقل فجأة من الحياة إلى الموت. ! . جورتشكوف المسكين! آه، يا له من مصير! زوجته مفزوعة وتبكي؛ والفتاة الصغيرة قد زحفت إلى الزاوية. هناك ضجة كبيرة في المنزل؛ إنهم سيجرون تحقيقاً طبياً ... لا أستطيع أن أخبرك. لكن هذا مؤلم، أوه، هذا مؤلم جداً! إنه لأمر محزن أن تفكر بأنك لا تعرف حقًا اليوم أو الساعة... ...ستغادرين فجأة...

ماكار ديفوكين المخلص لكِ

19 سبتمبر

ماديمويزيل فارفارا ألكسيفنا!

أسارع بإبلاغك يا صديقي أن راتازايف قد وجد لي عملاً لكاتب. - فقد جاءه أحدهم وأحضر له مخطوطاً ضخماً - والحمد لله لن ينقصني عمل، إلا أنه مكتوب بطريقة غير مقروءة حتى أنني لا أعرف كيف أبدأ به. نريد الحصول على النسخة في أقرب وقت ممكن. والموضوع الذي تناوله المؤلف لا أفهم الكثير منه ... لقد تم الاتفاق على أن أتقاضى أربعين كوبيك للورقة الواحدة كل هذا لأخبرك يا عزيزتي بأنني سأحصل على موارد إضافية. - وداعاً الآن يا ماتوتشكا سأتركك لتكمل عملي.

صديقك المخلص ماكار ديفوشكين.

23 سبتمبر

صديقي العزيز ماكار ألكسيفيتش.

لم أكتب إليك منذ يومين يا صديقي ولكنني كنت مشغولة البال كثيرة الهموم كثيرة العذاب، فقد جاءني بويكوف أول أمس لرؤيتي. كنت وحدي، كانت فيدورا قد خرجت. فذهبت لأفتح الباب فشعرت بالخوف الشديد عندما رأيته لدرجة أنني لم أستطع التحرك. شعرت بنفسي وقد شحب لوني. دخل بضحكته الكبيرة المعتادة وأخذ كرسياً وجلس. لم أستطع أن أستعيد رباطة جأشي لوقت طويل، وفي النهاية جلست في زاوية وبدأت في العمل. وسرعان ما توقف عن الضحك. أعتقد أنه اندهش من مظهري. لقد فقدت الكثير من وزني في الآونة الأخيرة؛ وأصبحت وجنتاي وعيناي مجوفتين، وكنت شاحباً كالمنديل... والحقيقة أن من غاب عن ناظري لمدة عام لا بد أنه سيجد صعوبة في التعرف علي. كان ينظر إليّ باهتمام وشوق، ثم عاد مبتهجاً مرة أخرى. بدأ حديثًا؛ لا أتذكر ما قلته له، لقد ضحك فقط. استغرقت زيارته ساعة كاملة؛ وتحدث معي مطولاً وسألني أسئلة مختلفة. وأخيراً، وقبل أن ينصرف، أمسك بيدي وقال (وأنا أقتبس لك كلماته كلمة كلمة): "فارفارا أليكسييفنا! فقط بيننا، آنا فيدوروفنا، قريبتك وصديقتي المقربة، مخلوق حقير. (لم يكتفِ بنعتها بذلك، بل أطلق عليها لقبًا غير لائق). "لقد ضللت ابنة عمك أيضًا وأضلتك. أما أنا، فقد تصرفت أنا أيضاً في هذه الظروف تصرفاً بائساً: ولكن هذا شيء تراه كل يوم في الحياة! وبذلك، أطلق ضحكة عالية. ثم لاحظ بعد ذلك أنه لم يكن ضليعاً في فن الكلام: أما الشيء الرئيسي، وما كان يجب أن يقال، وما كان واجب

الرجل الشهم لا يسمح له بالسكوت عنه، فقد قاله بالفعل؛ أما الباقي فكان سيعلنه في بضع كلمات. ثم أخبرني أنه كان يطلب يدي للزواج، وأنه كان يشعر بأنه ملزم برد هذا الشرف، وأنه كان غنياً؛ وأنه بعد الزفاف سيأخذني إلى قريته، إلى سهوب حيث يريد صيد الأرانب البرية؛ وأنه لن يعود إلى بطرسبرج أبداً، لأن بطرسبرج مدينة مقرفة; وأنه كان له هنا في بطرسبرج، على حد تعبيره، ابن أخ وغد وأنه أقسم ألا يترك له شيئاً؛ وأنه كان قبل كل شيء لهذا السبب، أي بنية أن يكون له ورثة شرعيون، كان يسعى إلى الزواج مني، وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعله يطلبني للزواج مني. وأضاف أنني كنت أعيش في حالة سيئة للغاية، وأنني كنت أعيش في مثل هذا الكوخ، ولم يكن مستغربًا أن أكون مريضة؛ وتوقع لي الموت المحقق إذا بقيت على هذا الحال; تسبب لي اقتراحه في صدمة كبيرة لدرجة أنني بدأت في البكاء دون أن أعرف السبب. وقد عزا دموعي إلى الامتنان وقال لي إنه كان دائماً مقتنعاً بأنني شابة طيبة وحساسة ومثقفة جيداً، ولكنه قبل أن يقرر اتخاذ هذه الخطوة أراد أن يعرف قدر الإمكان عن سلوكي الحالي. ثم سألني عنك: لقد علم كل شيء، وقال إنك رجل ذو مبادئ نبيلة؛ وهو من جانبه لم يكن يريد أن يتفوق عليك؛ وفي النهاية سألني إن كانت خمسمائة روبل ستكون مكافأة كافية لكل ما فعلته من أجلي. أخبرته أنه لا يمكن لأي مبلغ من المال أن يفي بما فعلته من أجلي. فأجابني بأن هذا كله هراء، وأنه محض خيال، وأنني ما زلت شاباً أقرأ الشعر، وأن الروايات تضيع الفتيات، وأن الكتب لا تفيد إلا في إفساد الأخلاق، وأنه لا فائدة من الاسترسال في هذا الموضوع. ونصحني بأن أنتظر حتى أصبح في مثل سنه قبل أن أتحدث عن الناس؛ وأضاف قائلاً: (عندئذ ستعرفهم). ثم قال إن عليَّ أن أفكر في مقترحاته بعناية، وإنه سيكون من غير السار له أن أتخذ قراري في مسألة بهذه الأهمية

باستخفاف، وإن الطيش والتسرع من شيم الشباب عديمي الخبرة، ولكنه كان حريصاً على أن يحصل مني على جواب مواتٍ؛ وأخيراً إن لم أفعل، فإنه سيضطر إلى الزواج من تاجرة بموسكو، لأنه أقسم على حرمان ابن أخيه الوغد من الميراث. ورغماً عني، ترك خمسمائة روبل على نول التطريز الخاص بي، قائلاً إنها لشراء الحلوى؛ ووعدني بأنني سأصبح في البلاد سمينة كالفطيرة المحشية وأنني سأكون كالديك في بيته. "وأنهى كلامه قائلاً: (أما الآن فأنا مشغول جداً، ولديّ أعمال أقوم بها طوال اليوم، وقد جئت لرؤيتك بين مهمتين.) وبذلك تركني. لقد فكرت في الأمر طويلاً يا صديقي وغيرت رأيي أكثر من مرة، وترددت في المسألة طويلاً، ولكني في النهاية اتخذت قراري. يا صديقي، سأتزوجه يا صديقي، يجب أن أقبل عرضه للزواج إذا كان هناك من يستطيع أن يمحو عاري، ويعيد إليّ اسمي الشريف، ويبعد عني الفقر والفاقة وسوء الحظ، فهو هو وحده. فماذا يمكنني أن أتوقع من المستقبل؟ إن فيدورا تقول إنه لا ينبغي أن تدع سعادتك تفلت من بين يديك، وتقول: ولكن كيف يمكن الحديث عن السعادة هنا؟ على الأقل، لا أجد لي مخرجاً آخر يا صديقي الذي لا يُقدَّر بثمن. ماذا تريدني أن أفعل؟ لقد دمر العمل صحتي؛ فأنا لا أستطيع أن أعمل بشكل منتظم. هل ستصبح في حالة جيدة؟ - إن الملل من هذا الوجود سيقتلني؛ بالإضافة إلى أنني لا أصلح لأحد. لديّ بنية مريضة؛ لذا سأكون دائمًا عبئًا على الآخرين. لا شك أن المنصب الذي أقبله ليس الجنة، ولكن ماذا أفعل يا صديقي ماذا أفعل؟ هل لدي خيار؟ لم أستشرك. أردت أن آخذ المشورة من نفسي فقط. إن القرار الذي قرأته للتو لا رجعة فيه، وسأبلغه فوراً إلى بيكوف الذي يحثني علاوة على ذلك على إعطائه جواباً حاسماً. إنه يقول إن عليه أن يغادر، وأن عمله لا يمكن أن ينتظر، ولا يمكن تأجيله من أجل تفاهات. الله وحده يعلم إن كنت سأكون

سعيداً، فمصيري بين يديه ومشيئته المقدسة لا يعلمها إلا هو، ولكنني قد حسمت أمري. يقولون إن بيكوف رجل صالح: سيقدرني؛ وربما أنا أيضًا سأقدره. ماذا يمكن أن نتوقع أكثر من ذلك من زواجنا؟ أنا أخبرك بكل شيء يا ماكار أليكسييفيتش. أنا متأكدة من أنك ستتفهم حزني. لا تحاول أن تجعلني أغير رأيي. جهودك ستكون عديمة الفائدة. وازن في قلبك كل ما أجبرني على التصرف كما فعلت. كنت مضطربة جدًا في البداية، لكنني الآن أكثر هدوءًا. لا أعرف ما الذي ينتظرني. كل ما سيأتي سيأتي بحول الله! لقد وصل بويكوف؛ أترك رسالتي غير مكتملة. لا يزال لدي الكثير لأخبرك به. لقد وصل بويكوف!

23 سبتمبر.

ماتوتشكا فارفارا ألكسيفنا!

أنا في عجلة من أمري لأجيبك يا ماتوتشكا؛ أنا في عجلة من أمري لأخبرك يا ماتوتشكا أنني مندهش. الأمر ليس كذلك... بالأمس دفنا جورشكوف. نعم، هكذا هو الأمر يا فارينكا هكذا هو الأمر بويكوف تصرف بنبل، لكن كما ترين يا عزيزتي هل توافقينني الرأي؟ لا شك أن إرادة الله هي التي توجه كل شيء؛ هكذا هو الأمر، هكذا يجب أن يكون، وبعبارة أخرى فإن إرادة الله يجب أن تكون هنا بالضرورة، وعناية الخالق السماوية لا شك أنها صالحة ولا يمكن فهمها، وكذلك الأقدار، الأمر كله واحد. - فيدورا مهتم بك أيضًا. لا شك أنك ستكونين سعيدة الآن، يا ماتوتشكا، ستكونين في خير حال، يا عزيزتي، يا ابن عرس الصغير الساحر، يا ملاكي الصغير، - فقط، كما ترين يا فارينكا، لماذا هذه السرعة؟ نعم، السيد بويكوف لديه أعمال - لا شك في ذلك، من ليس لديه؟ يمكنه أن يكون لديه أعمال مثل أي شخص آخر... لقد رأيته عندما غادر منزلك. إنه جيد، جيد جداً؛ بل إنه رجل وسيم جداً. ولكن ليس هذا هو بيت القصيد، فالمسألة ليست مسألة ما إذا كان وسيمًا أم لا، ولكنني الآن فقدت عقلي. الأمر الوحيد هو كيف سنكتب لبعضنا البعض الآن؟ وكيف سأبقى وحيدة؟ يا ملاكي الصغير، إنني أزن كل شيء، أزن كل شيء، كما كتبت إليّ؛ أزن في قلبي كل هذا، كل هذه الأسباب. كنت قد انتهيت للتو من نسخ الصفحة الثانية عشرة عندما حدث لي كل هذا! ماتوتشكا، أنت ذاهبة بعيداً، ولديك شيئاً مختلفاً لتشتريه، أحذية وملابس؛ حسناً، أنا أعرف المحل الذي في شارع أو بويس؛ أتذكرين كيف وصفته

لك؟ - لا، لا أتذكر! ماذا تقصد، ماتوتشكا؟ ما الذي تفكرين فيه؟ لا يمكنكِ المغادرة الآن، هذا مستحيل، مستحيل تماماً. لديكِ الكثير من التسوق لتقومي به، يجب أن تحصلي على طاقم ما هو أكثر من ذلك، الطقس سيء للغاية الآن! انظري، إنها تمطر بغزارة، والجو مبلل للغاية، ثم... ثم ستشعرين بالبرد يا ملاكي الصغير، سيبرد قلبك الصغير! هيا، أنت تخافين من الغريب، وسترحلين! ولكن من سيبقى هنا من أجلي؟ نعم! تقول فيدورا أن السعادة العظيمة تنتظرك... لكن تلك المرأة شريرة وتريد أن تدمرني. هل ستذهبين إلى صلاة الغروب الأولى يا ماتوتشكا؟ سأذهب لرؤيتك هذا صحيح يا ماتوتشكا، صحيح تماماً أنك شابة مثقفة و فاضلة و حساسة و لكنك تفضلين الزواج من صاحب متجر! ما رأيك يا ماتوتشكا؟ أعتقد أنك تفضلين الزواج من صاحب متجر! - سآتي لرؤيتك، يا فارينكا، حالما يحل الظلام، وأقضي معك ساعة. الآن أصبح النهار أقصر، وبمجرد أن يحل الظلام ستراني قادمًا. بالتأكيد سأقضي معك ساعة اليوم يا ماتوتشكا. في هذه اللحظة أنت تنتظرين بويكوف، ولكن بمجرد أن يذهب انتظريني، ماتوتشكا، سآتي...

ماكار ديفوشكين.

27 سبتمبر.

صديقي، ماكار أليكسييفيتش قال السيد بويكوف أنه يجب أن أحصل على ثلاثين قميصاً هولندياً. لذلك علينا أن نجد خياطات لعشرين قميصًا في أقرب وقت ممكن، وليس لدينا الكثير من الوقت. السيد بويكوف مستاء جداً، يقول بأننا نواجه الكثير من المشاكل مع هذه الخرق. زفافنا بعد خمسة أيام، وفي اليوم التالي للزفاف سنغادر. السيد بويكوف في عجلة من أمره، يقول إننا لسنا بحاجة إلى إضاعة الكثير من الوقت في هذا الهراء. أنا منهكة وبالكاد أستطيع الوقوف على قدمي. لديّ الكثير من الأشياء، وفي الحقيقة من الأفضل ألا يكون لديّ كل هذه الأشياء. شيء آخر: ليس لدينا ما يكفي من الدانتيل وما تبعها، لذا علينا أن نشتري المزيد، لأن السيد بويكوف يقول إنه لا يريد أن ترتدي زوجته ملابس مثل الطباخة، وأنه يجب عليَّ بالتأكيد "مسح أنوف جميع زوجات أصحاب العقارات" .هذه هي كلماته. لذا، يا ماكار أليكسييفيتش، من فضلك اذهب إلى السيدة شيفون في شارع أوكس بوا واطلب منها أولاً أن ترسل لنا بعض الخياطات وثانياً أن تتكرم هي نفسها بزيارتنا. أنا مريضة اليوم. الجو بارد جدا في شقتنا الجديدة التي هي فوضى عارمة. عمة السيد بويكوف تحتضر من الشيخوخة. أخشى أنها ستموت قبل أن نغادر، لكن السيد بويكوف يقول أنه لا شيء وأنها ستكون بخير لا يوجد نظام في البيت، وبما أن السيد بويكوف لا يقيم معنا، فإن جميع الخدم يهربون إلى مكان لا يعلمه إلا الله. فيدورا في بعض الأحيان بمفردها لخدمتنا؛ وخادم السيد بويكوف الذي يجب أن يراقب الجميع اختفى أول أمس، ولا نعرف ماذا حل به. وفي كل صباح يأتي السيد بويكوف عابر سبيل، وهو يغضب دائماً، وبالأمس ضرب مدير المنزل مما أوقعه في مشاكل

مع الشرطة... ليس لديّ أحد ليأخذ رسالتي إليك، لذا سأرسلها بالبريد، نعم! كدت أنسى أهم شيء. أخبر مدام شيفون أن عليها بالتأكيد أن تغير الشقراوات إلى موديل الأمس، واطلب منها أن تأتي إلى منزلي بنفسها لتريني اختياراً جديداً، وأخبرها أيضاً أنني غيرت رأيي بشأن الصّدار، وأنه يجب أن يكون من الكروشيه. ومرة أخرى: يجب أن تطرز الأحرف الواحدة على المناديل على الطبلة، أتسمع؟ على الطبلة، وليس بغرز مسطحة. انتبه لا تنس أن تكون على الطبلة، وهنا شيء آخر كدت أنساه، أوصها بالله أن تضع عقدة صغيرة من الخيط على الكاب ثم تزيّن الياقة بالدانتيل أو بغيرها من الزينة المتسعة. من فضلك أخبرها بكل هذا يا ماكار أليكسييفيتش .

إضافة - أنا آسفة جداً على المتاعب التي أسببها لكِ دائماً في مهماتي! أول أمس قضيت الصباح كله في التسوق. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ في المنزل كل شيء في حالة فوضى، وأنا نفسي مريضة. لذا لا تغضب مني يا ماكار أليكسييفيتش. أنا في غاية الأسى! آه! ماذا سيحدث من هذا، يا صديقي، يا عزيزي، يا عزيزي، يا ماكار أليكسييفيتش الطيب؟ لا أجرؤ على التفكير في مستقبلي. إنني أشعر دائماً بشيء ما، وأعيش كما لو كنت أعيش في دخان الفحم. ص. س. - بالله عليك يا صديقي، لا تنسى أي شيء قلته لك للتو. أخشى دائمًا أن ترتكب خطأ. تذكر: مع الطبل وليس مع الغرز المسطحة.

ف.د.

27 سبتمبر.

الآنسة فارفارا ألكسيفنا!

لقد أنجزت كل مهامك في الوقت المحدد. لقد قالت السيدة شيفون أنها فكرت بنفسها في التطريز على الطبلة، وأن ذلك كان أكثر ملاءمة، هل هذا صحيح؟ لا أعلم، لم أفهم تماماً، ذكرت في رسالتك التزيينات؛ فقط، ماتوتشكا، لقد نسيت ما قالته لي عن ذلك. كل ما أتذكره هو أنها تحدثت كثيراً؛ يا لها من امرأة ثرثارة! ماذا قالت لي؟ لكنها تستطيع أن تخبرك بكل شيء بنفسها. أنا، ماتوتشكا، مجنون تماماً. لم أذهب حتى إلى المكتب اليوم. لكن، عزيزتي، أنتِ مخطئة في اليأس. من أجل راحة بالك، أنا مستعد للذهاب للتسوق. لقد كتبت لي أنك لا تجرئين على التفكير في المستقبل. لكن اليوم، قبل الساعة السابعة، ستعرفين كل شيء. ستزورك السيدة شيفون بنفسها. لذلك لا تيأسي، لا تيأسي، بل تأملي يا ماتوتشكا؛ لعل كل شيء سيتحول إلى الأفضل: - هذا كل شيء. التزيينات الملعونة، ما زلت أفكر فيها، لا أستطيع إخراجها من رأسي! سأذهب لرؤيتك يا ملاكي الصغير، سأذهب بالتأكيد لرؤيتك، لن أفوت ذلك؛ حتى أنني ذهبت إلى باب منزلك مرتين بالفعل. ولكن لا يزال بويكوف، أعني السيد بويكوف غاضبًا جدًا... حسنًا، ليس هذا هو الأمر...

ماكار ديفوشكين.

28 سبتمبر.

سيد ماكار ألكسيفيتش!

بالله عليك، اذهب إلى صائغ المجوهرات على الفور. أخبره ألا يصنع الأقراط من اللؤلؤ والزمرد. السيد بيكوف يعتقد أنها غالية جداً وباهظة الثمن إنه غاضب، ويقول إنه أنفق الكثير من المال، وإننا ندمره بالفعل، وقد قال بالأمس إنه لو كان قادراً على التنبؤ بمثل هذه النفقات لما أعطاني كلمته. وقال إنه بمجرد أن نتزوج سنرحل، وإننا لن نتسلى ولا يجب أن تظنوا أني سأرقص وأرقص في الحفلات؛ هكذا يتحدث! لكن الله يعلم أنني أهتم بكل ذلك! لقد أمر السيد بويكوف نفسه بكل ذلك، وأنا لا أجرؤ حتى على إجابته: إنه سريع الغضب! ماذا سيحدث لي؟

28 سبتمبر.

عزيزتي فارفارا ألكسيفنا

أنا - كما يقول الجواهري - حسناً، أما أنا فأردت أن أقول أولاً إنني مرضت ولا أستطيع النهوض. كما لو كان الأمر متعمداً أن أصاب بالزكام في وقت الحاجة الماسة إليّ. ! خذها أيها الشيطان وسأخبرك أيضاً أنه مما ضاعف من سوء حظي أن معاليها كانت صارمة في صراخها مع إميليان إيفانوفيتش؛ وقد صرخت كثيراً حتى أنها في النهاية لم تعد تحتمل أكثر من ذلك، صاحبة السعادة المسكينة. سأخبرك بكل ما حدث. كنت أريد أن أكتب لك شيئاً آخر لكني أخشى أن أضجرك. أترين يا ماتوتشكا، أنا رجل غبي وبسيط، أكتب الأشياء كما تأتي إليّ؛ لذلك قد لا تجدين هذا مثيراً للاهتمام: - حسناً، ولكن ماذا!

29 سبتمبر.

عزيزتي فارفارا اليكسيفنا

لقد رأيت فيدورا اليوم يا عزيزتي. قالت لي أنك ستتزوجين غدا، وأنك ستغادرين بعد غد، وأن السيد بويكوف قد استأجر خيولاً بالفعل. لقد أخبرتك بالفعل عن سعادته يا ماتوتشكا. نعم، هناك شيء آخر: - لقد تحققت من الفاتورة من المحل في شارع أوكس بوا، لا يوجد خطأ، فقط هي باهظة الثمن. لكن لماذا السيد بويكوف غاضب منك؟ هيا، كوني سعيدة يا ماتوتشكا! أود أن أذهب إلى الكنيسة، ماتوشكا، لكني لا أستطيع، فظهري يؤلمني. ها أنا ذا، عدت إلى الرسائل مرة أخرى: من سيوصلها لنا الآن يا ماتوتشكا؟ نعم، لقد كنتِ كريمة جداً تجاه فيدورا يا عزيزتي! لقد قمت بعمل جيد يا صديقتي، لقد قمت بعمل جيد جداً. إنه عمل صالح! ولكل عمل من أعمالك الصالحة سيباركك الرب. -- إن الأعمال الصالحة لا تذهب بلا مكافأة، والفضيلة ستتوج دائماً بالعدالة الإلهية، عاجلاً أو آجلاً. ماتوتشكا، إن لدي أشياء كثيرة لأكتبها لك؛ سأكتب لك في أي ساعة، وفي أي دقيقة، سأكتب لك في كل وقت! حسناً، أتعرفين يا ماتوشكا، أعطني إياها، أعطني إياها كهدية يا عزيزتي. أنا لا أريد أن أقرأه حقا. ولكنك تعرفين نفسك يا ماتوتشكا أن الشتاء قادم، وأن المساء سيكون طويلاً، وسأكون حزيناً؛ حسناً، سأقرأه إذن يا ماتوتشكا. سأنتقل وسأسكن في شقتك القديمة التي سأؤجرها لفيدورا. لن أفرط في تلك المرأة الشريفة مقابل العالم؛ بالإضافة إلى أنها عاملة مجتهدة! بالأمس ألقيت نظرة مفصلة على الشقة التي تركتها خلفك. إن نولك الصغير والتطريز الذي عليه في نفس المكان، لم

يلمسهما أحد، إنهما في الزاوية. نظرت إلى تطريزكِ، وتركتِ أيضاً بعض الخرق هناك. لقد وجدت في درج طاولتك بضع أوراق، مكتوب على إحداها: "السيد ماكار أليكسييفيتش، أنا في عجلة من أمري" - لا شيء أكثر من ذلك. من الواضح أن أحدهم قد قاطعك في أكثر الأماكن إثارة للاهتمام. سريرك الصغير في الزاوية خلف الشاشة... عزيزتي! من أجل الله، كلمة في أقرب وقت ممكن رداً على هذه الرسالة.

ماكار ديفوشكين.

30 سبتمبر.

صديقي الذي لا يقدر بثمن، ماكار ألكسيفيتش!

انتهى كل شيء! لقد تقرر مصيري؛ لا أعرف ماذا سيكون، لكني أسلم لمشيئة الرب. سنغادر غداً. أودّعك للمرة الأخيرة يا صديقي الذي لا يُقدّر بثمن، يا صديقي العزيز! لا تقلق عليَّ، عِشْ سعيداً، وتذكَّرْني، ولتنزل عليك بركة الله! سأفكر فيك كثيرًا وأتذكرك في صلواتي. - هذه نهاية فترة من حياتي! لم يبق لي من ذكرياتك إلا القليل التي ستعزيني، ستكون أغلى ما أملك من ذكرياتي وأحب إلى قلبي. أنت صديقي الوحيد، أنت الوحيد الذي أحبني في هذا المكان، كنت الوحيد الذي أحبني في كل شيء، كنتِ أعرف كم كنت تحبني. ابتسامة مني، سطر من كتاباتي يسعدك. الآن عليك أن تعتاد على عدم رؤيتي كيف ستبقى هنا وحيدا؟ من سيبقى هنا من أجلك، يا صديقي الطيب، يا صديقي الذي لا يقدر بثمن، يا صديقي الوحيد؟ عندما تنظر إلى هذه السطور المتقطعة، أكمل ما فيها من خواطرك، اقرأ فيها كل ما كنت تود أن تسمعه أو تقرأه مني، كل ما لم أكن أكتبه لك؛ أما الآن، فما الذي لم أكن لأكتبه! تذكر فارينكا المسكينة التي أحبتك كثيراً. كل رسائلك في خزانة أدراج فيدورا، في الدرج العلوي. لقد كتبت أنك مريض، ولكن السيد بويكوف لن يسمح لي بالذهاب إلى أي مكان اليوم. سأكتب لك يا صديقي، أعدك يا صديقي، لكن الله وحده يعلم ما قد يحدث. لذا دعنا نودعك الآن إلى الأبد يا صديقي يا عزيزي، إلى الأبد! كم أود أن أقبلك الآن! الوداع يا صديقي، الوداع، الوداع، الوداع، عش بسعادة؛ وكن

بخير. سأدعو لك إلى الأبد! أوه، كم أنا حزينة! كم روحي ثقيلة! السيد بيكويف يناديني.

صديقتك الحنونة إلى الأبد

ف.د

إضافة - روحي ممتلئة جدًا، ممتلئة بالدموع الآن... الدموع تضطهدني، تخنقني. كم أنا حزينة! تذكر، تذكر فارينكا المسكينة!

ماتوشكا، فارينكا، حبيبتي، عزيزتي! إنهم يأخذونك بعيدا! نعم، إنهم يفضلون الآن أن ينتزعوا قلبي من صدري على أن يأخذوكِ مني! ولكن كيف يمكنك أن توافقي على هذا؟ هيا، أنت تبكين وترحلين؟ منذ فترة وجيزة تلقيت منك رسالة غارقة بالدموع إذن أنتِ لا تريدين المغادرة، لذا فهم يأخذونك بعيدًا بالقوة، لذا أنتِ تشعرين بالأسى عليّ، لذا أنتِ تحبينني! لكن كيف ومع من ستكونين هناك الآن؟ قلبك الصغير سيعاني من الألم، سيشعر بالبرد والغثيان. سيجففه الملل، وسيحطمه الحزن. هناك حيث ستموتين؛ هناك حيث سيضعونك في الأرض الرطبة؛ لن يكون هناك حتى من يشيعك! سيذهب السيد بويكوف لصيد الأرانب البرية... آه! ماتوتشكا، ماتوتشكا! ماذا قررت، كيف أمكنك اتخاذ مثل هذا القرار؟ ما الذي فعلته، ما الذي فعلته، ما الجريمة التي ارتكبتها في حق نفسك؟ هناك سيأخذونك إلى القبر؛ هناك سيجعلونك تموتين يا ملاكي الصغير. أنتِ ضعيفة كالريشة يا ماتوتشكا! وأين كنت؟ أحمق أنا، ما الذي كنت أضيع وقتي فيه؟ لقد رأيت طفلة مجنونة ومريضة في رأسها، لا أكثر من ذلك! كان يجب علي ببساطة... - !حسناً، لا أنا الأحمق، هذا الذي أنا عليه، لا أفكر في أي شيء، ولا أرى أي شيء، تركت كل شيء يحدث، كما لو كان الأمر لا يعنيني، وكنت لا أزال أطارد فلبالا! لا يا فارينكا، سأنهض؛ قد أكون بخير بحلول الغد، لذا سأنهض! سأرمي بنفسي تحت العجلات، ماتوتشكا؛ لن أدعك تذهبين! ما هذا بحق السماء؟ أي حق هذا؟ سأذهب معك؛ سأركض خلف سيارتك، إذا لم تأخذيني، سأركض حتى أنهك حتى أفقد أنفاسي. لكن هل تعرفين حتى إلى أين أنت ذاهبة يا ماتوتشكا؟ ربما لا تعرفين، لكنني سأخبرك! إنها سهوب يا عزيزتي، سهوب عارية، عارية مثل كف يدي! هناك تعيش فلاحات عديمات الإحساس، وفلاحات غير مثقفات وموزكيات سكارى، وهناك الآن

الأشجار قد جردت من أوراقها، والجو ماطر و بارد - وها أنت ذا! سيكون لدى السيد بويكوف ما يفعله هناك: سيصطاد الأرانب البرية، ولكن ماذا ستفعلين أنت؟ هل تريدين أن تكوني صاحبة أرض، ماتوتشكا؟ لماذا يا ملاكي الصغير! انظري إلى نفسك، هل تبدين كصاحبة أرض؟ ولكن كيف يمكن أن يكون ذلك، فارينكا! لمن سأكتب، ماتوتشكا؟ نعم، خذي ذلك في الاعتبار، ماتوتشكا، - قولي لنفسك: "إلى من سيكتب؟ لمن سأنادي ماتوشكا من الآن فصاعدًا؟ لمن سأعطي هذا الاسم الجميل؟ أين سأجدك مرة أخرى يا ملاكي الصغير؟ سأموت يا فارينكا، سأموت بالتأكيد؛ إن قلبي لا يحتمل مثل هذه المصيبة! لقد أحببتك مثل نور الله، مثل ابنتي؛ لقد أحببت كل شيء فيك يا ماتوتشكا يا حبيبتي! حتى أنني عشت من أجلك فقط! كنت أعمل، وأصنع نسخ، وأخرج، وأذهب للتنزه، وأضع ملاحظاتي على الورق في شكل رسائل ودية - كل هذا يا ماتوتشكا، لأنك كنتِ تعيشين هنا، أمامي، قريبة مني جداً. ربما لم تكوني تعرفين ذلك، ولكن هكذا كان الأمر. اسمعي يا ماتوتشكا، يا صديقتي العزيزة الصغيرة، احكمي على ما إذا كان من الممكن لك أن تتركينا! يا عزيزتي، لا يمكنك المغادرة، هذا مستحيل، مستحيل تمامًا. كما ترين، إنها تمطر، وأنت لست قوية؛ ستصابين بالبرد؛ لن يحميك طاقمك من المطر؛ ستبتلين بالماء بالتأكيد. وما إن تجتازين الحاجز حتى تتعرض عربتك لحادث؛ ستتعطل عن قصد. هنا في بطرسبرغ، يصنعون السيارات بطريقة فظيعة! أنا أعرف كل صانعي العربات هؤلاء؛ إنهم يعرفون كيف يصنعون عربات جميلة، إنها أنيقة، لكنها ليست صلبة! أقسم أنها ليست صلبة! ماتوتشكا، سأرمي بنفسي على ركبتي السيد بيكوف؛ سأثبت له ذلك، سأريه كل شيء! سوف أشرح له الأمور أيضاً يا ماتوتشكا، سوف تتكلمين بعقلانية! ستخبرينه أنك ستبقين وأنك لا تستطيعين المغادرة! آه، لماذا لم يتزوج من

تاجرة في موسكو! كان عليه أن يتزوج هناك! كان من الأفضل له أن يتزوج من تاجرة أفضل، أفضل بكثير؛ أنا أعرف لماذا! وكنت سأبقيك هنا بجانبي. لكن ما الذي يعنيه بيكوف لك، ماتوتشكا؟ كيف أصبح غالي الثمن فجأة؟ ربما لأنه يشتري لكِ الفلبلة دائماً، ربما هذا هو السبب؟ لكن ما هو الفلبلة؟ لماذا فالبالا؟ هذا هراء يا ماتوتشكا! حياة الإنسان على المحك في هذه اللحظة، والفلبالة مجرد خرقة، ماتوتشكا، خرقة بائسة! إلى جانب ذلك، حالما أحصل على راتبي سأدفع لك ثمن الفلبالات، سأشتري لك الكثير منها يا ماتوتشكا؛ أعرف دكاناً صغيراً؛ انتظر حتى أحصل على أجري يا ملاكي، يا فارينكا! آه، يا رب، يا رب! إذن، لقد تقرر الأمر: ستذهبين إلى السهوب مع السيد بويكوف، ستغادرين ولن تعودي أبداً! آه، ماتوتشكا! كلا، ستكتب إليّ مرة أخرى، سترسل إليّ رسالة أخرى لتبلغيني أخبارك، وعندما ترحلين ستكتبين إليّ من هناك، وإلا يا ملاكي السماوي ستكون هذه الرسالة الأخيرة، ولا يمكن أن تكون الرسالة الأخيرة! كيف يمكن أن تنتهي مراسلاتنا فجأة! لكن لا، سأكتب لك وستكتبين لي أنت أيضاً... في هذه اللحظة لا أعرف ماذا أكتب، لا أعرف على الإطلاق، لا أعرف شيئًا، لا أعرف شيئًا، لا أعيد قراءة نفسي ولا تصحيح أسلوبي، كل ما أفكر فيه هو الكتابة إليك، الكتابة بقدر ما أستطيع... حبيبتي، حبيبتي، عزيزتي، ماتوتشكا!

النهاية

تمت بحمد الله.